

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الهيئة الليبية للبحث العلمي



مَرْكَزِ الْبُحُوْثِ وَالدِّرَاسَاتِ الْإِسْلامِيَّة

دورية علمية مُحَكَّمة، تصدر نصف سنوية، تُعنى بالدراسات الإسلامية، يصدرها مركز البحوث والدراسات الإسلامية.

المجلد الأول ـ العدد الأول

ذو القعدة 1444.هـ/يونيو 2023.م
البيضاء / ليبيا



مركز البحوث و الدراسات الإسلامية

مجلة مركز البحوث الدراسات الإسلامية

دورية علمية محكَّمة، تصدر نصف سنوية، تأسست 12 ذو القعدة 1444هـ/1 يونيو 2023م بموجب رقم إيداع في دار الكتب الوطنية: 2023/68م

شروط وضوابط النشر والكتابة

تستقبل مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية العلمية المحكَّمة البيضاء البحوث والدراسات الموثَّقة للباحثين، مع مراعاة وضع البحث في قالب المجلة، ويشترط في البحوث التي تقدم للنشر الآتي:

1. تقديم الباحث طلب نشر بحثه (وفق النموذج المعد) على أن يكون البحث المقدم أصيلًا، متسمًا بالأصالة والابتكار والمنهجية العلمية، وسلامة الاتجاه، وصحة اللغة، خاليًا من الموضوعات التي تمس المقدسات الإسلامية والعصبيات الفئوية والطائفية.
2. التزام البحث بالأصول العلمية في العرض والتوثيق والاقتباس، والرسوم التوضيحية، والجداول والنماذج.
3. ألّا يقل عدد صفحات البحث على خمس عشرة صفحة ولا يزيد على أربعين صفحة.
4. أنْ تكون البحوث المقدمة إلى المجلة باللغة العربية أو الإنجليزية، ويجوز نشر البحوث بأية لغة تقبلها هيأة التحرير، وفي جميع الأحوال يجب أن يكون ملخص البحث باللغة العربية بالإضافة إلى لغة البحث إذا كتب بلغة أخرى، على ألا تتجاوز مائة وخمسين كلمة مع ذكر الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
5. إذا كان البحث عبارة عن ترجمة لبحث آخر يجب إعلام هيأة التحرير بما يفيد موافقة صاحب البحث الأصلي على ذلك أو من دار النشر (موافقة خطية).
6. أن يكون موضوع البحث ضمن مجالات المجلة وتخصصاتها.
7. أن يقدم الباحث إقرارًا بأن بحثه لم يُنشر ولم يقدم إلى جهات أخرى للنشر، ولن يُقدَّم إلى أي مجلة أخرى في حال قبوله للنشر (وفق النموذج المعد).
8. لهيأة التحرير حق الفحص الأوليّ للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم أو رفضه، ويكون ذلك من الناحية الشكلية للبحث (وفق النموذج المعد) (من الناحية الشكلية).
9. تخضع البحوث بعد مراجعتها من قبل هيأة التحرير للتحكيم العلمي من متخصصين، ويطلع الباحث على خلاصة تقارير المحكمين ليُصلح بحثه وفقها أو يبين رأيه فيما لا يؤخذ منها، وتحسم الهيأة الخلاف في ذلك.

10. يتحمل الباحث مسؤولية تصحيح بحثه وسلامته من الأخطاء الطباعية والإملائية، والنحوية، وأخطاء الترقيم والنشر، وإن أخلَّ الباحثُ بذلك فإن من حقِّ الهيأة رفض قبول البحث مبدئيًّا حتى للتحكيم.

11. عندما يقبل البحث للنشر تؤول حقوق النشر إلى المجلة ولا يحق للباحث أن يطلب عدم نشره بعد إرساله للمحكمين.

12. لا تلتزم المجلة بردّ البحوث التي لا تقبل للنشر.

13. الآراء في البحوث المقدمة للمجلة تعبر عن أفكار أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي هيأة التحرير.

14. لا تقدم المجلة مكافآت مالية نظير البحوث التي تنشرها.

15. تُعطَى الأولوية في النشر لاعتبارات منها الأسبقية الزمنية والضرورات التنسيقية للموضوعات.

16. تُرَتَّب البحوثُ عند النشر في أعداد المجلة وفق الاعتبارات الفنية، وليس لأي اعتبارات أخرى أي دور في هذا الترتيب.

17. يتم إخطار الباحث بقبول النشر بخطاب موقع من رئيس هيأة التحرير مختوم بشعار محدد به الموعد ورقم العدد الذي سيُنشَر فيه البحث.

المكونات الرئيسة للبحث

منهجية البحث العلمي

1. ملخص الدراسة (باللغتين العربية والأجنبية) بحيث يجب أن يحتوي على الهدف العام للدراسة بالإضافة إلى العينة والأدوات المستخدمة.

2. المقدمة أو خلفية الدراسة.

3. مشكلة الدراسة وتحديد عناصرها وأسئلتها.

4. أهمية الدراسة وأهدافها.

5. الدراسات السابقة التي تفيد موضوع الدراسة وتساعد الباحث في مناقشة نتائجه، مع التزام الباحث بعرضها حسب التسلسل الزمني من الأقدم إلى الأحدث، أو العكس، كل منها في فقرة واحدة توضح الهدف الرئيس لها وعينتها وأدواتها وأهم نتائجها.

6. توضيح منهجية الدراسة المناسبة لطبيعة المشكلة البحثية، وتتضمن الإجراءات والبيانات الكمية أو النوعية التي مكنت الباحث من معالجة المشكلة البحثية.

7. تحديد مجتمع الدراسة وعينتها بشكل دقيق.

8. تحديد الأدوات المستخدمة في الدراسة وتوضيح خصائصها.

9. توضيح نتائج الدراسة بطريقة علمية.

10. مناقشة النتائج مناقشة علمية مبنية على الإطار النظري والدراسات السابقة، بحيث تعكس تفاعل الباحث مع موضوع الدراسة من خلال ما تم التوصل إليه من استنتاجات وتوصيات إلى تلك النتائج.

ضوابط كتابة البحث

1. يُطبع البحث بواسطة برنامج WORD على وجه واحد ورقة A4 ويرسل بنسخة ورقية ونسخة إلكترونية على قرص مضغوط CD.

2. يلي الملخصين: العربي والإنجليزي، الكلمات المفتاحية (Keywords) لا تزيد عن خمس كلمات (لم ترد في عنوان البحث) تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث.

3. تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (3) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.

4. يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية (simplified Arabic) ويكون حجم الخط في المتن باللغة العربية بحجم (14) وللعناوين الرئيسية والجانبية (16) والهوامش بحجم (12)، و للبحوث الإنجليزية (Times Roman) بحجم (12) و الهوامش بحجم (10) والعناوين بحجم (14).

5. يكتب عنوان البحث، واسم الباحث، أو الباحثين والمؤسسة التي ينتمي إليها باللغتين العربية والإنجليزية على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث ثم تتبع بصفحات البحث بدءًا بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعا بكامل البحث.

6. يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته أو هوياتهم، وتستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثون) بدلًا من الاسم.

7. تكتب المراجع في قائمة منفصلة في نهاية البحث مرتبة هجائيًّا وفق إحدى الطرق العلمية المعتبرة مع ذكر كامل معلومات النشر المتعلقة بالمصادر والمراجع، ويكون العزو للمصدر أو المرجع في هامش الورقة مع ذكر بيانات النشر كاملةً لأول مرة ثم يُكتفى بذكر الكتاب والموضع في المرات التالية إلا في حالة تشابه أسماء المصادر والمراجع فيذكر اسم المؤلف للتمييز بين الكتابين.

8. يُعطى كلُّ جدول أو صورة أو شكل رقمًا تسلسليًّا وعنوانًا كاملًا يعبر عن مضمونه.

9. تحتفظ هيأة التحرير بحقها في إجراء التعديلات المناسبة على المادة المقدمة للنشر إن رأت ذلك ضروريًّا وبما يتلاءم مع أسلوب المجلة.

10. للمجلة حق الاحتفاظ بالبحث سواء قُبل للنشر أو لم يقبل.

معايير البحوث المقدمة لمجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية

- اختيار عنوان واضح وموجَز.
- الدقة والشمول في تناول جوانب الدراسة.
- وضوح إشكالية الدراسة.
- اختيار المنهج العلمي الذي يتوافق مع الدراسة.
- استخدام المنهجية العلمية المتعارف عليها في كتابة البحوث العلمية.
- وفرة مصادر الدراسة التي تتسم بالأصالة والمعاصرة.
- الالتزام بالأمانة العلمية والموضوعية.
- تجري الدراسة أو البحث العلمي وفق الضوابط والمنهجية التي تتوافق مع رؤية ورسالة وأهداف مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
- الحصول على الموافقة اللازمة لاستخدام معلومات خاصة من الدوائر الرسمية وكتمان الأسرار المُطلع عليها.

توجه المراسلات بخصوص النشر إلى:

(islamicresearchar@gmail.com)

(+218915444789)

الافتتاحية

الحمد لله الَّذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصَّلاة على المبعوث رحمةً لسائر الأمم، وعلى آله وصحبه وسلّم، أمّا بعد:

فليس من المصادفة أن تبدأ أوّل آية قرآنيّة بالدّعوة إلى القراءة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ العلق:1 - 5

بل ليس من العبث أن تأتي كلّ القوانين _الّتي فيها نظام الكون_ على هيئة كتابٍ مسطور وأن تكون حُجّة الله على خلقه يوم القيامة في كتابٍ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، وأن يكون القلم والدواة والكتابة ممّا أقسم الله به في قوله تَعَالَىٰ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ القلم:1

وممّا لا شكّ فيه أنّ الكتابة في المجلّات العلميَّة المحكّمة، ومنصات البحث العلميّ، هي من أهمّ وسائل العلم والمعرفة، ونقل نتاج العلماء المتخصّصين في العلوم الشرعيّة والإسلاميّة إلى غيرهم من القُرّاء والمهتمّين.

ومن هذا المنطلق يهدف مركز البحوث والدِّراسات الإسلاميَّة "البيضاء" إلى تكوين بيئةٍ علميّةٍ خصبةٍ مختصّةٍ بالبحوث والدِّراسات الدَّقيقة في العلوم الإسلاميّة بوجه عامٍ، وفي العلوم الشَّرعيّة بوجهٍ خاصٍ؛ لتقديم التَّوصيات والاستشارات إلى مؤسّسات الدّولة كافَّةٍ، وفق دراسات جادّة، وتحليلات عميقة، فضلاً عن خلق مستوى من الوعي العامّ بشأن المخاطر والتَّحدِّيات الَّتي تواجه الهُويَّة الدّينيّة الوطنيّة، والاهتمام بقضايا الأمّة، وإبداء الموقف الشرعيّ حيالها، والتّنقيب عن الموروث العلميّ والثَّقافيّ اللِّيبيّ في العلوم الإسلاميّة، وتحقيقه ودراسته، كما يسعى المركز إلى تشجيع حركة البحث والتّأليف والتّرجمة والنّشر في مجال العلوم الإسلاميّة.

ولعلّ من أهمّ الوسائل للتّبادل العلميّ والثقافيّ والاستفادة من نتاج العلماء والباحثين التي يراها هذا المركز هو إطلاق مجلّة علميّة مُحكّمة.

وقد كانت بداية هذا المشروع العلميّ فكرة، ثم نمت وتطوّرت فأصبحت عملاً علميًّا متكاملاً كمًّا وكيفًا وتوجّهًا، بفضل جهودٍ كبيرةٍ بُذلت من إدارة المركز ولجان المجلّة، واجتهاد الباحثين، وأقلام المخلصين من أبناء الأمّة الإسلاميّة داخل البلاد وخارجها.

وقد رُعِيَ في هذه المجلّة تطبيق معايير الجودة والشُّروط المنظِّمة من حيث تحكيمها علميّاً وشرعيّاً، بفضل طاقم تحريرها الذي أُختير بعنايةٍ؛ لما له من كفاءةٍ علميّةٍ وتجربةٍ رائدة في مجال التّأليف والتّحكيم والنّشر، وحظيت بمساندة قاماتٍ علميّةٍ كبيرةٍ من ليبيا، ومصر والأردنّ، والإمارات العربيّة، والمغرب، والجزائر، قبلوا بكلّ ترحابٍ أن يكونوا ضمن اللّجنة الاستشاريّة للمجلَّة؛ لتقديم الدَّعم في رسم الخطِّ العلميّ لها، وإظهار البصمة المميّزة لمنشوراتها من حيث الشّكل والإخراج والتّصميم ونسق النّشر، بصورةٍ تليق برؤية المركز ورسالته وأهدافه.

وإدارة المركز إذ تهدي أسرة المجلّة أطيب المُنى؛ فإنّها ترجو لها التّوفيق والسّداد في إصدار عددها الأوّل وما يتلوه من أعداد أخرى.

وعلى الله قصد السبيل

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ.د. عادل سالم محمد الصغير

مدير عام مركز البحوث والدِّراسات الإسلاميَّة

ورئيس تحرير المجلة

محتويات العدد

أثرُ الأساليبِ البلاغيّة في الأحكامِ الفقهيّةِ عند الشَّيخ مصطفى الطرابُلسيِّ في كتابه: "مُلَخَّص أحكام العبادات".

The impact of rhetorical methods on the jurisprudential rulings of Sheikh Mustafa al-Tarabulsi in his book: "MOLAKHAS AHKAM AL-EBADAT".

اسم ولقب المؤلف: د. أحمد فتح الله إسماعيل

الدرجة العلمية والوظيفة: أستاذ مساعد - عضو هيئة التدريس قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة درنة.

البريد الإلكتروني: dahmed.fathallah@gmail.com

الملخص ..

يُعدُّ الشَّيخ مصطفى عبد العزيز الطرابلسيُّ ممَّن أسهم في خدمة المذهب المالكيِّ؛ وذلك بتأليف كتابه "ملخَّص أحكام العبادات" في ستَّة أجزاء، وأهمّيَّة هذا الكتاب _من جهة نظر الباحث_ تتلخَّص في أمرين، الأوَّل: التَّفصيل الدَّقيق الَّذي لا يكاد يغادر مسألة من مسائل الأحكام إلَّا ذكرها، والآخر: مراعاة واقع الحال المعاصر وتنزيل الأحكام عليه، وأهمّيّة هذا البحث مستمدة من أهمّيّة العلاقة بين علم البلاغة والأحكام الفقهيّة، وهذا باب لطيفٌ غايته الكشفُ عن العلاقة بين علم البلاغة وأثره في الأحكام التفصيليّة، وهو باب قلما يُطرق؛ إذ الغالب هو بيان العلاقة بين علم البلاغة والأحكام الكليّة في أصول الفقه، أمَّا الهدف من البحث فهو بيان أثر الأساليب البلاغيّة التي اعتمد عليها المؤلّف في طريقة عرضه وتأصيله للأحكام؛ لذا اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى تمهيد يحوي ترجمةً للمؤلف، ووصفاً للكتاب، ومنهج المؤلف فيه، ثم يأتي مبحثان، الأوَّل: الأساليب البلاغيّة المؤثرة في طريقة عرض الأحكام، وفيه أربعة مطالب، الأوَّل: حُسْن التَّقسيم والثَّاني: حُسْن التَّعليل، والثَّالث: التَّعقيب، والرَّابع: الاستطراد، وأمَّا المبحث الثاني فعنوانه: الأساليب البلاغيّة المؤثرة في معاني الأحكام، وفيه أربعة مطالب، الأوَّل: الاحتراس، والثَّاني: التَّتميم والتَّكميل، والثالث: مراعاة مقتضى الحال، والرَّابع: الإيضاح بعد الإبهام، ويسير البحث على المنهج الاستقرائيّ التحليليّ للوصول إلى النتائج المرجوَّة بإذن الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الفقه، العبادات، الأحكام الفقهية، الأساليب البلاغية، الشيخ مصطفى الطرابلسي.

Abstract :

Sheikh Mustafa Abdel-Aziz Al-Tarabuls is considered one of those who contributed to the service of Maliki school of thought by authoring his book."The Ruling Of Worship" in six parts which covers two areas of research according to the author: Firstly, he mentioned in detail all the rulings; and the other taking into account the reality of the contemporary situation and downloading rulings on it, and the importance of this research derives from the importance of the relationship between the science of rhetoric and jurisprudent rulings, and this is a good chapter whose purpose is to real the relationship between the science of rhetoric and the impact on detailed rulings, and it is a section that is rarely touched as the majority is the statement of the relationship between the science of rhetoric and the impaction detailed rulings, rhetoric and the total provisions in the origins of jurisprudence. The aim of research. is to show the impact of rhetorical methods that the author relied on in the way he presented and rooted the rulings. so the nature of the research necessitated dividing it into a preamble that contains a translation of the author and it contains four demands: The first: good division, the second; good reasoning, presentation, and the third: digression .and lately, the four demand to transmit from previous thoughts to bring new meanings The second topic is titled: Rhetorical methods affecting the meanings of rulings, and it has four demands, the first. caution; the second complementing and covering; and the third ;to consider the situation to the audience to whom the speech is delivered so long the fourth is the explanation to avoid ambiguity the research follows the inductive and analytical methods to reach the desired results that Allah willing.

Keywords: jurisprudence, acts of worship, jurisprudence, rhetorical methods, Sheikh Mustafa Al-Tarabulsi.

المُقدِمة

بسم الله الَّذي شرع الأحكام وقرَّرها، والصَّلاة والسَّلام على نبِّيه الكريم الَّذي بيَّنها وفصَّلها، وعلى آله وصحبه خير العاملين بها، أمَّا بعد فمن المقرَّر عند المحقِّقين من أهل العلم أنَّه لا غنى للعلوم الشَّرعيّة عن العلوم العربيّة، ومنها علم البلاغة على وجه الخصوص؛ لأنَّ علم البلاغة يختصُّ بدراسة المعاني: تركيباً، وبياناً، وتحسيناً، وإذ كانت العلوم الشرعيّة ومن بينها الأحكام الفقهيّة لا تنفك البتَّة عن الارتباط بمعانيها المقرَّرة؛ إذ هي مدار الأحكام؛ فإنَّه يصحُّ القول إذن: إنَّ تلك الأحكام لا ينبغي لها أن تنفكَّ عن علم البلاغة، وإذا تقرَّر ذلك فإنَّ هذا البحث يستمدُّ أهمِّيّته من تلك العلاقة، أمَّا الهدف من البحث فهو بيان أثر بعض الأساليب البلاغيّة في الأحكام الفقهيّة من خلال تطبيقها على كتاب أحكام العبادات للشَّيخ مصطفى عبد العزيز الطرابلسيّ، وسبب اختيار هذا الكتاب سيأتي ذكره في التَّمهيد، والمُهمُّ هنا التَّذكير بأنَّ اختيار بعض الأساليب البلاغيّة من بين عدد كبير من الأساليب الأخرى إنَّما هو أنموذج يوضح أهمِّيّة تلك العلاقة، أمَّا خُطَّة البحث فقد اقتضت تقسيمه إلى تمهيد يحوي تعريفاً موجزاً بالمؤلِّف، ووصفاً للكتاب، ومنهج المؤلِّف فيه ثم يفضي التَّمهيد إلى مبحثين، الأوَّل: الأساليب البلاغيّة المؤثِّرة في طريقة عرض الأحكام، وفيه أربعة مطالب، الأول: حُسْن التَّقسيم، والثَّاني: حُسْن التَّعليل، والثَّالث: التَّعقيب، والرَّابع: الاستطراد وهذه الأساليب من علم البديع، عدا الاستطراد، وأمَّا المبحث الثَّاني فعنوانه: الأساليب البلاغيّة المؤثِّرة في معاني الأحكام، وفيه أربعة مطالب، الأوَّل: الاحتراس، والثَّاني: التَّتميم والتَّكميل، والثَّالث: مراعاة مقتضى الحال، والرَّابع: الإيضاح بعد الإبهام، وواضح أنَّ مدار المبحث الثَّاني _بمطالبه كلِّها_ يدور على علم المعاني؛ لأنَّ ما ذُكِرَ فيه من أساليب هي من فنون الإطناب؛ وهذا هو السبب في اختيار عنوان البحث ليكون: أثر الأساليب البلاغيّة؛ لأنَّها موزَّعةٌ بين علمي البديع والمعاني، بل إنَّ نصيب علم المعاني كان أكبر، ويسير البحث على المنهج الاستقرائيِّ التحليليِّ؛ لأنَّه أنسب المناهج للوصول إلى النتائج المرجوَّة بإذن الله تعالى.

التَّمهيد

أوَّلاً: تعريفٌ مُوجزٌ بالمُؤلِّف:

هو الشَّيخ مصطفى عبد العزيز عمر الطرابُلسيُّ، وُلِد في مدينة درنة عام 1922م، حفظ القرآن وهو في سن الصِّبا، ونشأ محباً للعلم، وكان عصامياً في تلقيه، وأكرمه الله تعالى برفقة صالحة تعاونت جميعاً على طلب العلم بالاجتماع على الإفادة من الكتب الشرعية، والعلوم المساندة لها، ومن رفقاء دربه: الشيخ محمود عطية الديباني، والشيخ: محمد حمد القديري، والشيخ: محمد المكي حسان، وغيرهم، واشتغل بالتعليم ثم التوجيه في عدد من مدن ومناطق المنطقة الشرقية في البلاد، هذا إلى جانب حرصه الشديد على المشاركة في الندوات، والأنشطة العلمية، والتعليمية، وكان له أثر كبير في المساجد تعليماً، وإفتاءً، وتوجيهاً، وترك عدداً من المؤلفات بلغ اثنين وثلاثين مؤلفاً، ما بين مطبوع، ومخطوط، وما تميزت بها مؤلفاته: التنوع في جوانب كثيرة من المعرفة، فمنها: الشرعية، واللغوية، والأدبية، والتاريخية، والتعليمية، والثقافية، وبعد مسيرة حافلة بالعطاء لبَّى نداء مولاه يوم الاثنين الموافق: 2002/9/2م، في مدينة درنة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة[1].

ثانياً: وصف الكتاب:

يعدُّ كتاب ملخص أحكام العبادات من أكبر مصنفات المؤلف؛ إذ استوعب ستة أجزاء، من القطع المتوسط، وكل كتاب يحوي مئتي صفحة تقريباً، بدأ فيه المؤلف بمقدمة ذكر فيها سيرة مختصرة للإمام مالك، أردفها بذكر اصطلاحات وتعريفات فقهية، ثم تكلم عن التقليد، والأجزاء الستة للكتاب بدأت بأحكام الطهارة، وانتهت بأحكام صلاة الاستسقاء، وطبع مرة واحدة في دار المحيط في بيروت عام 1997م.

---

(1) للتوسع في سيرة الشيخ ينظر كتاب: من أعلام درنة الزاهرة "مصطفى عبد العزيز الطرابلسي" سيرة ومسيرة خلال نصف قرن، لمؤلفه: عاشور بريك الدمنهوري، إلى جانب ترجمة خاصة كتبها الشيخ لنفسه، وتكرم بها على الباحث، ومن فضل الله تعالى أن لازمه الباحث طالباً للعلم في عقد التسعينات من القرن الماضي.

ثالثاً: منهج المؤلف في كتابه:

التزم المؤلف المذهب المالكي في جُلِّ المسائل والأحكام التي ذكرها، وأحياناً يذكر أقوال المذاهب الأخرى إذا ما رأى الضرورة إلى ذلك، مع سوق الأدلة والشواهد، ويغلب على الكتاب التفصيل الدقيق للأحكام بذكر تعقيبات، ومسائل، وتنبيهات، وتفصيلات، وهي جميعاً متنوعة من بين ما كان يقع في الماضي، وبين ما يصح تنزيله على الحاضر، والمؤلف يستطرد في بعض الهوامش استطراداً يخرج عن موضوع الكتاب، مما ستأتي الإشارة إليه في موضعه من هذا البحث[1]، ومع ذلك فالكتاب غني بالأحكام القائمة في مجملها على أساليب بلاغية عددية مؤثرة في العرض، وفي المعنى؛ وهذا سبب اختياره للبحث.

المبحث الأول: الأساليب البلاغية المؤثرة في طريقة عرض الأحكام

المطلب الأول: حسن التقسيم

تعددت تعريفات البلاغيين لحسن التقسيم[2]، ولعل تعريف أبي هلال العسكري له هو الأقرب إلى الصواب والوضوح؛ فهو يقول عنه: (أن تقسّم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه)[3]، ويحسن استعمال هذا الأسلوب في البيان والإيضاح، وذلك بتعديد الأقسام وتحديدها، وهذا لاشك غرض تعليمي، زيادة على غرض معنوي آخر بمراعاة المسائل التي يحصل فيها اللبس لولا التقسيم والتحديد، وإذا تقرر ذلك فإن المؤلف سلك هذا الأسلوب في عرض الأحكام، لتحقيق ذينك الغرضين، والشواهد على ذلك كثيرة جداً، بل يمكن القول إن طريقة عرض الأحكام مبنية في عمومها على ذلك، ومن تلك الشواهد: أن المؤلف ذكر أن الإنسان من الأعيان الطاهرة، ثم استوفي أقسام الإنسان جميعاً من جهة جنسه، ودينه، ولونه، وحياته، وموته، ثم ذكر ما يفرز من الإنسان على قسمين، ما هو طاهر وعدَّدها، وما هو نجس وعدَّدها كذلك[4]، وهذا التقسيم لأمن اللبس، حتى لا يُظن أن جميع ما يفرز من الإنسان أيَّاً كان فهو طاهر، ومن فائدة حسن التقسيم لأمن اللبس ما ذكره

(1) يرى الباحث أن هذا المنهج في التأليف يتعارض مع تسمية الكتاب "ملخص أحكام العبادات"، وكان الأولى ألا يسميه المؤلف ملخصاً.

(2) ينظر: مفتاح العلوم، ص425 ، والبلاغة العربية (الميداني)، 2/ 208، وما بعدها، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص406،و407،و408.

(3) الصناعتين، ص341.

(4) ينظر: ملخص أحكام العبادات، 41/1.

المؤلف من تقسيم لأحوال النوم الثقيل الذي ينقض الوضوء (سواء كان طويلاً أو قصيراً، وسواء كان النائم جالساً، أو قائماً، أو مضطجعاً، أو مستلقياً على ظهره، أو بطنه)[1]، وبهذا التقسيم تتبين جميع الأحوال التي يقع فيها الحكم.

ويأتي حسن التقسيم بتقسيم الأقوال في المسائل الفرعية، ففي مسألة خطاب الصبي بإزالة النجاسة إذا صلَّى، أو طاف، أو مسَّ المصحف، يذكر المؤلف أن هذا من خطاب التكليف؛ (لأن الصبي وإن كان غير مكلف شرعاً؛ فإن وليَّ أمره مكلف بتعليمه قواعد العبادات)[2]، ثم يذكر قولاً آخر بأنه من خطاب الوضع، يخاطب بها الصبي نفسه؛ لأن إزالة النجاسة شرط في صحة الصلاة[3]، وهذا التقسيم يوضح الأصل الذي بنيت عليه المسألة، ومن أظهر المواضع لحسن التقسيم ما أورده المؤلف في أقسام السلس[4]، وكذلك ما ذكره في أقسام سجود السهو وأسبابه[5]، وذكر أن (السنن المؤكدة التي يترتب على تركها سجود قبلي قسمان: قسم يسجد لتركها وحدها، أو معها غيرها، وقسم لا يسجد لتركها إلا إذا تكرر السهو عنها، أو كان معها سهو من غيرها)[6]، ثم فصَّل القول في هذين القسمين[7].

المطلب الثاني: حسن التعليل

لا شك أن عرض الأحكام بذكر عِللها له أثر في المتلقي لتلك الأحكام؛ إذ يتلقاها بمزيد من الرضى، والتسليم، وهذا هو المراد منه، يقول الزركشي عن فائدة التعليل:(بأن يذكر الشيء معللاً فإنه أبلغ من ذكره بلا علة؛ لوجهين: أحدهما: أن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلول،؛ ولهذا اعترفت الظاهرية بالقياس في العلة المنصوصة، الثاني: أن النفوس تنبعث إلى نقل الأحكام المعللة، بخلاف غيرها)[8]، ولهذا يرى بعض البلاغيين أن حسن التعليل يعد إطناباً مفيداً، ذا أثر في نفوس المتلقين له[9]، وهذا يعني أن حسن التعليل ينبغي أن يكون من فنون

(1) ملخص أحكام العبادات: 182/1.

(2) السابق: 64/1.

(3) ينظر: السابق، نفسه.

(4) ينظر: السابق، 174/1.

(5) ينظر: السابق، 8/3، وما بعدها.

(6) السابق، 17/3.

(7) ينظر: السابق، 3/ 17، و18، و19.

(8) البرهان في علوم القرآن، 91/3.

(9) ينظر: البلاغة العربية(الميداني)، 94/2.

الإطناب في علم المعاني، لا البديع، وهذا ليس مجال تقريره في هذا البحث، والمهم هنا النظر في عمل المؤلف باستعمال هذا الأسلوب لعرض الأحكام، من ذلك القول بأن الإنسان _ عدا ما يستثنى منه _من الأعيان الطاهرة مهما كان؛ (لأن الله تعلى كرَّم البشر، وفضلهم على كثير من مخلوقاته، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: 70])[1]، ومن أحسن الشواهد على حسن التعليل ما ذكره المؤلف عن العلة من تحديد الشريعة للأعيان الطاهرة، والأعيان النجسة؛ (أن ذلك من كمال الإسلام، وعنايته بمباشرة الطيب الطاهر، واجتناب الخبيث، والنجس، ومعلوم أن الأعيان النجسة أو المتنجسة فضلاً عن كونها مما تنفر منه الطباع، وتستقذره النفوس، فهى ضارة، ومنها ما يجلب الأمراض، أو يكون مصدراً لانتشار العدوى، وأن في التحرز منها واجتنابها تخلصاً من ضررها، ودفعاً لخطرها، وإن كانت هناك أعيان حرمها الإسلام، وهي مما لا تنفر منها الطباع، ولا تستقذرها النفوس؛ فإنما ذلك لحكمة، ولأسباب قد تخفى ولا تعلم)[2]، ويرى أن هذا النوع الذي يخفى ولا يعلم هو من (الأمور التعبدية ولا نكلف بالبحث عن أسبابها وعللها، فإنه يكفي أن الطب قد أثبت ضررها وخطرها، من ذلك الدم المسفوح، فقد أثبت الأطباء أنه مقر الجراثيم في كثير من الحالات وخاصة في الحيوانات، وقد كان من حكمة التشريع الإسلامي أيضاً أن الأعيان النجسة والمتنجسة تطهر بالنار، وبحرارة الشمس، وهذه حقيقة طبية، وخلاصة القول: إن الإسلام قد أحل الطيب، وأباح المباح، وحرم الخبيث، وكره المكروه؛ لحكم وأسباب، وأسرار قد تخفى، وقد تظل خافية، حتى يأذن الله بظهورها عن طريق البحوث، والاكتشافات العلمية)[3]، ومن حسن التعليل القياس في الحكم كما في مسألة (الخاتم المأذون فيه؛ لا يجب نزعه، ولا تحريكه أثناء غسل اليدين، سواء كان ضيقاً أو واسعاً؛ لأنه لما صار مأذوناً فيه، صار حكمه كحكم الجبيرة)[4]، وقد يكون التعليل بأكثر من علة، كما في مسألة مسح الرأس لا غسله، وإن كان به عرق (بناءً على القول الصواب؛ لأنه قد يترتب على غسل عرق الرأس ضرر بالصحة؛ ولأن السلف كانوا يمسحون رؤوسهم في الوضوء على الطِّيب والدُّهن، ولم يرد أن أحداً منهم غسل رأسه حالة وضوئه، ودين الله يسر)[5]، وحسن التعليل

(1) ملخص أحكام العبادات، 41/1.

(2) السابق، 59/1.

(3) السابق،60/1 .

(4) السابق، 123/1.

(5) ملخص أحكام العبادات ، 125/1.

قد يكون مانعاً من القياس لعلة مانعة، فالمؤلف يرى أن الفقهاء(جعلوا الشك مؤثراً في الوضوء، ولم يجعلوه مؤثراً في الطلاق، والظهار، والإيلاء؛ لسهولة أمر الوضوء، ولكثرة نواقضه، واحتياطاً للصلاة، بخلاف الطلاق، والظهار، والإيلاء؛ لصعوبة أمرها، وندرة طروِّ الشك فيها)[1]، ولا شك أن هذا التعليل وجيه، ويأمن اللبس عند القياس، ومن دقيق التعليل ما يراه المؤلف من أن ما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه اغتسل بصاع من الماء ليس القصد منه تحديد ماء الغسل بهذا المقدار، لا يزيد ولا ينقص؛ وإنما المقصود عدم الإسراف في الماء، وبيان ما كان يكفيه _عليه الصلاة والسلام _ من الماء في غسله[2].

المطلب الثالث: التعقيب

المقصود بالتعقيب ذكر فوائد متعلقة بما سبق في الكلام، تذكر عقب إتمام الكلام[3]، فهو كالخاتمة عند عرض الأحكام، والمؤلف عندما يطرق باباً من أبواب العبادات فإنه لا يكاد يغلقه إلا بتعقيب جيد عليه، يأتي فيه بالفوائد والتنبيهات[4]، وهذا من أحسن طرائق العرض للأحكام.

ومن الشواهد على ذلك التعقيب الذي ذكره المؤلف بعد أحكام الطهارة، ذكر ما يتعلق بالماء بذكر أهميته، وذكره في القرآن، ثم أهمية العبادات المتعلقة بالطهارة، التي جُعل الماء مفتاحها[5]، وهذا لا شك له أثر عند عرض أحكام العبادات المتعلقة بالطهارة ببيان أهميتها، ثم أهمية الماء نفسه.

ومن التعقيب المهم ما سماه المؤلف (فضل معرفة الوقت) بعد الكلام عن أحكام أوقات الصلاة[6]، وهو تعقيب مهم، غايته توكيد الاهتمام بالوقت: متابعةً وحرصاً على صحة

(1) السابق، 1/ 199، 200(الهامش).

(2) ينظر: السابق ، 230/1، وحديث الاغتسال بالصاع ورد في صحيح البخاري، باب الوضوء بالمد، 51/1، حديث رقم(201).

(3) ينظر: حاشية الدسوقي، 704/2، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص386،و387.

(4) ينظر ملخص أحكام العبادات، على سبيل المثال: 37/1، و48/2، و 94/3، و79/4، و214/5، و188/6.

(5) ينظر:السابق،37/1- 39.

(6) ينظر ملخص أحكام العبادات: 127/2.

العبادة، وتنظيماً للحياة[1]، وفي هذا ربط بين الأحكام الشرعية، والحياة العملية التي ينبغي أن يكون عليها المسلم.

ولعل أطول تعقيب ذكره المؤلف هو ما يتعلق بأحكام الجنائز؛ إذ جعل فيه عناوين جزئية، هي: البكاء على الميت: ما يجوز منه، وما يكره، وما يحرم، وذم العادات المنكرة: الشائعة منها، والمستحدثة، وتعزية أهل الميت، وإعداد الطعام لهم، وذم الإسراف في المآتم، والقراءة على الميت، وما ينتفع به الإنسان بعد موته من الأعمال الباقية، وعدة المرأة المتوفى عنها زوجها، وما يتعلق بها من الأحكام، وزيارة القبور، وما يجوز فيها، وما يكره، وما يمنع، وما يستحب، وحتميّة الموت، والاتعاظ به، والاستعداد له، والعمل لما بعده[2]، ثم فصَّل القول في ما تقدم من عناوين، وهذا التفصيل هو إحاطة بالمسائل المتعلقة بالجنائز في عمومها أو أغلبها، وبذلك يكون عرضها مستوعباً أحوال الناس في الجنائز.

ومن أهمية التعقيب ربط المسائل الفقهية بالفوائد التعليمية، والاجتماعية، كما هو الحال في التعقيب على أحكام المساجد، بذكر فضلها، وأهميتها، وأثرها في حياة المسلم: علماً، وتعليماً، وكذلك أثرها في المجتمع: إصلاحاً وتوجيهاً، إلى غير ذلك من الفوائد العديدة[3].

ومن لطيف التعقيب ما ذكره المؤلف بعد أحكام صلاة الكسوف والخسوف، حيث تعددت جوانب هذا التعقيب، من آداب شرعية، وفوائد عقدية، وفرائد تاريخية، وإشارات علمية، ووقفات وعظية[4]، بحيث أن القارئ يجول بصره دون كلل أو ملل، مع ربط ما سبق بالحكم المذكور، وأحياناً يأتي التعقيب للرد على عادة جاهلية، أو شبهة علمية، كما في التعقيب على صلاة الاستسقاء، بذكر عادات جاهلية كانت عند العرب، وذكر المؤلف ما قيل فيها من أشعار، وكذلك شبهة المطر الصناعي، والزعم بعدم الحاجة إلى صلاة الاستسقاء، والرد على كل ذلك[5]، وما تميز به المؤلف في تعقيباته أنه يحاول أن يذكر ما يتعلق بالحكم من عادات قديمة، أو حديثة، وكذلك ما طرأ على تلك الأحكام من أحوال في العصر الحديث، وهذا يعطي الحكم اتساعاً في الدلالة.

---

(1) ينظر: السابق نفسه.

(2) ينظر: السابق 4/ 183،وما بعدها.

(3) ينظر: السابق ، 5/ 189،وما بعدها.

(4) ينظر: السابق، 176/6،وما بعدها.

(5) ينظر: السابق، 188/6،وما بعدها.

المطلب الرابع: الاستطراد

أكثر المؤلف من هذا الأسلوب في متن الكتاب وجعل له عنواناً سماه "مسائل" وكذلك تنبيهات تتعلق بالحكم المذكور، ومن نمط الاستطراد عنده ما يتوسع فيه من لطائف، وفوائد كثيرة تضمنتها هوامش الكتاب، وهذا منهج متبع عنده، لا يكاد ينخرم، والغرض من ذلك كما يبدو زيادة الفائدة وهو شرط الاستطراد المفيد كما هو معلوم؛ فهو (نوع من علم البلاغة دقيق المجرى، غزير الفوائد، يستعمله الفصحاء، ويعول عليه أكثر البلغاء)[1] ، وقد بلغت الأمثلة على ذلك كثرة كاثرة؛ ففي الموضع الأول من الكتاب وبعد الحديث عن أحكام المياه في الطهارة، ذكر عنواناً سماه "مسائل تتعلق بالمياه النجسة"[2]، وهذه المسائل تدور على أحكام تلك المياه في أحوالها وأنواعها، وما يتحول منها وما لا يتحول، وكذلك في أنواع الشك فيها، وغير ذلك[3]، وهكذا في بقية أحكام الطهارة[4]، ثم أحكام الصلاة وما يتعلق بها، ومن أمثلتها ما سماه "مسائل عامة" تتعلق بأحكام اللباس وستر العورة؛ حيث استطرد فيها إلى أحكام وتفاصيل دقيقة وما يترتب عليها من الجواز، والكراهة، والتحريم[5]، ومواضع الاستطراد في أحكام الصلاة وما يتعلق بها كثيرة[6]، وفي كل ما سبق فإن هذا النوع من الاستطراد هو في محله من الشرح، والبيان، والتفصيل، مما له علاقة بالموضوع، أما الاستطراد في هوامش الكتاب، فهو على قسمين، الأول: هو مثل الاستطراد في متن الكتاب من التوضيح، والاستدراك، وغير ذلك، مما لا يخلو من فائدة، ومن شواهده قول المؤلف: (قالوا: والفرق بين طهارة الكيمخت، وبين جلود الحيوانات الأخرى الميتة المدبوغة، أن طهارة الأولى طهارة حقيقية؛ ولهذا جاز الانتفاع بها بعد دبغها مطلقاً بغير قيود، وأما طهارة الثانية فهي طهارة لغوية، ومعناها النظافة؛ ولهذا لا يجوز الانتفاع بها بعد دبغها إلا بقيود، وقوله _ عليه الصلاة والسلام_ : "أيما إيهاب دبغ فقد طهر" فقد حمله بعض أئمة المذهب على المعنى اللغوي، الذي هو النظافة)[7]، ومن لطائف الاستطراد لديه ما

(1) الطراز: 8/3.

(2) ينظر: ملخص أحكام العبادات ، 36/1،و37.

(3) ينظر: السابق، نفسه.

(4) ينظر: السابق،45/1، 51/1_53، 356/1 على سبيل المثال.

(5) ينظر: السابق، 37/2-40.

(6) ينظر: السابق،2/ 104_106،و2/ 116_ 127، و 155/5_ 159، و6/ 86_89، على سبيل المثال.

(7) ملخص أحكام العبادات، 46/1(الهامش)، والكيمخت كلمة فارسية وهو جلد الفرس إذا دُبغ وجلد ما كان مثله، ينظر: شرح غريب ألفاظ المدونة، ص25، والمخصص، باب الجلود، 404/1، والحديث في سنن أبي داوود، باب في أُهُبِ الميتةِ ،211/6، حديث رقم(4123)، ومسند الإمام أحمد،443/2، حديث رقم(1895)،

ذكره حول (استحباب غسل الفم من أكل لحم الإبل، وألبانها، وكل ما فيه دسومة، وأن يكون الغسل بالأشنان، والصابون، ونحوهما مما يزيل رائحتهما، وخاصة لمن يريد الصلاة، ولهذا سمَّى النبي _عليه الصلاة والسلام_ الغسل من لحم الجزور ونحوه: وضوءاً، كما ورد في الحديث:" من أكل لحم جزور فليتوضأ"، وقد فسَّر الفقهاء هذا الوضوء بالوضوء اللغوي، وهو النظافة والحسن)[1] وأحياناً يكون استطراده تعليمياً أشبه بعمل أصحاب المتون والشروح، ومن ذلك قوله:(وقد جمع بعضهم ما يصح فعله بالوضوء لصلاة الفرض في كلمة "سنرجعكم" فالسين لصلاة الاستسقاء، والنون لصلاة النافلة، والراء لركعتي الطواف، والجيم لصلاة الجنازة، والعين لصلاة العيدين، والكاف لصلاة الكسوفين، والميم: لمس المصحف، وجمع ما لا يصح فعله بالوضوء _لغير هذه السبعة_ في كلمة "نقسم"...)[2]، ومن هذا أيضاً قوله:(وقد جمع بعض الفقهاء هذه السنن المؤكدة في بيت من النظم؛ تيسيراً لحفظها، وهو:

سينان، شينان، كذا جيمان *** تاآن عدُّ السنن الثمان

فالسينان: السر والسورة، والشينان: التشهد الأول والتشهد الثاني، والجيمان: الجهر فيما يجهر بقراءته والجلوس للتشهد، والتاآن: التكبير لغير الإحرام والتسميع)[3] .

وأحياناً أخرى يكون استطراده مبنياً على الأصول، وله ملمح علمي سلوكي، كما في قوله:(من المنصوص عليه أن الحكم إذا كان فيه قولان قويان، أو مشهوران، لم يُرجَحْ أحدهما على الآخر، جاز العمل بكل منهما، وأن من عمل بأحدهما فلا ينبغي التشويش، أو الاعتراض عليه بالقول الآخر)[4]، إلى غير ذلك من الفوائد الأصولية، والفقهية، والحديثية، واللغوية، وغيرها[5] .

مسند عبد الله بن عباس "رضي الله عنهما"، وورد في كل من الموطأ، وصحيح مسلم بلفظ: «إِذَا دُبِغَ الْإِهَابُ فَقَدْ طَهُرَ»، ينظر: الموطأ، باب مَا جَاءَ فِي جُلُودِ الْمَيْتَةِ 712/3، حديث رقم (484)، وصحيح مسلم: باب إذا دُبغ الإهاب فقد طهر، 277/1، حديث رقم(366).

(1) السابق،164/1(الهامش)، والحديث الذي ذكره المؤلف لم أجده بهذا اللفظ، وورد في صحيح مسلم أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَأَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ» قَالَ: أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟، قَالَ: «نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ»، بَابُ الْوُضُوءِ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ، 275/1، حديث رقم (360).

(2) ملخص أحكام العبادات ، 155/1(الهامش).

(3) السابق: 17/3 (الهامش).

(4) ملخص أحكام العبادات، 151/1 (الهامش)

(5) ينظر: السابق، الهوامش في: 145/1،و 25/2،و 172/3،و 30/4، و31،و 190/5،و 121/6، على سبيل المثال.

والقسم الآخر من الاستطراد ما ليس له علاقة مباشرة بالحكم الذي يتكلم عنه المؤلف، وهذا النوع من الاستطراد أثقل هوامش الكتاب، ومن الشواهد على ذلك استطراده في الهامش بالحديث عن المسك، وأنواعه، وطرائق استخراجه[1]، وفي موضع آخر يذكر الخاتم الذي كان في إصبع الإمام مالك، ووصْفَه، ونقْشَه[2] ، إلى غير ذلك من الاستطراد الكثير الذي كان المؤلف في غنى عنه[3] وربما يصلح أن يقيد على نحو لطائف مستقلة عن موضوع أحكام العبادات.

المبحث الثاني: الأساليب البلاغية المؤثرة في معاني الأحكام

المطلب الأول: الاحتراس

يعد أسلوب الاحتراس من أهم أساليب الإطناب؛ لأنه يؤتى به في الكلام لدفع وقوع الإيهام بخلاف المقصود[4]؛ فهو مهم للمحافظة على أداء المعنى على الوجه الذي يريده المتكلم، ولمَّا كانت الأحكام الشرعية منضبطةً بقواعد وأصول، فإن الكلام عنها وتفصيل القول فيها ينبغي أن يكون منضبطاً بضابط الصحة الذي لا يشوبه لبس أو وهم؛ والاحتراس من أحسن طرائق الحفاظ على المعاني في الأحكام الشرعية، فهو كالمصفاة داخل الكلام.

ومن مواضع الاحتراس عند المؤلف قوله:(ولا يفهم العفو عما يصيب البدن، والثوب، والمكان من أثر النجاسة التي تحملها الحشرات المذكورة، ولا من العفو عن الثلاث قملات إلخ، عم الاهتمام بالتوقِّي من هذه الحشرات، والتخلص من خطرها، وإنما قرر الفقهاء ذلك العفو دفعاً للمشقة التي تعرض لبعض الناس)[5]، وهذا الاحتراس في محله؛ لفهم الكلام على النحو الصحيح.

والمؤلف عند كلامه عن حكم الاستبراء من البول؛ يذكر حديث النبي عليه الصلاة والسلام، وقد مرَّ على قبرين، فقال: (إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما هذا فكان لا يستبرئ

---

(1) ينظر: السابق، 45/1(الهامش).

(2) ينظر: السابق، 123/1 (الهامش).

(3) ينظر: السابق، الهوامش في: 45/2، و142/3، و195/4، و21/5، و186/6، على سبيل المثال.

(4) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص40.

(5) ملخص أحكام العبادات، 66/1.

أو لا يستنزه من البول، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة)[1]، ثم ذكر شرح الخطابي للحديث (قوله: "وما يعذبان في كبير" معناه أنهما لم يعذبا في أمر كان يكبر، أو يشق فعله، لو أرادا أن يفعلاه، وهو التنزه من البول، وترك النميمة، ولم يرد أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة في حق الدين، وأن الذنب فيهما هين سهل)[2].

ومن لطيف الاحتراس ما جاء في الضربة الأولى من التيمم بأن (المراد بها وضع اليدين على الصعيد الطاهر وضعاً خفيفاً)[3]، وعلق المؤلف في الهامش بأنه (ليس المراد بالضربة هنا معناها اللغوي، الذي هو مس الشيء بشدة وعنف)[4]، وهذا الاحتراس من سبق المعنى اللغوي الذي هو معهود ذهني عند المتلقي، عن المعنى الشرعي الذي يحتاج إلى بيان عن طريق الاحتراس، وقريب من هذا التعبير عن المريض بالعاجز عن استعمال الماء؛ (لأن هناك المريض القادر على استعمال الماء، الذي لا يرخص له في التيمم)[5]، وأحياناً يقترن تعليل الحكم الفقهي الفقهي بالاحتراس الشرعي، كما في قول المؤلف:(يكره تكرار صلاة الجماعة بعد أدائها بإمام راتب، أي يكره لمن حضروا بعد فراغ الجماعة من الصلاة بإمام راتب، أن يؤدوا هذه الصلاة جماعةً في نفس المكان)[6]، ووجه الاحتراس في ذلك أن يكون (تحاشياً من الطعن على الإمام،

(1) سنن أبي داوود، باب الاستبراء من البول، 17/1، حديث رقم(20)، والحديث في الصحيحين، ينظر: صحيح البخاري، بَاب مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ لَا يَسْتَتِرَ مِنْ بَوْلِهِ، 53/1، حديث رقم (216)، وصحيح مسلم، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى نَجَاسَةِ الْبَوْلِ وَوُجُوبِ الاسْتِبْرَاءِ مِنْهُ، 240/1، حديث رقم (111).

(2) معالم السنن، 19/1، والخطابي في شرحه لصحيح البخاري له كلام أبين مما ذكر عنه المؤلف في شرحه لسنن أبي داوود، ولفظ البخاري: عن ابن عباس: مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان مكة أو المدينة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يعذبان وما يعذبان في كبير)، ثم قال: (بل كان أحدهما لا يستنزه من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة)، صحيح البخاري: بَاب مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ لَا يَسْتَتِرَ مِنْ بَوْلِهِ، 53/1، حديث رقم (216)، يقول الخطابي: قوله: (يعذبان في كبير) معناه أن التنزه من البول وترك النميمة غير كبيرين ولا شاقين على فاعلهما، ولم يرد أن المعصية فيما أتياه هينة صغيرة، ألا تراه كيف استدرك المعنى في ذلك بقوله: بل، لئلا يتوهم أن المراد به تهوين الأمر وتصغيره، وكلمة (بل) يستدرك بها المتقدم من الكلام)، شرح البخاري:273/1، ووهم المؤلف في نسبة الرواية إلى أبي هريرة رضي الله عنه وعزاه إلى صحيح ابن حبان في ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ قَدْ يَكُونُ أَيْضًا مِنَ النَّمِيمَةِ، 108/4، حديث رقم (3131)، ونسبته الصحيحة إلى ابن عباس رضي الله عنهما كما في المصادر السابق ذكرها.

(3) ملخص أحكام العبادات ، 324/1.

(4) السابق، نفسه.

(5) ملخص أحكام العبادات، 336/1.

(6) السابق، 123/5.

وعلى الجماعة، وتفادياً لما قد ينشأ عن ذلك من تنافر، وتناكر، وصفاء، تتعارض مع ما تتضمنه صلاة الجماعة من توثيق روابط الألفة، والمحبة، والتعاون)[1]، ومن دقيق الاحتراس ما ذكره المؤلف عند حكم السعي لصلاة العيدين بأن تحديد المسافة للمقيم خارج المدينة أو القرية تقدر بفرسخ "نحو ستة كيلومترات"، ويذكر المؤلف أن هذا التحديد حسب الزمان الماضي، ويحترس بأن الحكم باقٍ مع تطور وسائل النقل والمواصلات[2]، وهذا الاحتراس يرفع الالتباس أو التوهم، بعدم الالتزام بالتقدير الماضي للمسافة.

المطلب الثاني: التتميم والتكميل

تعددت أقوال البلاغيين في تعريف التتميم والتكميل[3]؛ فالعسكري عقد لهما فصلاً بهذا الاسم وقال عنهما:(هو أن تُوفِّى المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة؛ ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره)[4]، أما عن الفرق بينهما فإن ابن أبي الإصبع المصري يرى أن (التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله؛ إذ كان الكمال أمراً زائداً على التمام)[5]، ومعنى هذا الكلام كما يرى أبو البقاء الكفوي أن (التمام يُقَابل نُقْصَان الأَصْل، والكمال يُطَابق نُقْصَان الْوَصْف بعد تَمام الأَصْل، وَلِهَذَا كَانَ قَوْله تَعَالَى: {تِلْكَ عشرَة كَامِلَة}[البقرة:]196 أحسن من (تَامَّة)؛ لِأَن التَّمام من الْعدَد قد علم، وَإِنَّمَا احْتِمَال النَّقْص فِي صفاتها)[6].

ومن لطيف اجتماع التتميم والتكميل في كلام المؤلف قوله عن حكم شراء الماء للطهارة:(إذا احتاج المصلي إلى ماء يتطهر به، ولا يمكنه الحصول عليه إلا بالشراء، فإنه يلزمه شراؤه "شراء ما يكفي لوضوئه، أو لغسله، أو لإزالة النجاسة"، ولكن بقيدين: أولهما: أن يكون ثمن الماء زائداً عن حاجته، ثانيهما: أن يكون ثمن الماء معتاداً، فإن توفر هذان القيدان لزمه

(1) السابق، 123/5(الهامش).

(2) ينظر: ملخص أحكام العبادات ، 90/6، 91.

(3) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص251_255.

(4) الصناعتين، ص389.

(5) تحرير التحبير، ص362.

(6) الكليات، ص296، قد يلتبس التتميم والتكميل بالاحتراس، وعن الفرق الدقيق بينهما يقول ابن أبي الإصبع الإصبع إن(المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إما بفن زائد أو بمعنى، والتتميم يأتي ليتمم نقص المعنى ونقص الوزن معاً، والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً، ووزن الكلام صحيحاً، وقد جعل ابن رشيق الاحتراس نوعاً من التتميم): تحرير التحبير،ص245.

شراء الماء، ولا يجوز له أن يصلي بالتيمم)[1]، فقول المؤلف: (يتطهر به) متمم لقوله: :(إذا احتاج المصلي إلى ماء)، وقوله:(شراء ما يكفي لوضوئه، أو لغسله، أو لإزالة النجاسة) متمم لقوله: (ولا يمكنه الحصول عليه إلا بالشراء، فإنه يلزمه شراؤه)، وأما التكميل فقد جاء بعدُ بذكر القيدين؛ وذلك تكميلاً للمعنى؛ وبه صار المعنى جلياً.

ومن دقيق تتميم المعاني في الأحكام ما ذكره المؤلف عن حكم الكراهة والتحريم بخصوص الصلاة في أوقات معينة، يقول:(صلاة النافلة تكره بعد طلوع الفجر، وتحرم عند طلوع الشمس، ثم تعود الكراهة إلى أن ترتفع الشمس في الأفق قدر رمح "نحو ثلاثة أمتار"، وتكره بعد أداء صلاة العصر الحاضرة، ولو جمعت مع الظهر جمع تقديم، وتحرم عند غروب الشمس، ثم تعود الكراهة إلى أن تؤدى صلاة المغرب)[2]، فقوله:(ثم تعود الكراهة إلى أن ترتفع الشمس في الأفق قدر رمح "نحو ثلاثة أمتار)، وقوله:(ثم تعود الكراهة إلى أن تؤدى صلاة المغرب)، هو تكميل لما سبق ذكره من حكم الكراهة، والتحريم، وفائدة هذا التكميل استيفاء الأوقات بالأحكام.

وفي موضع آخر يقول:(حكم من نسي غسل موضع من ظاهر جسده، أو شك في غسله شكاً غير ملازم، أنه يجب عليه أن يغسل هذا الموضع فوراً، سواء تذكر عن قرب "قبل جفاف ظهره" أو تذكر عن بعد (بعد جفاف ظهره في الزمان، والمكان المعتدلين، وسواء كان الموضع عضواً أو لمعة "بقعة صغيرة من كل ما يجب غسله" ويعيده وحده فقط، ولا يعيد غسل ما بعده، لا سنة ولا استحباباً، فإن لم يتذكر ما نسيه، أو لم يطرأ عليه الشك(غير الملازم) إلا بعد ما صلى، وجب عليه أن يغسل ما نسيه أو شك فيه، وأن يعيد الصلاة إن صلاها إن كانت فرضاً)[3] ، فقوله (فوراً) متمم للمعنى، ثم يأتي التكميل بعده بقوله:(سواء تذكر عن قرب...) إلى آخر كلامه، والشاهد في هذا أن التكميل مكمل للتتميم، فهما أشبه بالتلازم عند المؤلف وهذه سمة ظاهرة في كلامه في مواضع كثيرة[4].

---

(1) ملخص أحكام العبادات، 160/1.

(2) السابق: 24/6

(3) ملخص أحكام العبادات: 220/1.

(4) ينظر السابق: 97/1، و21/2، و24/3، و29/4، 40/5، و89/6، على سبيل المثال لا الحصر.

المطلب الثالث: مراعاة مقتضى الحال

هذا الأسلوب أشهر من أن يُعرَّف؛ إذ عليه مدار علم المعاني، إذا قُصد به عموم الأساليب في هذا العلم؛ لأن مدارها جميعاً على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، لكن هناك معنى خاص له، (وهو أن يكون الكلام مطابقاً للحالة التي يُتحدَّث عنها، ومناسباً للموقف الذي يُتحدَّث فيه)[1]، والمؤلف أحسن إعمال هذا الأسلوب في أكثر من موضع، من ذلك قوله:(يكره استعمال المياه المشمسة، التي تسخنها حرارة الشمس، سواء سخنت بقصد، أو بغير قصد بناء على القول المعتمد من المذهب)[2]، ويصف المؤلف هذه الكراهة بأنها(كراهة طبية، كما نص عليها بعض الفقهاء؛ وذلك لأن الماء المشمس يحدث زهومة، فإذا غسل به العضو انحبس فيه الدم عن سريانه في العروق، وانقلب برصاً؛ ولهذا لا تتوقف الكراهة على استعماله في العبادات، بل يكره شربه، وأكل ما طبخ به، وهو ما قرره المحققون من أئمة المذهب)[3]، وإذا ما تأكد هذا الأمر طبياً؛ فإن حكم الكراهة يكون مطابقاً لمقتضى الحال، وفي موضع آخر يقول:(اختلف الفقهاء في حكمة إراقة الماء الذي ولغ فيه كلب، وفي غسل الإناء المولوغ فيه سبع مرات، فعلَّل بعضهم ذلك بأنه حكم تعبدي، غير معقول المعنى؛ لأن الكلب محكوم بطهارته، وبعضٌ لآخر علَّله باستقذار الكلب، وعلَّل ثالث كراهة الاستعمال بأنها كراهة طبية، وهذا هو الصواب)[4]، ثم استدل على تصويبه هذا بذكر ما ثبت طبياً حول ذلك[5].

ومن لطيف مراعاة مقتضى الحال ما ذكره المؤلف حول كيفية الوضوء؛ إذ يقول:(ومن فِعل رسول الله_ وهو المرشد الأعظم_ نعلم أن خير طريقة لتعليم العبادات _ وفي مقدمتها الوضوء والصلاة _ هي التعليم العملي، وخاصة للصغار، فنتوضأ أمامهم، ونصلي أمامهم، ثم نطالبهم بمحاكاتنا، أما الشروط، والفرائض، والسنن، فيترك تلقينها، أو تعلمها إلى ما بعد التطبيق العملي، وهذا ما مشينا عليه؛ حيث قدمنا كيفية العبادة، ثم أتبعناها بتفصيل الفرائض، والسنن، والمستحبات...)[6]، وهذا لا شك من مراعاة مقتضى الحال؛ إذ العمل به له له فوائد جمة كما هو ظاهر.

---

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص642.

(2) ملخص أحكام العبادات، 29/1.

(3) السابق، نفسه، الهامش.

(4) ملخص أحكام العبادات، 31/1.

(5) ينظر السابق، نفسه، (الهامش).

(6) ملخص أحكام العبادات، 111/1 (الهامش).

المطلب الرابع: الإيضاح بعد الإبهام

هذا الأسلوب من أهم أساليب الإطناب؛ والسبب في ذلك كما يقول القزويني: (ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكن، فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام؛ تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح؛ فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك؛ فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم)(1)، والمؤلف قد أكثر من هذا الأسلوب وهو مناسب جداً في تثبيت الأحكام الفقهية عن المتلقي، فالمؤلف يأتي عادة بالوصف مبهماً أو مجملاً متعلقاً بحكم، ثم يوضح ويبين هذا الوصف بالتعريف والإيضاح، ومن ذلك قوله في أحكام ما يخالط الماء المطلق(المياه المستعملة التي لا يغيرها الاستعمال مثل المياه المتبقية في الأواني، والأحواض، والمياضي، وغيرها، أي التي استعمل بعضها، وبقي بعضها بدون أن يتغير أحد أوصافه، والمراد بالاستعمال هنا أن هذه المياه تقاطرت من أعضاء المتوضئ، أو المغتسل، أو توضأ الشخص، أو اغتسل فيها، ولم يتغير أحد أوصافها، أما إذا كان يغترف منها، فلا تسمى مستعملة، ولا كراهة في استعمالها" التطهر بها")(2)، وهذا الإيضاح في محله؛ لأن كلمة "الاستعمال" تحتاج إلى توضيح يرفع الإبهام فيها، ويحدد المقصود منها، وفي أحكام صلاة العاجز والخائف، يقول:(المراد بالعاجز هنا، العاجز عن بعض أركان الصلاة: من قيام، وركوع، وسجود، إلخ، أو عن جميع الأركان سواء كان حكمه الطهارة المائية، أو الطهارة الترابية، لمرض أو عاهة، أو كِبر سن)(3)، أما الخائف فيوضحه بقوله: (المراد بالخائف هنا: الخائف على نفسه، أو ماله، أو عليهما جميعاً، من لصٍّ، وقاطع طريق، وحيوان مفترس)(4)، وفي أحكام الدفن ذكر طرائق دفن الميت، وهي: طريقة الشق، وطريقة اللحد، وطريقة الخندق، ثم وضح المقصود من ذلك توضيحاً بيِّناً(5)، ومن الملاحظ في كل ما تقدم أن الإبهام الذي أورده المؤلف في بداية كل حكم قد أخذ حقه من الإيضاح والبيان بالتعريف وضرب المثال.

---

(1) الإيضاح، 196/3.

(2) ملخص أحكام العبادات، 23/1.

(3) ملخص أحكام العبادات، 147/3.

(4) السابق، 165/3.

(5) ينظر: السابق، 150/4.

النتائج والتوصيات:

_ الأحكام الفقهية أشبه بالمسائل الرياضية، فهي قائمة على التقعيد، والاستدلال لها، وفي الوقت نفسه ينبغي أن تكون شديدة الوضوح، ولهذا فهي بأمس الحاجة إلى مراعاة الأساليب البلاغية المؤثرة في طريقة عرض المسائل، ثم الأساليب المؤثرة في فهمها.

_ما جاء ذكره في البحث من أساليب، هو على سبيل التمثيل لا الحصر؛ لبيان العلاقة بين الأحكام الفقهية، والأساليب البلاغية المؤثرة فيها.

_بناءً على ما سبق فإن الباحث يوصي بالتوسع في دراسة هذا الموضوع، كما ينبه إلى ضرورة التزام أهل الفقه بمراعاة تلك الأساليب عند الكتابة الفقهية.

_يوصي الباحث بالتوجه إلى كتاب ملخص أحكام العبادات لخدمته خدمة علمية؛ لأن المؤلف لم يتمكن من طباعته طباعة ثانية، تُمكِّنه من خدمة الكتاب على الوجه الأكمل، إضافة إلى أن الطبعة الأولى سقيمة في إخراجها.

المصادر والمراجع:

1_ أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد (ت 388 هـ)

تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط1، 1988م.

2_الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني: محمد بن عبد الرحمن(ت739هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، د.ت.

3_البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: محمد بن عبد الله (ت 794هـ)

تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان، وبالترقيم نفسه)، ط1، 1957م.

4_ البلاغة العربية، الميداني: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي(ت 1425هـ)، دار القلم، دمشق، ط1 ،1996م.

5_ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري: عبد العظيم بن الواحد (ت 654هـ)، تحقيق: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ت.

6_ حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت792هـ)، الدسوقي: محمد بن عرفة(1230هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

7_ سنن أبي داود، أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275 هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2009م.

8_ شرح غريب ألفاظ المدونة، الجبي (ت ق ٥هـ)، تحقيق: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005م.

9_ صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل(ت256هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311 هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام 1422هـ، 2001م، لدى دار طوق النجاة، بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

10_صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البُستي (ت354 هـ)، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2012م.

11_صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (261 هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، 1955م.

12_الصناعتين، العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت نحو395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، 1998م.

13_الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: يحيى بن حمزة(ت745هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2002م.

14_الكليات، الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى(ت1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م.

15_ المخصص، ابن سيده: الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996م.

16_ المسند، الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1995م.

_معالم السنن، (شرح سنن أبي داود)، الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد (ت388هـ)، المطبعة العلمية، حلب، 1932 م.

17_ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط2 2000م.

18_مفتاح العلوم، السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر(ت626هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتل العلمية، بيروت، ط2، 1987م.

19_ ملخص أحكام العبادات، مصطفى عبد العزيز الطرابلسي، دار المحيط، بيروت، ط1، 1997م.

20_من أعلام درنة الزاهرة "مصطفى عبد العزيز الطرابلسي" سيرة ومسيرة خلال نصف قرن، عاشور بريك الدمنهوري، مكتبة الهدى، طبرق، ط1، 2006م.

21_الموطأ، الإمام مالك بن أنس (ت179هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي، ط1، 2004م.

التَّعليقُ اللَّطيفُ على الأوجليِّ الصَّغير(ت بعد: 1092.هـ)

تأليف: محمَّد النَّابغة بن عمر الغلاويّ الشّنقيطيّ (ت: 1245.هـ)

The gentle commentary on Al-Awjali Al-Saghir (died after: 1092.AH) authored by: Muhammad An-Nabigha ibn Omar Al-Ghalawi Al-Shanqeeti (died: 1245.AH)

🖉 اسم ولقب المحقق: أ. محمد سالم مفتاح العجيل

الدرجة العلمية والوظيفة: مساعد محاضر، عضو هيئة التَّدريس في إدارة الشُّؤون البحثيَّة بمركز البحوث والدِّراسات الإسلامية/البيضاء.

البريد الإلكتروني: alojil83@gmail.com

الملخص :

لا تخفى أهمّيةُ إظهارِ الجهودِ المحلّيةِ في التَّأليفِ والمشاركةِ في العلوم؛ لأنَّه وفاءٌ للأجيال السَّابقة واستشرافٌ للأجيال اللَّاحقة، وهذا العمل هو تحقيقٌ لنظمٍ مع شرحه المسمَّى بـ" التَّعليق اللَّطيف على الأوجليّ الصَّغير" أمَّا النَّظم فصاحبه محمَّدُ الصَّالحُ بنُ سليمٍ الأوجليُّ، من أهل البلاد اللِّيبية (ت بعد 1092هـ)، وعددُ أبيات نظمه (62) بيتاً، وأمَّا الشَّرح فمؤلِّفه عالمٌ شنقيطيٌّ، هو محمَّد النَّابغة بنُ عمرَ الغلاويُّ الشّنقيطيُّ (ت:1245هـ)، وفي هذا العمل تعريفٌ بالنَّاظم، والشَّارح وبجهودهما ومؤلَّفاتهما، واعتمدتُّ في تحقيق النَّص على ثلاث نسخٍ خطِّيةٍ، وتأتي أهمِّيّة هذا التَّحقيق من أهمِّيّة المنظومة؛ كونها ضمن المُقرَّرات الدِّراسية في بلد شنقيط وما جاورها، ويظهر من ذلك تأثير أعلام هذه البلاد في البلدان الأخرى بشكل إيجابيٍّ، ولأجل الاهتمام بحفظها عند الكبار والصِّغار تصدَّى العلَّامة النَّابغة الشّنقيطيُّ لشرحها شرحاً مُوجزاً لطيفاً، ولا تخفى على الباحثين مكانةُ النَّابغةِ الشّنقيطيِّ، وأهمّية كتابه الشَّهير الَّذي نظم فيه المُعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيِّ، وسمَّاه: البوطليحية، ومن هنا تأتي أهمّية هذا الشَّرح ونظمِه.

الكلمات المفتاحية: تحقيق، نظم، شرح، الأوجليّ، النَّابغة، الشّنقيطيّ، العقيدة.

Abstract :

The importance of showing local efforts in authorship and participation in science is well known. Because it is faithfulness to previous generations, and anticipation of subsequent generations, and this work is an investigation of Nazm with his explanation, "The Nice Commentary on Al-Awjali Al-Saghir". The scholar of Chinguetti, who is Muhammad al-Nabigha bin Omar al-Ghalawi al-Shanqeeti, d. 1245 AH, with an introduction to them, their efforts and their writings, and I relied on three written versions to verify the text. In other countries in a positive way, and in order to pay attention to its preservation among adults and children, the scholar Al-Nabigha Al-Shanqeeti tackled it to explain it in a brief and nice way. Explanation and organization.

Key Words: Verification manuscript - achieving texts - systems - explanation - Al-Awjali - genius - Al-Shanqeeti – belief.

المقدِّمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، سيدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنّ بين يدي القارئ كتابٌ نفيسٌ في قيمته، مُختصر في ألفاظه، رأيتُ أن أفيد به الباحثين؛ ليكون بين أيديهم، بعد مكوثه في رفوف المخطوطات ما يقاربُ القرنين من الزمن.

وهذا العمل يتكون من قسمين، الأول: المتن المنظوم، والثَّاني: شرح هذا المتن.

أمَّا المتن **المنظوم فناظمه** عالِمٌ ليبيٌّ قديمٌ هو محمَّد الصَّالح الأوجليُّ، قاضي أوجلة وعالمها المُتوفَى بها حوالي عام (1092هـ)، وله نظمان في العقائد، الأول: المشهور باسمه "منظومة الأوجليّ"، وعدد أبياته (62) بيتًا، والثاني: دليل القائد إلى معرفة صفات الإله الواحد، وعدد أبياته (184) بيتاً.

وأمَّا **شارحه** فعالِمٌ شنقيطيٌّ مشهور، هو محمَّد النَّابغة بنُ عمرَ، الغلاويُّ الشّنقيطيُّ (ت:1245هـ) وسمّى شرحه المختصر هذا بـ (التَّعليق اللَّطيف على الأوجليِّ الصَّغير)؛ لأنَّه شرَح المنظومةَ الصَّغيرة ذات الـ(62) بيتاً، ولم يشرحْ المنظومةَ الكبرى للأوجليِّ.

قال الشَّارح الغلاويُّ عن النَّاظم الأوجليِّ: "هو فحلٌ من فحول العِلم لا يُجارى ولا يُبارى، ولو لم يكن له إلّا هذا التّأليف لدلَّ على صِحَّة عقله، وكثرةِ نقله".

موضوع المخطوط: علم العقائد أو علم أصول الدِّين، وذكر فيه بطريقة علميّة منطقيّة عقليّة كلاميّة ما يدخل تحت (لا إله إلَّا الله) من العقائد اللَّازم على كل مسلم الإيمان بها؛ حيث ذكر الواجب، والجائز، والمستحيل في حقِّ الله سُبحانه وتعالى، والواجب، والجائز، والمستحيل في حقِّ الرُّسل عليهم السَّلام، وخَتَم بالغيبيَّات.

وأمَّا عملي في المخطوط فكان على النَّحو الآتي: ترْجَمْتُ للنَّاظم والشَّارح بما أتيح من معلومات ومصادر، مع ذكر مؤلفاتهم المطبوعة والمخطوطة، كما ذكرتُ النُّسخ الخطِّيّة الثَّلاث الَّتي اعتمدتُّ عليها في تحقيق هذا المخطوط، والمعلومات التَّفصيليّة حولها، ورموزها، واعتمدتُّ فيها على النَّص المُختار لتقارب نسخها في قيمتها، وعرَّجتُ على اسم الكتاب، ونسبته، وسبب تأليفه وأهمِّيّته ووضَّحتُ طريقة عملي في التَّحقيق، مع نماذج من النُّسخ المخطوطة، وقد احتفظتُ بالنَّص كما هو، غير أنّي أضفتُ أبيات النَّظم في مكانها من الشَّرح؛ لأنَّ الشَّارح شرح بطريقة المَزج، كما جعلتُ عبارات النَّاظم بين قوسين ( )، والاختلاف بين النُّسخ بين معكوفين [ ]، وختمتُ بذكر المصادر والمراجع التي رجعتُ إليها في توثيق هذا المخطوط وتحقيقه.

ترجمة الناظم: الأوجليّ (ت بعد 1092هـ)

هو محمَّدُ الصَّالح بنُ عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن عبد الله بن سليم الأوجليّ، قاضي أوجلة، ولد بعد سنة (1030هـ) تقريبًا بناءً على بعض الوثائق الخطية[1].

وأوجلة: واحة ليبيّة تقع في الجنوب الغربيِّ من أجدابيا بنحو (260كلم)، وبها قبر الصحابيِّ عبد الله بن أبي السَّرح[2].

شيوخه[3]: محمَّد بن محمَّد بن أحمد الدليميّ الحسانيّ (ت بعد 1048هـ)، ومحمَّد بن مسعود ابن سعيد الأزهريّ التّلمسانيّ، ومحمَّد الصَّالح بن حامد الحضيريّ.

تلاميذه[4]: ابنه محمّد، (ت بعد 1142هـ)، وأحمد بن عبد الله أبي بكر الغدامسيّ (ت:1118هـ) ومحمَّد بن محمَّد بن محمَّد الدخليّ الأوجليّ، وعبد الكريم فارس، وصالح بن جنِّ العرب.

مؤلفاته:

1. **سبك الجواهر**، وهي منظومته التي اشتهرت بعدّة أسماء، منها: "منظومة لا إله إلَّا الله" و"منظومة البليم"، و"منظومة الأوجليّ"، ومطلعها:

الحَمْـــدُ لِلفَـــرْدِ القَـــدِيمِ فِـــي الأَزَلْ   لَـــهُ البَقَـــاءُ فِـي الوُجُـــودِ لَـمْ يَـــزَلْ

الصَّـــــمَدُ المُهَـــــيْمِنُ القَـــــدِيرُ   لَـــيْسَ لَـــهُ فِـــي مُلْكِـــهِ نَظِيـــرُ

وَصَـــــوَاتُهُ عَلَـــــى الـــــدَّوَامِ   مَـــعَ السَّـــلاَمِ سَـــائِرِ الأَيَّـــامِ

---

[1] ينظر: مقدِّمة الدُّرة الوقيدة في شرح العقيدة ص21، 23.

[2] ينظر: معجم البلدان اللِّيبيّة ص42.

[3] ينظر: مقدِّمة الدُّرة الوقيدة في شرح العقيدة ص35-36.

[4] ينظر: الجواهر الإكليليّة ص211، ومقدِّمة الدُّرة الوقيدة في شرح العقيدة ص37.

وقد شرح هذه المنظومة كلٌّ مِن:

أ- أبو الحسن عليُّ بن عبد الصَّادق بن أحمد العَبَّادِي الجِبَالِيُّ الطرابلسيُّ (ت: 1138هـ)[1].

ب- عُمَرْ بن مُودِ حمد غَعِ السيدبيّ، وسمَّاه: غسالة القلب العليل من وسخ تخويفات الأوجليّ.

ت- محمَّد بن عبد الرحمن بن قنونو الزليطنيُّ (ت:1250هـ)، وقد ذكر الدكتور السَّائح حسين مقدّمةَ هذا الشّرح[2].

ث- حمى الله بن أحمد بن أحمد الإدريسيُّ (ت: 1169هـ)، وسمَّاه: تحصيل البيان، والإفادة في شرح ما تضمّنته كلمة الشّهادة[3].

ج- محمَّد النّابغة بن عمر الغلاويُّ الشنقيطيُّ (ت: 1245هـ)، وسُمِّي: التَّعليق اللَّطيف على الأوجليِّ الصَّغير، وهو مخطوطنا هذا.

2. **شرح سبك الجواهر** في استخراج ما تضمنه قول "لا إله إلا الله محمد رسول الله" من العقائد" وهو شرح للمنظومة السابقة، حقَّقه الدُّكتور السَّائح عليّ حسين، معتمداً على ثلاث نسخٍ خطِّيّة الأولى محفوظة في مكتبة الأستاذ مختار بن يونس، والثَّانية في مركز جهاد اللِّيبيين، والثَّالثة في مكتبة حسن حسني عبد الوهَّاب بتونس، وطُبعت ضمن أعماله الكاملة في (69) صفحة سنة (2009م)، وحقَّقه مفرداً الأستاذ الشَّيخ نزار حمادي، وطُبع في دار الإمام ابن عرفة بتونس، في (102) صفحة، سنة(2012م)، وأُعيد طبعه في دار الضياء بالكويت سنة (2014م).

3. **دليل القائد بكشف أسرار صفات الواحد**، وهي منظومة من بحر الرَّجز في العقيدة، تتكون من (184) بيتًا، مطلعها:

الْحَمــــــد لله العلـــــيِّ البـــــاري	ومنشـــــئ الخلـــــق بالاختيـــــاري
وصـــــــلواته علــــــى الزكــــــيّ	المصــــــطفي ذي الخلـــــق الرضــــيّ
وآلـــــــه وصـــــــحبه المجاهـــــدين	علــى الهــدى حتــى أتـــاهم اليقــين

---

[1] ينظر: الأعلام 299/4، ومعجم المؤلفين 122/7، و هديّة العارفين407/1، وإيضاح المكنون68/3، وجهود العلماء اللِّيبييِّن في علم الكلام ص175، والتِّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار ص277.

[2] ينظر: جهود العلماء اللِّيبييِّن في علم الكلام ص184.

[3] ينظر: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص91.

ونظراً لأهمِّية هذه العقيدة، اعتنى بها العلماء دراسةً وتدريسًا، ومن هؤلاء العلماء الذين جعلوا هذه العقيدة ضمن مقرّراتهم الدِّراسية لطلَّابهم[(1)]: الطَّالب أحمد بن أعمر الوافي المحضريُّ (ت:1194هـ)، الطَّالب الأمين بن الطَّالب الحبيب الحرشيُّ (ت:1166هـ)، الطَّالب أحمد بن أبي بكر البرتليُّ (ت:1208هـ)، أحمد بن صالح الوافي (ت:1186هـ)، السَّيد الحسن بن الطَّالب أحمد دكان البرتليُّ (ت:1128هـ)، القاضي محمد بن يدغور بن أحمد كَابِي (ت:1188هـ)، عمر الخطَّاط بن محمَّد نض بن الطَّالب الأنصاريُّ البرتليُّ (ت:1107هـ)، عثمان بن عبد الرحمن بن أحمد الغلاوي الأحمديُّ (ت:1212هـ).

4. **المزيد العائد على دليل القائد**، وهو شرحٌ للمنظومة السَّابقة، حقَّقه الدُّكتور السَّائح عليّ حسين عن أربع نسخ خطِّيّة، اثنان من مركز المخطوطات بجامعة نيامي النيجر، وواحدة من مكتبة كلِّية الدَّعوة طرابلس، وواحدة من مالي، ولكنَّه لم يطبعه[2]، وحقَّقه الأستاذ أبوبكر أبوسعد في جامعة المقاصد، وتحصَّل به على رسالة الماجستير، وقريباً سيُطبع ضمن منشورات مجمع ليبيا للدِّراسات المتقدِّمة.
5. **الكوكب الفريد في شرح عقيدة التَّوحيد**، وهو شرح لكتاب العقيدة الصُّغرى للإمام محمَّد بن يوسف السنوسيِّ[3].
6. **زيادة التبيِّين على المرشد المعين**، وهو شرح لمنظومة ابن عاشر في الفقه[(4)]، حقَّقه الدُّكتور محمَّد سويسي، وطُبع في مجلدين عام (2010م) في طبعةٍ خاصة.
7. **الدُّرة الوقيدة في شرح العقيدة**، وهو شرح لمنظومة الشَّيخ عليِّ بن عبد الله المسلاتيِّ، حقَّقها الدُّكتور حسين علي السَّائح معتمداً على نسختين، إحداهما محفوظةٌ في المكتبة الصُّبيحية بمدينة سلا بالمغرب، والثَّانية محفوظةٌ في دار الكتب المصريَّة[5]، وحقَّقه الدُّكتور مصطفى بن رابعة، وكلا التَّحقيقين لم يُنشرا، وقد نشر سنة (2012م)، بتحقيق الدُّكتور محمَّد سويسى، دون ذكر النُّسخة الخطِّيّة المعتمد عليها، وعثرتُ على نسخةٍ خطِّيّةٍ لهذا الكتاب في المكتبة الأزهريَّة بالقاهرة، يقع في (14) لوحة، في كل لوحة (25) سطراً، دون تاريخ.

---

(1) ينظر: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص116، 122، 135، 147، 167، 242، 323، 349، وعناية علماء البلاد الليبية بالتأليف في المباحث الكلامية ص25 وما بعدها.

2 ينظر: جهود العلماء اللِّيبيِّن في علم الكلام ص182.

3 ومنه نسخة في المكتبة الوطنيّة التُّونسيّة. ينظر: شرح سبك الجواهر ص20.

(4) ينظر: فهرس مخطوطات غدامس ص86.

5 ينظر: جهود العلماء الليبيين في علم الكلام ص175.

8. **السَّدير الفائح المنتخب**، وهو مجموعة فتاوى، جمعها له ابنه، حقّقها الدُّكتور محمَّد سويسي وطُبعت في مركز جهاد اللِّيبيِّين سنة(1998م)، وأُعيد طبعه مرة ثانية ضمن منشورات جامعة المِرْقب سنة (2009م).

وفاته: لم نعلم تحديدًا سنة وفاته، ولكنَّه كان حيًّاً سنة (1092هـ)[1]، ووجدتُّ في فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيِّن منظومة الرَّحبيِّة بخطِّ يد الشَّيخ الصَّالح الأوجليِّ، نسخها سنة(1104هـ)[2].

ترجمة الشَّارح الغلاويّ الشنقيطيّ (ت:1245هـ)

هو محمَّد (النَّابغة) بن عبد الرَّحمن بن أعمر الغلاويُّ الشنقيطيُّ[3].

من قبيلة (الأغلال) الَّتي تنتمي إلى فئة الزَّوايا، سُمّيت بذلك نسبةً إلى أبيهم (محمد قلي) وهي قبيلة عريقة من ضمن القبائل الَّتي أسست مدينة شنقيط، يرتفع نسبهم إلى سيدنا أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وقبيلة الأغلال لها المكانة المرموقة؛ ذلك أنَّها تنتمي إلى الزَّوايا، وهي التي أسندت إليها الخُطط الدِّينيِّة، كالإمامة، والخطابة، والقضاء، والإفتاء[4].

و(النَّابغة) لقب له، لقَّبه به أحدُ مشايخه لما رآه من نباهته وذكائه[5].

شيوخه: خاله الشَّيخ عبد الله بن الفقيه الطَّالب أحمد بن الحاج مصطفى حماه الله الغلاويُّ، له قرابة الأربعين مؤلفاً، تُوفي سنة (1209هـ)[6]، والشَّيخ أحمد بن العاقل الديمانيُّ، له عدَّة مؤلفات، توفي سنة(1244هـ)[7]، والشَّيخ الحسَّانيُّ، نقل عنه في كتابه المباشر على ابن عاشر[8].

---

[1] ينظر: الجواهر الإكليليّة ص248، وموسوعة القطعاني269/2، ودليل المؤلّفين اللّيبيين ص360، ومقدِّمة تحقيق شرح الأوجليّ على المرشد المعين ص21-38.

[2] ينظر: فهرس المخطوطات 114/2.

[3] بوطليحية مقدِّمة نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيّ ص24

[4] بوطليحية مقدِّمة نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيّ ص28، والوسيط ص93.

[5] ينظر: بوطليحية مقدِّمة نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيّ ص29.

[6] فتح الشَّكور في معرفة أعيان علماء التَّكرور ص140، والوسيط ص93.

[7] ينظر: بوطليحية مقدِّمة نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيّ ص31.

[8] ينظر: بوطليحية مقدِّمة نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيّ ص31.

مؤلفاته[1]:

1. الأزهريّ شرح عبادات الأخضريَ (ت:953ه).
2. نظم البوطليحية، تحقيق ودراسة: يحيى بن البراء،(ط1، 1422ه - 2002م)، مؤسَّسة الرَّيان للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، وحُقِّقَ مرَّة أخرى باسم: نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيِّ، (ماجستير) دراسة وتحقيق، لخضر بن قومار، إشراف: منصور كافي، قُدِّمت في كلِّية العلوم الاجتماعيِّة والعلوم الإسلاميّة، قسم الشَّريعة، جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر، (2005م)، وهو نظم عدد أبياته (314) بيتاً، أوله:

يقول بادئاً بحمد اللهِ *** من بعد الابتداء ببسم اللهِ

محمَّدٌ نابغة الأغلالِ *** وقاهم الله من الأغلالِ

3. تكبير المزيَّة في شرح الهمزيَّة.
4. شرح إضاءة الدِّجنَّة في اعتقاد أهلِ السُنَّة للمَقَّريِّ (ت:1041ه).
5. شرح السّلم المنورق في علم المنطق.
6. الشَّرح الكبير على متن ابن عاشر، (مفقود).
7. شرح قصيدة عبد الله بن رَازِكَهْ العلويِّ (ت:1144ه)، وهي قصيدة في مدح نعل النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، تتكون من (65) بيتًا، أولها:

غَرامٌ سَقى قَلبي مُدامَتَهُ صِرفا *** وَلمّا يُقم لِلعَذلِ عَدلاً وَلا صَرفا

قَضى فيهِ قاضي الحُبِّ بِالهَجرِ مُذ غَدا *** مَريضاً بِداءٍ لا يُطَبُّ وَلا يُشفى

8. شرح قصيدة أبي مدين الغوث.
9. شرح قصيدة محمَّد الديالِيّ الديمانيِّ (ت:1166ه)، المتكوّنة من (44) بيتًا، ومطلعها:

إِنَّ هَمِّي كِتَابُكَ الْمُسْتَبِينُ *** يَا إِلَهِي يَا مَنْ بِهِ نَسْتَعِينُ

10. شرح قصيدة: بانت سعاد.
11. شرح لاميَّة العجم.
12. شرح مختصر خليل لم يُكمل.
13. شرح ميميّة البوصيريِّ.
14. شرح نظم البليم في العقيدة.
15. شرح نظم شيخه عبد الله بن الحاج لمختصر الأخضريِّ، والنَّظم من (277) بيتاً.

[1] ينظر: بوطليحية مقدِّمة نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيِّ ص34، والمباشر على ابن عاشر ص17.

16. فتح المربي شرح "صلاة ربي" لمحمَّد اليداليِّ (ت:1166ه)، وهي قصيدة من(47) بيتًا في مدح النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، مطلعها:

صلاة ربِّي مع السَّلامِ *** على حبيبي خيرِ الأنامِ

بادي الشفوفِ داني القطوفِ *** بَرٍّ عطوفٍ ليثٍ هُمامِ

17. المُباشر على ابن عاشر، طُبع بالمطبعة التُّونسيِّة سنة (1345ه)، كما حُقِّق في المعهد العالي للدِّارسات والبحوث الإسلاميِّة موريتانيا(1998-1990م)، وطبع مرَّة أخرى سنة(1430ه)، (2009م) بتحقيق: عبد الله ولد إبراهيم ولد عبدات.
18. مجموعة فتاوى.
19. مُغني اللَّبيب على ابن مهيب، (أشار له في شرحه على ابن عاشر)، وهو شرح عشرينيَّات ابن يخلفتن (ت627ه)، والعشرينيَّات قصيدةٌ على حروف المعجم في مدح النِّبي صلَّى الله عليه وسلَّم، وخمَّسها ابن مهيب، ومطلعها[1]:

خليليَّ عوجا بالمُحصِّب وانزلا *** ولا تبغيا عن خَيفه مُتحوَّلا

فأكرم به مَغنىً تحرَّاه منزلا *** أحق عباد الله بالمجد والعلا

نبيٌّ له أعلى الجنان مبوَّأ

20. منظومة التُّحفة، منظومة في طلب العلم وآدابه وشروطه.
21. منظومة العِدَّة في أحكام الرِدَّة، منظومة من (134) بيتاً، مطلعها:

قال محمَّد هو ابن عمرا *** حمداً لمن بالعلم قلبي أعمرا

حُقِّق في معهد ابن عبَّاس موريتانيا (1988_ 1989م).

22. منظومة دليل الحيران في حكم تعلُّم الصِّبيان.
23. النَّجم الثَّاقب في بعض ما لليداليِّ من مناقب، طبع في المطبعة المدرسيِّة بالمعهد التربويِّ الوطنيِّ، نواكشوط سنة(1994م)، بتحقيق: محمدن ولد باباه.
24. نظم الخزرجيِّة.
25. نظم "أم الطَّريد" في العبر والتَّاريخ، وأبياتها (55) بيتًا، مطلعها:

الحمد لله الغني الباقي *** مُبيد أهل الأرض والطِّبَاق

الوارث الأرض ومن عليها *** مُعِيدِ مَن مِنها انْبَرَى إليها

26. نظم حافظ الإيمان، يتكوَّن من (99) بيتًا، ذكر فيه ما ينبغي أن يتحرَّز منه المسلم ليحفظ عليه دينه، مطلعه:

---

[1] ديوان الوسائل المتقبَّلة ص3.

حمدا لمن قَبِل مِن هذي العباد *** توبتهم ولو بُعَيْد الارتداد

ثم صلاته على من حفِظَا *** به الإله دينه فانحفظا

27. نظم خطية فم الحاسي، وهو نظم في ذمِّ بعض الممارسات الَّتي تخالف الشَّرع، حُقِّق في جامعة نواكشوط سنة (1995 -1996م).

28. نظم ذات الوليّيْن ويسمى أيضاً "نظم التَّندِغيَّة"، وهو نظم في حكم المرأة الَّتي عقد لها وليَّان لمن تكون، للأوَّل أم للثَّاني، (وهي نازلة فقهِّية دار حولها خلافٌ بين العلماء، وقد عارض فيها موقف شيخه أحمد بن محمَّد العاقل)، ومطلعها:

حلفت بالبيت وبالمثاني *** ما التَّندِغيَّة لغير الثاني

لكونه خطب أيِّما بلا **** علم بمانع لها فقبلا

29. نوازل البروق في شرح بائيّة زرُّوق، وهو شرح لمنظومة زرُّوق في شمائل النِّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، عدد أبياتها (22) بيتًا، ومطلعها:

لقدْ كان خيرُ الخلقِ أبهرَ طلعةٍ ** من البدرِ بل من شمسهِ هو ألهبُ

وفاته[1]: توفِّي رحمه الله تعالى عام (1245هـ) بعد عُمر حافل، تاركًا خلفه علمًا كبيرًا يُنتفع به.

النُّسخ المعتمدة في التَّحقيق

اعتمدتُّ بتوفيق الله تعالى على ثلاث نسخ خطِّيّة، محفوظة في المكتبة الوطنيّة الفرنسيِّة، دلّني عليها الأستاذ نزار حمادي حفظه الله ووفّقه لكلِّ خير.

1. **النُّسخة الأولى:** نسخة ضمن مجموع برقم(5559)، تتكوَّن من تسع لوحات، في كل لوحة (24) سطراً، ورمزتُ لها بالرمز (أ)، بدايتها: (مبارك الابتداء ميمون الانتهاء، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم أشرح، وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وصحبه وسلَّم تسليماً، قال محمَّد النَّابغة بن أعمر، الغلاويّ نسباً، الشنجطيّ وطناً: أما بعد فهذا تعليقٌ لطيف كالطُّرَّة وضعته على الأوجليِّ الصَّغير، لينتفع به كلُّ كبير وصغير، إن شاء الله تعالى).

نهايتها: (تمَّت، الشَّرح على الأوجليِّ بحمد الله وحسن عونه، على يد العبد المذنب الفقير الراجي عفو مولاه: الطَّالب بن أنبو بن محمَّد بن عثمان بن أعمر، كتبه لأخيه وحبيبه: البشير بن الطَّالب السُّليمان، رحمه الله ولجميع المسلمين، آمين، بجاه سيِّد المرسلين تمَّت: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله).

[1] ينظر: بلاد شنقيط المنارة والرِّباط ص532، وحياة موريتانيا 7/2.

2. **النُّسخة الثَّانية:** نسخة ضمن مجموع يحمل رقم(5706)، تتكوَّن من سبع لوحات، في كلِّ لوحة (27) سطراً، ورمزتُ لها بالرمز (ب)، بدايتها:(بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم، قال محمَّد النَّابغة بن عمر الغلاويُّ نسباً الشنجيطيُّ وطناً: أما بعد فهذا تعليقٌ لطيف كالطُّرَّة، وضعته على الأوجليِّ الصَّغير).

نهايتها:(انتهى بحمد الله وحسن عونه، على يد محمَّد الأمين بن عبد الوهَّاب بن أحمد الجيد، أجاد الله عليهم بخير الدُّنيا والآخرة، وغفر لهم كلَّ الذنوب، ولجميع المسلمين والمسلمات آمين).

3. **النُّسخة الثَّالثة:** نسخة ضمن مجموع برقم(6109)، تتكوَّن من أربع لوحات، في كلِّ لوحة (40) سطراً، ورمزتُ لها بالرمز (ج).

عنوان المخطوط ونسبته وسبب التَّأليف وأهمِّيّته

لم يَرِدِ العنوان في المخطوطات الثَّلاث، ولم أجد له ذكراً في كتب الفهارس الأخرى، إلَّا أنَّه في فهرس آل البيت سُمّي باسم: التَّعليق اللَّطيف على الأوجليِّ الصَّغير[1]، ويبدو أنَّهم أخذوا هذا العنوان من مقدِّمة الكتاب، حيث قال العلَّامة الغلاويُّ: " أما بعد: فهذا تعليقٌ لطيف كالطُّرَّة، وضعته على الأوجليِّ الصَّغير". وذكر هنا عبارة "الأوجليّ الصَّغير" إشارةً إلى أنَّ للأوجليِّ نظمان: الصَّغير، وهو هذا المتكوِّن من (62) بيتاً، والنَّظم الكبير: المتكوّن من (184) بيتاً، والمسمّى دليل القائد. وذُكر في بعض الكُتب الَّتي ترجمت للعلَّامة الغلاويّ أنَّ اسم الكتاب: " شرح نظم البليم في العقيدة"[2]، وكأنَّهم أخذوا هذا من قول الأوجليِّ في آخر منظومته هذه التي شرحها الغلاويُّ:

نَظَمَهُ العَبْدُ المُلَقَّبُ البَلِيمْ *** الصَّالِحُ المَعْرُوفُ مِنْ نَسْلِ سَلِيمْ

وقد اخترتُ الأوّل؛ لأنَّه مأخوذٌ من كلمات الشَّارح.

وأمَّا **نسبة الكتاب** فهي ثابتةٌ له، بدليل قوله في أوَّل الكتاب في النُّسخ المخطوطة الثَّلاث: " قال محمَّد النَّابغة بن عمر، الغلاويُّ نسباً، الشنجطيُّ وطناً: أمَّا بعد فهذا تعليقٌ لطيفٌ كالطُّرَّة، وضعته على الأوجليِّ الصَّغير؛ لينتفع به كلُّ كبير وصغير، إن شاء الله تعالى"، كما ذكره كلُّ من ترجم له ضمن مؤلفاته.

[1] ينظر: فهرس آل البيت624/2. وقد سها المفهرسون وجعلوا هذا الكتاب ضمن كتب الفقه.

[2] ينظر: بوطليحية مقدِّمة نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيِّ ص34، والمباشر على ابن عاشر ص17.

وقد أبدى **سبب شرحه** لهذه المنظومة بقوله: " لينتفع به كل كبير وصغير، إن شاء الله تعالى؛ إذ هذا النَّظم ما هو إلا كما قيل:

على مِثْلِ ليلى يَقتلُ المرءُ نفسَهُ *** ويَحلو لهُ مرُّ الغرامِ ويَعْذبُ

وكأنَّه لمَّا رأى هذه المنظومة يحفظها الكبار والصغار، وكثيرة الانتشار، أراد أن يشرحها شرحاً موجزًا لتعُمَّ به الفائدة والنَّفع؛ لأنَّها منظومةٌ نفيسةٌ مميزةٌ.

وأمّا **أهمّيّة المخطوط** فهي نابعة من أنَّ المتن أحد المقرّرات المهمّة في ذلك العصر، عدد أبياته (62) بيتًا، شرحه عالمٌ مالكيٌّ مميّزٌ، وهو العلامة الغلاويُّ الَّذي انتشر صيته من خلال كتابه: نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيِّ، المُسمَّى: البوطليحية، ولا يخفى أنَّ اهتمام الغلاويُّ بهذه المنظومة وغيره من الشّراح المحلّيين؛ يوحي بأنّها ذاتُ بُعد معرفيٍّ مهمّ؛ لذلك ينبغي مدارستها والاهتمام بها.

العمل في التَّحقيق

سلكت المنهجيّة الآتية في تحقيق هذا المخطوط:

1. نقل النَّص إلى الكتابة الإملائيّة، مع وضع علامات التَّرقيم المناسبة.
2. مقابلة النُّسخ الثَّلاث.
3. ترجمة الأعلام الواردين في المخطوط.
4. ضبط بعض الكلمات بالشَّكل.
5. توثيق النُّصوص من مصادرها.
6. إضافة النَّظم أعلى النَّص المشروح توضيحًا؛ لأنَّ الشَّارح اختار طريقة المزج في الشَّرح.

نماذج من النُّسخ المخطوطة المعتمد عليها في التَّحقيق:



اللوحة الأولى من النسخة (أ) - اللوحة الأخيرة من النسخة (أ)

اللوحة الأولى من النسخة (ب) - اللوحة الأخيرة من النسخة (ب)

اللوحة الأولى من النسخة ج - اللوحة الأخيرة من النسخة ج

النَّصُّ المُحقَّقُ

التّعليق اللَّطيف على الأوجليّ الصَّغير

تأليف: محمَّد النَّابغة بن عمر، الغلَّاويِّ الشنقيطيِّ (ت1245هـ)

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم[1]

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً.

قال محمّد النّابغة بن عمر، الغلّاويُّ نسباً، الشّنقيطيُّ وطناً:

أمّا بعد:

فهذا تعليقٌ لطيفٌ كالطُّرَّة، وضعته على الأوجليِّ الصّغير؛ لينتفع به كلُّ [كبير وصغير][2]، إن شاء [الله تعالى][3]؛ إذ هذا النَّظم ما هو إلا كما قيل:

عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ *** ويَحْلُو لَهُ مُرُّ الْغَرَامِ ويَعْذُبُ[4]

[قال][5] [رحمه الله تعالى][6]:

الحَمْدُ لِلفَرْدِ القَدِيمِ فِي الأَزَلْ   لَهُ البَقَاءُ فِي الوُجُودِ لَمْ يَزَلْ

(الحَمْدُ لِ) لَّه **(الفَرْدِ)** أي: الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، **(القَديمِ في الأَزَلْ)** القديم: الَّذي لا أوَّل له، **(لَهُ)** تعالى **(البَقاءُ فِي الوُجُودِ لَمْ يَزَلْ)** أي: لم يزل بقاؤه موجودًا إلى ما لا نهاية له.

الصَّمَدُ المُهَيْمِنُ القَدِيرُ   لَيْسَ لَهُ فِي مُلْكِهِ نَظِيرُ

(الصَّمَد) بالجرِّ والرَّفع، [هو][7] الَّذي يُقصد ويُهرب إليه في الحوائج خوفاً وطمعاً، **(المُهَيْمِنُ)** بالجرّ والرّفع، أي: [المؤتمن][8] أو الأمين [والشّاهد][9]، كما في القاموس[10]، **(القَديرُ)** ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى

---

[1] في (أ) زيادة عبارة (أشرح)

[2] في (ب) و(ج) :[صغير وكبير].

[3] سقط من (ب) و(ج).

[4] من البحر الطَّويل، والبيت منسوب لمجنون ليلى قيس بن الملوَّح

[5] سقط من (ج).

[6] سقط من (ب).

[7] سقط من (ب).

[8] في (ب): [المؤمّن].

[9] في (ب) و(ج): [أو الشاهد].

[10] ينظر: لسان العرب مادة : همن.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، **(لَيْسَ لَهُ)** تعالى **(فِي مُلْكِهِ)** [مثلّث الميم][2]، **(نَظير)** أي: مماثل، كما قال قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[3].

وَصَــــلَوَاتُهُ عَلَــــى الــــدَّوَامِ   مَــــعَ السَّــــلاَمِ سَــــائِرِ الأَيَّــــامِ

وبعد الحمدلة والبسملة **(وصَلَواتُهُ[4])** أي: [زيادة][5] إكرامه وإنعامه، **(على الدَّوامِ)** أي: دائماً سرمداً **(مَعَ السَّلام)** أي: سلامه تعالى، وهو زيادة تأمينه، **(سائرَ)** منصوباً [بنزع الخافض][6]، أي: أي: جميع **(الأيّام)** واللَّيالي.

عَلَــــى نَبِــــيٍّ جَاءَنَــــا بِالشَّــــرْعِ   مِــــنْ خَيْــــرِ أُقْنُــــومٍ وَخَيْــــرِ فَــــرْعِ

مُحَمَّــــدٍ خَيْــــرِ الأَنَــــامِ الطَّــــاهِر   وَالآلِ وَالصَّــــحْبِ ذَوِي المَــــآثِر

(على [نبيّ][7] جاءَنا) أي: رسولاً من عند الله، (بِ) الأمر باتّباع **(الشَّرْعِ)**؛ [لقوله][8] تعالى: {شَرَعَ لَكُم لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا} الآية[9].

(مِنْ خَيْرِ أُقْنومٍ) بضمّ الهمزة، أي: أصل ومنبت، **(وَ)** من **(خَيْرِ فَرْعِ)** الفرع: ما يتولَّد من الأصل والمراد بالأصل: [آباؤه ﷺ، كما أنّ المراد بالفرع][10] هو ﷺ كما قال الفَازَازِي[11]:

فَنَاهِيكَ مِنْ أَصْلٍ وَنَاهِيكَ مِنْ فَرْعِ

ومعنى ناهيك: كافيك.

---

[1] [البقرة/20]

[2] زيادة من (ب)و(ج).

[3] [الشورى/11]

[4] في (ج) :[فصلواته].

[5] في (ب): [زيادات].

[6] زيادة من (ب) و(ج).

[7] في (أ) :(النبي).

[8] في (ب) و(ج): (قال).

[9] [الشورى/ 13].

[10] سقط من (ج)

[11] عبد الرَّحْمَن بن يخلفتن بن أَحْمد الفازازي الْقُرْطُبِيّ، شاعر وكاتب، كان والده قاضياً بقرطبة، ونزل هو تلمسان وله زهد، وشعر مشهور في مدح النَّبِيّ صلَّى الله عليه وسلَّم توفي عام 627هـ ينظر: الوافي بالوفيات 18/ 182.

ويحتمل على [بعد][1] أنّ المراد بالأصل: الإيمان، والفرع: سائر الأحكام [الشّرعية][2]، ويحتمل غير ذلك، والأَوْلى ما قدَّمناه؛ إذ هو [المتبادر][3] من سياق النّظم، بدليل قوله: **(مُحَمَّدٌ خَيْرُ الأَنَامِ)** أي: الخَلْق، قال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾[4].

(الطّاهِرُ) ﷺ، **(وصَلَواتُهُ على الآلِ)** [أي: آله ﷺ، والمراد بهم في باب الدّعاء الأتقياء، "آل محمَّد كُلُّ مؤمن تقيّ"[5]، **(و)** صلواته على][6] **(الصَّحْبِ)** [أي: صحبه][7] ﷺ، [كُلُّ][8] من اجتمع معه مؤمناً مؤمناً وإن مَلَكاً كجبريل، ومات على ذلك، فجبريل وعيسى عليهما السّلام صحابيّان، وبهما يُلغز[9]: يُلغز[9]:

[1] زيادة من (ب) و(ج).

[2] في (ج):[الشريعة].

[3] في (أ) [المبادر]

[4] [الرحمن/ 10]

[5] ذكره العجلوني في كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس25/1 وقال: " 17- آل محمد كل تقي2./

قال السيوطي: لا أعرفه، وقال في الأصل: رواه الديلمي وتمام بأسانيد ضعيفة، فلفظ تمامه عن أنس: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آل محمد؟ فقال: كلُّ تقيٍّ من أمَّة محمَّد، ولفظ الديلميّ: آل محمَّد كلُّ تقيٍّ، ثم قرأ: {إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ} 3 ولكن شواهده كثيرة، منها ما في الصحيحين من قوله -صلى الله عليه وسلم: "إنَّ آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليِّي الله وصالحو المؤمنين "، وقال الشيخ محمد الزرقاني في مختصر المقاصد الحسنة: هو حسن لغيره، انتهى. وقال النجم: وفي لفظ: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آل محمد؟ فقال: كلُّ تقيٍّ، قال: وروي عن عليٍّ -رضي الله عنه- وأنَّه السَّائل، وأسانيده ضعيفة، ولكن له شواهد، قال: ورأيته في بعض كتب النَّحو بلفظ: آلي كلُّ مؤمن تقيٍّ، ويستشهد به على إضافة الآل إلى الضمير انتهى، وقد بين السخاوي شواهده في كتابه ارتقاء الغرف، وقد حمل الحليمي الحديث على كل تقي من قرابته خاصة دون عموم المؤمنين لحديث أنه -صلى الله عليه وسلم- كان إذا ضحى أتى بكبشين فذبح أحدهما عن أمته من شهد لله بالتوحيد وشهد له بالبلاغ، وذبح الآخر عن محمد وآل محمد انتهى، وأقول: ينبغي حمل هذه الأحاديث وما أشبهها على الكاملين من آله، وإلا فلا شك أن من صحت نسبته إليه فهو من آله وإن لم يكن تقيًّا حيث كان مؤمنًا؛ لأن العقوق لا يقطع النسب، ومحبتهم لكونهم من آله متحتمة على كل مؤمن لشرفهم بالانتساب إليه -صلى الله عليه وسلم- قال الله تعالى: {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} 4

[6] سقط من (ب).

[7] في (ب) و(ج): [وأصحابه].

[8] سقط من (ب).

[9] من قول العلامة السبكي في الأشباه والنظائر347/2، وتمام اللغز:

مَنْ باتِّفاق جميعِ الخلقِ أفضلُ منْ *** شيخ الصِّحاب أبي بكر ومنْ عمر

[مَنْ بِاتِّفَاقِ جَمِيعِ النَّاسِ][1] أَفْضَلُ مِنْ *** خَيْرِ الصِّحَابِ أَبِي بَكْرٍ وَمِنْ عُمَرَ؟!

(ذَوِي) أي: أهل وأصحاب، **(المَآثِرِ)** أي: المكارم [والفضائل][2].

وَبَعْــــدُ فَالمَقْصُــــودُ مِــــنْ نِظَــــامِ سَــــبْكِي جَــــوَاهِرًا مِــــنَ الكَــــلاَمِ

وَذَاكَ مَــــا يَــــدْخُلُ تَحْــــتَ قَــــوْلِي شَــــهَادَةِ الإِسْــــلاَمِ فَــــافْهَمْ قَــــوْلِي

(وبعدُ) بضمِّ الدّال، أي: بعد البسملة [وما بعدها][3]، **(فالمَقْصُودُ مِنْ نِظامي)** بهذا النّظم، **(سَبْكِي)** يُقال: سَبَكَ الفضَّة [إذا][4]: جعلها في النّار، فإذا بها **(جَواهِراً)** جمع [جوهرة][5]، وهي الحجر النّفيس كالياقوت، **(مِنَ)** عِلمْ **(الكَلامِ)** وهو التّوحيد، ويُسمّى: أصول الدّين، فاستعار بالسَّبْك للنّظم وبالجواهر للعقائد، بدليل قوله: **(وَذاكَ)** المسبوك من [الجوهر][6] [هو][7]: **(ما يَدْخُلُ تَحْتَ قَوْلِ شهادةِ)** أن لا إله إلَّا الله محمَّدٌ رسول الله ﷺ، التي هي أوّل ما يدخل به [في][8] **(الإِسْلَام)**.

وجملة **(فَافْهَمْ قَوْلِي)** تتميم للبيت [للوزن][9]، وفيه [تحضيض][10] على فهم التّوحيد؛ إذ الطَّريق فيه واحد، فمن حاد عنه حاد إلى النّار، وفَّقنا الله وإيّاكم [للصّراط][11] المستقيم.

مِــــنَ العَقَائِــــدِ وَتِلْــــكَ سِــــتَّةُ مِــــنْ بَعْــــدِ سِــــتِّينَ كَــــذَاكَ أَثْبَتُــــوا

(مِن) [بيانيّة] أي: الَّذي يدخل تحت قول شهادة الإسلام، من **(العقائد)** الَّتي تجب على المكلّف معرفتها، **(وَذاكَ)** الَّذي يدخل تحتها على سبيل البسط، **(سِتَّةٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّيْنَ)** أي: ست وستّون عقيدة، **(كَذاكَ أَثْبَتوا)** أي: استنبطها العلماء، وأوّل من [أخرج][1] ذلك السَّنُوسِيّ[2].

ومن عليٍّ ومن عثمان وهو فتى *** من أمَّة المصطفى المبعوث في مضر

[1] في (ب):[باتفاق جميع].

[2] زيادة من (ب).

[3] سقط من (ب).

[4] في (أ):[أي].

[5] في(ب):[جوهرية].

[6] في (ب) :[جواهر].

[7] سقط من (ب).

[8] سقط من (ب).

[9] في (ج):[وللوزن].

[10] في (ب) :[التحضيض].

[11] في(ب) و(ج):[للطريق].

فَتَحْـــــتَ قَـــوْلِ لاَ إِلَـــــهَ إِلَّا اللهُ عَـــــــزَّ رَبُّنَـــــا وَجَـــــلَّ

خَمْسُـــونَ مِـــنْ عَقَائِـــدِ الإِيمَـــانِ فَاصْـغِ لِمَـــا أُبْدِيـــهِ مِـــنْ إِحْسَـــانِ

وصِفَةُ ذلك [المعنى][3] أن تقول: **(فَتَحْتَ)** معنى قول **(لا إِلَهَ إِلّا الله)** عزّ ربّنا وجلّ، **(خَمْسونَ)** عقيدة **(مِنْ عَقائدِ الإِيْمانِ).**

(فاصْغِ) أي: استمع [وأنصت][4] **(لِما)** أي: [الذي][5] **(أُبْدِيهِ)** أي: أُظهره لك **(مِنْ إِحْسان)** من التّوحيد الدّاخل تحت الشّهادتين، فالمراد بالإحسان هنا: التّوحيد، على أحد تأويلات قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾[6].

إِذ الإِلَـــهُ ذُو الغِنَـــى عَـــنْ كُـــلِّ وَكُلُّهُـــــمْ مُفْتَقِــــرُونَ مِثْلِـــي

(إِذِ) [معنى][7] **(الإِلَهُ ذو الغِنَى)** [أي: الغنيُّ][8] **(عَنْ كُلِّ)** ما سواه، والمفتقر إليه كلّ ما عداه، وإلى ذلك الإشارة بقوله: **(وَكُلُّهُمْ مُفْتَقِرونَ)** أي: الآلهة التي غير الله **(مِثْلي)** في الافتقار والاحتقار، فالله هو الغنيّ.

فَـــــدُونَكَ الغِنَــــى وَالافْتِقَـــارُ تَحْتَهُمَـــــا تَفَرَّعَـــــتْ آثَـــــارُ

(فَدُونَكَ) اسم فعل بمعنى: خُذ **(الغِنَى)** المذكور في قوله: **(إذا الإله ذو الغنى عن كلِّ)**، **[(وَ)]**[9] دونك **(الافْتِقارُ)** المذكور في قوله: **(وكلهم مفتقرون [مثلي][10])**، **(تَحْتَهُما)** أي: الغنى والافتقار، **(تَفَرَّعَتْ)** [أي:][11] تنشّأت وكثرت، **(آثارُ)** والمراد بالآثار في كلامه: الخمسون عقيدة [المذكورة][1].

---

[1] في (ب): [خرج].

[2] هو محمَّد بن يوسف بن عمر السنوسي، من كبار العلماء والصَّالحين، من أهل تلمسان، له مؤلفات كثيرة، منها: العقيدة الكبرى، والعقيدة الوسطى، وأمُّ البراهين (العقيدة الصغرى)، وغيرها، توفي سنة895هـ ينظر: تعريف الخلف برجال السلف ص176.

[3] زيادة من (ب).

[4] زيادة من (ج).

[5] زيادة من (ج).

[6] [الرحمن/60]، وينظر: مفاتيح الغيب377/29.

[7] سقط من (ب).

[8] زيادة من (ب)، و (ج).

[9] سقط من (ج).

[10] زيادة من (ج).

[11] زيادة من (ج).

تَحْــتَ الغِنَــى الوُجُــودُ ثُــمَّ القِــدَمُ كَــــذَا البَقَــــاءُ دَائِـــمٌ مُلْتَــــزَمُ

[وأشار إلى كيف اندراج ما يندرج تحتهما من الخمسين][2] بقوله: (تَحْتَ الغِنَى الوُجودُ)؛ لأنّه لو لم يكن موجوداً لكان معدوماً، والمعدوم محتاج، (ثُمَّ) تحته أيضاً (القِدَم)؛ لأنّه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، والحادث محتاج، ([كذا][3]) تحته أيضاً (البَقاءُ دائِمٌ مُلْتَزَم) أي: بقاؤه دائم لازم؛ لأنّه لو لم يكن باقياً لكان فانياً، والفاني حادث، والحادث محتاج.

مُخَـــــالِفٌ لِغَيْــــــرِهِ وَقَـــــائِمُ بِنَفْسِــــهِ جَــــلَّ الإلَـــــهُ الـــــدَّائِمُ

وتحته أيضاً: المخالفة للحوادث، المشار إليها بقوله: (مُخالِفٌ لِغَيْرِهِ)؛ لأنّه لو ماثل الغير لكان حادثاً، والحادث محتاج، (وَ) تحته أيضاً القيام بالنّفس، كما في قوله: ([و][4] قائِم بِنَفْسِهِ) تعالى لأنّه لو لم يكن قائماً بنفسه لكان محتاجاً، والاحتياج حيث هو ينفيه الاستغناء المذكور.

(جَلَّ) تنزّه (الإلَه) عن النّقائص، كعدم قيامه بنفسه، كيف وغناؤه يوجب له عدم ذلك (الدّائِم) الغنى.

وَالسَّـــــمْعُ وَالبَصَـــــرُ وَالكَـــــلاَمُ وَلاَزِمٌ لَهَـــــا بِهَـــــا التَّمَـــــامُ

(وَ) تحته أيضاً (السَّمْعُ، وَ) تحته أيضاً (البَصَرُ، وَ) تحته أيضاً (الكَلامُ، و) تحته أيضاً (لازِمُ لَها) أي: لتلك الصّفات، والمراد باللازم: معنويّتها (بِها التّمام) أي: المتمّمة لها.

وَهْــيَ سَــمِيعٌ وَبَصِــيرٌ يَـــا رَضِــي وَمُـــــتَكَلِّمٌ وَنَفْـــــيُ الغَـــــرَضِ

(وَهِيَ) [أي: المعنويّة][5] (كَوْنُهُ سَميعاً)، وكونه (بَصيراً).

قوله: (يا رَضيّ) تتميم للبيت للوزن، بمعنى: يا مُحبّ،

(وَ) كونه (مُتَكَلِّماً وَ) تحته أيضاً (نَفْيُ) أي: عدم (الغَرَض) أي: الحاجة في أفعاله تعالى من إيجاد وإعدام، وفي أحكامه من تحليل وتحريم وإباحة، فالغرض في ذلك كلّه مستحيل على الله تعالى.

نَفْــيُ وُجُــوبِ الفِعْــلِ بَعْــدَهُ ثَبَــتْ وَنَفْــــيُ تَــــأْثِيرٍ بِقُــــوَّةٍ جَــــرَتْ

---

[1] سقط من (ج).

[2] سقط من (ج).

[3] في (ب) :[ثم].

[4] زيادة من (ج).

[5] سقط من (أ).

وتحته أيضاً: **(نَفي)** أي: عدم **(وُجوب الفِعْلِ)** أي: لا يجب عليه تعالى فعل شيء من الممكنات ولا تركه، **(بَعْدَهُ)** أي: بعد نفي الغرض، **(ثَبَت)** نفي وجوب الفعل بالدّليل والبرهان، كما في القرآن وأمُّ البراهين، **(وَ)** تحته **(نَفْيُ)** أي: عدم **(تَأثيرٍ)** أي: إيجاد وإعدام بقوةٍ [لممكن **(جَرَتْ)** فيه][1] واسطة،

كَالْمَاءِ فِي الرِّيِّ، وَكَالسِّكِّينِ *** وَالنَّارِ فِي الْقَطْعِ وَفِي التَّسْخِينِ[2]

[وقوّة][3] العبد وغير ذلك.

وَتَحْتَهَـــا أَضْـــدَادُهَا وَهْـــيَ العَـــدَمُ   كَـــذَا الحُـــدُوثُ وَطُـــرُوٌّ لِلعَـــدَمْ

وَتَحْتَ هذه [الصّفات][4] المذكورة الَّتي تجب **(أَضدادها)** المراد: منافياتها، إذ بعضها ضدّ، كما في النّظم، وبعضها نقيض، والفرق بين الضدّ والنّقيض وظيفة أهل المنطق[5]، فلا نشوّش على المبتدئ بها؛ إذ الكتاب إنما قصد به مؤلّفه تعليم العامّة كالنّساء وأهل البادية، فلا يُزاد [لهم][6] على تقرير النّص، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾[7]، وفي البُخَارِي[8] أنّ الربّاني الربّاني هو: الذي يربّي النّاس بصغار العلم قبل كباره[9]، وقد قال ﷺ: ([كَلِّمُوا][10] النّاس بما يعرفُون)[11]، وقال ﷺ: (حدِّثوا النّاس بِمَا يَفْقَهُون)[1].

---

[1] في (ب): [لكن جرت فيه]، وفي (أ):[لممكن فيه].

[2] من متن إضاءة الدِّجنَّة في عقائد أهل السُّنَّة. ينظر: رائحة الجنَّة شرح إضاءة الدِّجنَّة في عقائد أهل السُّنَّة ص61.

[3] في (أ): [وقدرة].

[4] سقط من (ج).

[5] النقيضان: لا يجتمعان في محلٍ ولا يخلو منهما محلٌ، مثل: الموت والحياة.

الضِّدان: لا يجتمعان في محلٍ ولكن قد يخلو منهما المحلُ، مثل: المشي والجري. ينظر:

[6] زيادة من (ب) و(ج).

[7] [آل عمران/ 79].

[8] محمَّد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح، أخذ عن الأعلام، ورحل إلى البلدان، وأسند الأحاديث وعقد مجالس السَّماع، توفي عام 256هـ. ينظر: الوافي بالوفيات2/ 149.

[9] صحيح البخاري25/1.

[10] في (ب): [كلم].

[11] أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب: من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه موقوفاً نحوه، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير للديلمي عن علي رضي الله عنه مرفوعا.

وقال الْجُنَيْد[2]: الجواب على قدر السّائل لا على قدر [المسائل][3]، ومن ثَمَّ كُفِّر جمعٌ محقِّقون وبُدِّعوا، ولا كفروا ولا ابتدعوا، فلكلّ مقام مقال، ولكلّ علم رجال، فما كلّ علم يذكر لكلّ أحد، قاله الْمَنَاوِيُّ[4].

وقد قال الشَّيخ سيدي أحمد زرّوق[5]: الإحاطة متعذّرة، والأفهام غير [متساوية][6]، فمن أجاب عن كلّ مسؤولٍ فلابدّ أن يجيب بما [لا][7] يعلم، فقد عرَّض نفسه للإنكار عليه، وسُئل بعضهم عن مسألة فلم يجب عنها، فقال [له][8] السّائل: "مَنْ كَتَمَ عِلْماً أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ نار"[9]، فقال له العالم: ضع اللّجام واذهب، فإنْ جاء من يستحقّه وكتمتُه عنه فليلجمني[10].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب: من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقوفاً به.

[2] الجنيد بن محمد الجنيد البغداديّ، من شيوخه: السريّ السقطي، والحارث المحاسبي، أخذ عنه كثيرون، وهو أستاذ مدرسة التربية والتزكية المضبوطة بالكتاب والسنّة، توفي عام 298هـ الوافي بالوفيات11/ 155.

[3] في(ج):[المسؤول].

[4] الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية ص142.

والمناويُّ: عبد الرؤف بن تَاج العارفين بن عَليّ المناويّ، من شيوخه: الشمس الرمليّ، والنجم الغيطيّ، وعبد الْوَهَّاب الشعرانيّ، درس في المدرس الصَّالحية، من تلاميذه: سليمان البابليّ، وعلي الأجهوريّ، له كتب كثيرة جداً منها: الروض الباسم، وفيض القدير، توفي 1031هـ ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر2/412.

[5] أحمد بن أحمد بن محمَّد زروق البرنسيّ الفاسيّ، أخذ عن أعلام كثر في مختلف العلوم، واهتمَّ بطلب الحديث الشَّريف، فسمع صحيح البخاريّ وجامع الترمذيّ على شيوخه، وأخذ المسلسلات والأسانيد العالية والإجازات، من شيوخه: القوريّ، والرصاع، والسخاويّ، كما اهتم بكتابة التعاليق والشروحات الحديثية، وتخريج التلاميذ المتقنين، من تلاميذه: محمد بن علي الخروبيّ، ت بمصراته عام 899هـ ينظر: كنَّاش زرُّوق اللوحة 233، ودرَّة الحجال في أسماء الرجال ج1 ص90، وكفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدِّيباج ص126.

[6] في (ج):[مستوية].

[7] في (ب): [لم].

[8] سقط من (ب).

[9] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط293/7، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وله شواهد من حديث ابن عباس وابن عمر وابن مسعود وغيرهم.

[10] شرح الحكم العطائية ص91.

[فالأحوال][1] والأوقات مختلفة، فرُبَّ مسألة يليق ذكرها في وقتٍ دون وقتٍ، ورُبَّ علم خُوطب به في محلّ دون آخر، وصحَّ ذكره في زمان [دون زمان][2]، ولناسٍ دون ناسٍ آخرين، وفي كلّ علم ما يخصُّ ويعمُّ، وليس التّصوّف بأولى من غيره في ذلك، انتهى كلام زرّوق باختصار[3].

وفي الحِكَم لابن عطاء الله[4]: من رأيته مجيباً عن كلّ ما سُئل، وذاكراً كلّ ما علم، ومعبِّراً عن كلّ ما شهد، فاستَدِلَّ بذلك على وجود جهله[5].

وقال علي بن الحسين بن علي ﷺ[6]:

يَا رُبَّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ *** لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثَنَا

أَوِ اسْتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي *** يَرَوْنَ أَقْبَحَ مَا [يَأْتُونَهُ][7] حَسَناً

إِنِّي لَأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرَهُ ... كَيْ لَا يَرَاهُ أَخُو جَهْلٍ فَيَفْتِنَنَا

وقال الشّافعي ﷺ مُستدلًّا بحديث: (لَا تُؤْتُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا [مِنْ][8] أَهْلِهَا [فَتَظْلِمُوهُمْ][9])[10]:

سَأَكْتُمُ عِلْمِي عَنْ ذَوِي الْجَهْلِ غَايَةً *** وَلَا أَنْثُرُ الدُّرَّ النَّفِيسَ عَلَى الْغَنَمْ

فَمَنْ مَنَحَ الجُهَّالَ عِلْماً أَضَاعَهُ *** وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ

وقال الحُكماء: زيادة العلم في [رجل][11] السّوء كزيادة الماء في أصول الحنظل، كلّما ازداد ريًّا [ازداد][12] مرارة.

---

[1] في (ب) و(ج): [فالمحال].

[2] زيادة من (ج).

[3] شرح الحكم العطائية ص92.

[4] تاج الدين أحمد بن محمد ابن عطاء الله الشاذليّ الإسكندرانيّ، أخذ عن أبي العباس المُرسي وغيره، وأخذ عنه عنه كثيرون، وله مؤلفات منها: لطائف المنن، توفي عام 709هـ ينظر: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر53/6.

[5] شرح الحكم العطائية ص91.

[6] زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، له مناقب كثيرة، في العلم، وفعل الخيرات، توفي بالمدينة المنورة عام 94هـ ينظر: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر494/1.

[7] في (ج):[يأتي به].

[8] سقط من (ب) و(ج).

[9] في (ج):[فتظلموها].

[10] ذكره العجلونيُّ في كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة النّاس461/2، وعزاه لابن عساكر وغيره، من كلام نبيِّ الله عيسى عليه السلام.

[11] في(ب) و(ج):[الرجل].

[12] في(ب):[زاد]، وفي (ج):[يزداد].

وفي تحريم الطُّرر لشيخنا [عبد الله بن الحاج -رحمه الله-][1]:

وَأَنَّهُمْ يُطَرِّرُونَ الْأَخْضَرِي ... لِلْمُبْتَدِينَ طُرَرَ الْمُخْتَصَرِ[2]

وانظره فقد أجاد فيه وأبدع.

وبهذا يُجاب [عن][3] تقصيرنا في هذا الشّرح وغيره؛ لأنّ التّقليل والتّقصير هو المناسب في [تعليم][4] أبناء الدّنيا في هذا الزّمان، وإلّا [فالطّول قد أدّى][5] إلى التّقليد.

(وَهِيَ) أضداد المعاني والمعنويّة، على اللّف والنّشر المرتّب، [الأولى للأولى][6] على التّرتيب: **(العَدَم)** السّابق، ضدّ الوجود، **(كذا الحُدوثُ)** ضدّ القدم، **(وَطُروءُ)** أي: حدوث **(العَدَم[7])** اللّاحق.

مُمَاثِــــلٌ مُفْتَقِــــرٌ وَالصَّـــمَمُ ... ثُـــمَّ العَمَـــاءُ وَيَلِيـــهِ الـــبَكَمُ

(مُماثِلٌ) [ضدّ المخالف][8] لغيره، **(مُفْتَقِرٌ)** ضدّ [قائم][9] بنفسه، **(وَالصَّمَم)** وهو الطّرش ضدّ السّمع.

(ثُمَّ) [أي: بعد معرفتكم لما تقدّم][10]، **(العَماءُ)** بالمدّ للوزن، ضدّ البصر، **(وَيَليهِ)** أي: يتبع العمى **(البَكَم)** ضدّ الكلام.

وَلاَزِمٌ وَهْـــيَ أَصَـــمّ أَعْمَــــى ... وَأَبْكَـــم فَـــافْهَمْ أَصَـــبْتَ المَرْمَـــى

وتحت الغنى أيضاً، **(لازِمٌ)** لهذه[11] الصّفات [من][1] معنويّتها، **(وهي)** كونه تعالى **(أَصَمّ)** ضد كونه سميعاً، وكونه **(أَعْمى)** ضدّ كونه بصيراً، وكونه تعالى **(أَبْكَم)** ضدّ كونه متكلّماً.

---

[1] سقط من (ب)، و(ج). وعبد الله بن الحاج هو: عبد الله بن أحمد بن الحاج المصطفى الغلاويُّ الشنقيطيُّ، من شيوخه: مالك المختار الغلاويُّ، له كتب كثيرة جداً، منها: شرح إضاءة الدجنّة، ونظم الأخضري وشرحه، ودفع الضرر في تحريم الطّرر، توفي1209هـ ينظر: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص 170.

[2] الكتاب هو: دفع الضرر في تحريم الطرر، ينظر: فتح الشكور ص172.

[3] في (ب): [على].

[4] سقط من (ج).

[5] في (ج):[فالتطويل قد قاد].

[6] في (أ):[الأول].

[7] في(ب):[للعدم].

[8] في (ب):[هذا مخالف]، و(ج):[ضد مخالف].

[9] في(ب) و(ج):[وقائم].

[10] زيادة من (ج).

[11] في(ب):[هذه]، وفي (ج):[لهذه].

(فافْهَمْ أَصَبْتَ) أي: أعطاك الله، **(المَرْمى)** [أي:][2] المطلب [و][3] المقصد، هذا دعاء، [أي:][4] أصاب الله بك الصّواب، وإنّما حضّض على الفهم؛ لأنّ من لا فهم له لا نصيب له من الإيمان؛ إذ المراد من العلم فهمه لا حفظ حروفه، [لقوله][5]: ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[6].

إِنَّ الرُّوَاةَ بِلَا فَهْمٍ لِمَا حَفِظُوا... مِثْلَ الْجِمَالِ عَلَيْهَا يُحْمَلُ الْوَدَعُ

لَا الْوَدَعُ يَنْفَعُهُ حَمْلُ الْجِمَالِ لَهُ ... وَلَا الْجِمَالُ بِحَمْلِ الْوَدَعِ تَنْتَفِعُ[7]

كَذَا ثُبُوتُ غَرَضٍ لِلبَارِي فِي الحُكْمِ أَوْ فِي فِعْلِهِ المُخْتَارِ

(كَذا) تحت الغنى **(ثُبوتُ غَرَضٍ)** أي: حاجة، ضدّ نفي الغرض، **(لِلباري)** أي: الخالق سبحانه وتعالى، **(في الحُكْمِ)** أي: في حكمه **(أَو في فِعْلِهِ المُخْتارِ)** الممكن.

كَذَا وُجُوبُ الفِعْلِ مَع ثُبُوتِ * تَأْثِيرِ قُوَّةٍ وَذِي النُّعُوتِ**

فِي اللهِ مُسْتَحِيلَةٌ فَدُونَكَ * ثَمَانٍ مَعْ عِشْرِينَ فَافْهَمْ ذَلِك**

تُؤْخَذُ مِنْ غِنَاهُ يَا أُخَيّ * سُبْحَانَهُ مِنْ مَالِكٍ غَنِيّ**

(كَذا) تحته **(وُجوبُ الفِعْلِ)** عليه تعالى **(مَع ثُبوتِ تَأثيرِ قُوَّةٍ وَذِي)** [أي:][8] أصحاب **(النُّعوتِ)** جمع نعت، أي: الأوصاف المذكورة المستحيلة في حقّه تعالى، وهي العدم وما بعده، والمراد بذي النّعوت: الممكنات الموصوفة بهذه الصّفات، الّتي كلّها **(في)** حقّ **(اللهِ)** تعالى **(مُسْتَحيلَة)** لا يصحّ في العقل وجودها، وإنّما استحالت عليه تعالى [الوجوب][9] أضدادها المتقدّمة في قوله: **(تحت الغنى الوجود)**، إلى قوله: **(ونفي تأثير بقوّة جرت)**.

(فَدونَك)، **(ثَمانٍ مَع عِشْرينَ فافْهَمْ ذَلِك)**، **(تُؤْخَذُ مِنْ غِنَاهُ يَا أُخَيّ)**، **(سُبْحَانَهُ مِنْ مَالِكٍ غَنِيّ)** [أي: لك غنى][10].

---

[1] سقط من (ج).

[2] زيادة من (ج).

[3] في (ب): [أو].

[4] سقط من (ج).

[5] سقط من (ب) و(ج).

[6] [الجمعة/ 5].

[7] الأبيات نُسبت لعمَّار الكلبيِّ، وهي من البحر البسيط. ينظر: جامع بيان العلم وفضله 2/ 1032.

[8] سقط من (ج).

[9] في (ج):[الوجود].

[10] زيادة من (ب).

تَحْــتَ افْتِقَــارِ الكُــلِّ قُــدْرَةٌ كَــذَا إِرَادَةٌ عِلْـــمٌ حَيَـــاةٌ أُخِــــذَا

ثُمّ شرعَ فيما يندرج تحت الافتقار بقوله: **(تَحْتَ افْتِقارِ الكُلِّ)** أي: كلّ ما سوى الله تعالى إليه تعالى **(قُدْرَةٌ كَذا)** تحته أيضاً، **(إِرادَةٌ)**، وتحته **(عِلْمٌ)**، وتحته **(حَياةٌ)**، كلٌّ **(أُخِذا)**، أي: أخذ بالفهم كلٌّ من هذه [من][1] الافتقار، إذ هي صفات التّأثير.

وَلاَزِمٌ فَقَـــــــادِرٌ مُرِيـــــــدُ وَعَـــالِمٌ حَـــيٌّ فَخُـــذْ أَزِيـــدُ

(وَ) أُخِذ من الافتقار أيضاً **(لازِمٌ)** لهذه الصّفات من معنويتّها، وهي كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحيًّا، [وأشار إليها][2] بقوله: **(فَقادِرٌ مُرِيْدُ وَعالِمٌ حَيّ)** فلو لم يتّصف بهذه الصّفات الأربع لما وُجد شيء، [والعيان][3] يكذّبه، ابن عَاشِر[4]:

لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا مُرِيداً عَالِماً *** وَقَادِراً لَمَا رَأَيْتَ عَالَمَا[5]

(فَخُذْ) أي: تعلَّم يا مبتدئ ما في هذا الكتاب، أزيدك كتاباً أكبر منه.

إنّ الزّيَادَةُ لَدَى الْمَبَادِي *** تُشتِّتُ الذِّهْنَ وَأَحْرَى الْبَادِي
وَقَاصِدُ الْفَخْرِ أَوِ التَّكْرَارِ *** بِالْمُتَعَلِّمِينَ ذُو إِضْرَارِ[6]

كَــــــذَاكَ وَحْدَانِيَّـــــةٌ تُعَـــــدَّدُ وَنَفْـــيُ تَـــأْثِيرِ بِطَبْـــعٍ يُوجَـــدُ

(كَذاكَ وحدانيةٌ تُعَدّد) فيما يدخل تحت الافتقار أيضاً، **(وَ)** تَحْتَهُ [أيضاً][7] **(نَفْيُ)** أي: عدم **(تَأْثيرٍ)** أي: فعل **(بِطَبْع)** أي: بطبيعة جعلها الله فيه، أو بقوّة جعلها الله تعالى فيه، كما يزعمه كثير من الجهلة، وذلك محال، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[8]، ومعتقد ذلك كافر اتّفاقاً، **(يُوجَدُ)** ذلك الطّبع في [الطّبعي][9].

---

[1] سقط من (ج).

[2] في (ب) و(ج): [وإليها أشار].

[3] في(ب):[والأعيان].

[4] عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاريّ الفاسيّ، من شيوخه: السنهوريّ والحطّاب، ومن تلاميذه: ميارة وآخرون، له كتب منها: المرشد المعين، توفي عام 1040هـ ينظر: شجرة النُّور الزكيّة في طبقات المالكيّة 1/ 434.

[5] المرشد المعين على الضروريِّ من علوم الدِّين ص4.

[6] الأبيات للشارح محمد النابغة الغلاويّ، ينظر: دليل السَّالك إلى موطأ الإمام مالك ص134.

[7] سقط من (ب).

[8] [الصافات/ 96]

[9] في(ب) و(ج):[الطبيعي].

كَالْمَاءِ فِي الرِّيِّ، وَكَالسِّكِّينِ *** وَالنَّارِ فِي الْقَطْعِ وَفِي التَّسْخِينِ[1]

ثُمَّ حُدُوثُ عَالَمٍ بِأَسْرِهِ — وَضِدُّ كُلّ وَاحِدٍ فِي إِثْرِهِ

عَجْزٌ وَإِكْرَاهٌ وَجَهْلٌ مَوْتُ — وَعَاجِزٌ وَمُكْرَهٌ لاَ فَوْتُ

(ثُمَّ) تحته أيضاً **(حُدوثُ عالَم)** بفتح اللّام، وهو ما سوى الله، **(بِأَسْرِهِ)** بفتح الهمزة، أي: [جميعه][2]، من العرش إلى الفرش.

وتحته أيضاً **(ضدّ كلّ واحد)** [من][3] هذه الأوصاف المذكورة في **(قدرة)** إلخ، **(بإِثْرِهِ)** أي: يتبعه على اللّفّ والنّشر المرتّب، الأوّل [للأوّل][4] في قوله: **(عَجْزٌ)** ضدّ القدرة، **(وَإِكْراهٌ)** ضدّ الإرادة، والمراد بالكراهة العقليّة التي هي عدم الإرادة، التي يستحيل خلق الشَّيء معها، احترزاً من الكراهة الشرعيّة، ألا ترى أنّ الالتفات مكروه في الصّلاة، وكلّ من غفل عن مناجاة ربّه يلتفت عنها في الصّلاة.

(وَجَهْل) ضدّ العلم، **(مَوْت)** ضدّ الحياة.

وتحته أيضاً اللّوازم لها [من][5] الأضداد المعنويّة، وهي كونه تعالى عاجزاً، ومكرهاً، وجاهلاً، وميتاً وميتاً وإلى ذلك [أشار][6] بقوله: **(وَعَاجِزٌ وَمُكْرَهٌ لاَ فَوْتُ)** تتميم [للوزن][7]، وفيه إشارة إلى أنّ هذا هذا الكتاب [أتى][8] بما يندرج من العقائد المطلوبة تحت الكلمة المشرَّفة ولم يفته، وإلّا فكلّ التّوحيد مندرج تحتها، مطلوب أو غيره، إذ هي أمّ الباب، فكلّ الصّيد في جوف الفَرَا، المَثَل.

وَجَاهِلٌ وَمَيِّتٌ وَمِثْلُهُ — تَعَدُّدٌ عَنْ كُلِّ هَذَا جَلَّ هُو

(وَجاهِلٌ وَمَيّتٌ وَمِثْلهُ) أي: مثل [ما][9] تقدّم في الدّخول [من الأوصاف المستحيلة][1] تحت الافتقار أيضاً، **(تَعَدُّدٌ)** ضدّ الوحدانيّة، **(عَنْ كُلِّ هَذا)** المذكور من الأوصاف المستحيلة، **(جَلَّ)** عظم، **(هو)** أي: الله تبارك وتعالى.

---

[1] من متن إضاءة الدِّجنَّة في عقائد أهلء ينظر: رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة ص61.

[2] في (ب): [أجمعه].

[3] سقط من (ب).

[4] زيادة من (ب) و(ج).

[5] سقط من (ب).

[6] في (ج):[الإشارة].

[7] في(ب):[الوزن].

[8] سقط من (ج).

[9] زيادة من (ج).

وَعَــــنْ ثُبُـــوتِ أَثَـــرٍ بِــــالطَّبْعِ   وَقِـــدَمِ العَـــالَمِ تَـــمَّ جَمْـــعِ

فِـــي قَـــوْلِ لاَ إِلَــــهَ إِلاَّ اللهُ   خَمْسُـــونَ فِـي عَـــدَدِ مَـــا تَـــرَاهُ

مِـــنَ العَقَائِــــدِ عَلَـــى التَّمَـــامِ   وَالحَمْـــــدُ للهِ عَلَـــى الإِنْعَـــامِ

(و) جلّ **(عَنْ ثُبوتِ أَثَرٍ)** أي: فعل **(بَالطَّبْعِ)** أو بالتّعليل، وجلّ عن ثبوت **(قِدَم العالَم)** -بفتح اللّام- كلّ ما سوى الله تعالى.

(تمّ جَمْعِ) لما يندرج من العقائد **(في قَولِ لا إِلَهَ إلا الله)** وهو **(خمسون)** عقيدة **(في عَدَدِ ما تَراهُ مِنَ العَقائِد)** متعلّق بخمسين، **(على التَّمامِ)** متعلّق بقوله: **(وَالحَمْدُ للهِ على الإِنْعامِ)** [أي][2]: على ما أنعم الله به عليه، ومنه هذا الكتاب، ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[3]، والتّقدير: والحمد لله على التّمام وعلى الإنعام، والله أعلم.

ثُـــــمَّ مُحَمَّــــــــدٌ رَسُــــــولُ اللهِ   سِـــتَّةَ عَشَـــرَ تَحْتَـــهُ يَـــا سَـــاهِي

ثُمّ شرع فيما تحت قول: **(مَحمّدٌ رَسُولُ اللهِ)** ﷺ، فتحته من العقائد الإيمانية **(سِتَّةَ عَشَرَ)** عقيدة **(تَحْتَهُ يا سَاهِي)** [أي:][4] يا غافل ويا جاهل.

أَوَّلُهَـــــا الصِّـــدْقُ مَـــعَ الأَمَانَـــهْ   كَـــــذَلِكَ التَّبْلِيــــغُ لاَ إِهَانَــــهْ

(أَوَّلُها) [أي:][5] أوّل السّتّة عشر، **(الصِّدْقُ)** في حقّ الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام، **(مع الأمانة)** أي: فلا يقع منهم [فعل][6] [منهيّ عنه][7] نهي [كراهة، وأحرى نهي][8] تحريم، كذلك يدخل تحتها **(التَبْليغُ)** لكلّ ما أُمروا بتبليغه للخلق، **(لا إِهانَة)** الهُون بالضّم [الذُّلّ][9]، المراد: لا تهن التّوحيد

---

[1] زيادة من (ج).
[2] زيادة من (ب) و(ج).
[3] [النحل/18]
[4] زيادة من (ج).
[5] زيادة من (ج).
[6] زيادة من (ج).
[7] زيادة من (ب) و(ج).
[8] سقط من (ب).
[9] في (ب) و(ج): [و].

[بعدم][1] معرفته، [والله أعلم][2]، ولا يخفى ما في **(لا إهانة)** من ضرورة [الشّعر][3]، إذ الصّواب: لا الصّواب: لا تهنه، ولعلّ السّبب الذي حمله عليه خوفاً من إسناد التّأسيس الذي هو من عيوب الشّعر، نحو: سالم ومسلم.

وَضِـــــدُّهَا فَكَـــــذِبٌ خِيَانَـــــهْ كِتْمَـــانُ مَـــا قَـــدْ أُمِـــرُوا بَيَانَـــهْ

ويدخل تحته أيضاً **(ضِدّ)** أي: أضداد **(ها)**ذه الصّفات الواجبة في حقّهم عليهم الصّلاة والسّلام، فضدّ صدقهم **(كذب)**، وضدّ أمانتهم **(خيانَة كِتْمان ما قَد أُمِرُوا بَيانَه)** [أي][4]: ببيانه، ضدّ التّبليغ ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[5] الآية، ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾الآية[6].

جَـــوَازُ عَـــرَضٍ بَشَـــرٍ لاَ يَقْـــدَحُ وَعَـــــدَمُ الجَـــــوَازِ ذَاكَ يُطْـــــرَحُ

وتحته أيضاً: **(جَوازُ)** كُلّ **(عَرَض)** أي: وصف، **(بَشَر)** أي: إنساني، **(لا يَقْدَح)** أي: لا يعاب به كالأكل والشّرب، واحترز بالعَرَض البشريّ عمّا هو من صفاته تعالى، ففي الحديث: (لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ)[7].

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ *** وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ[8]

﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[9].

واحترز بما لا يقدح ممّا لا يليق بمقامهم، كالعمى والدّود وغير ذلك، فحاشاهم منه، ومَنْ نسبه إليهم فهو كافر، وما يوهم شيئًا من ذلك [من الآيات][10] يجب تأويله: ﴿ فَبَشِّرْ عِبادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ﴾. الآية[1].

---

[1] في (ج): [بعد معمر فيه].

[2] سقط من (ج).

[3] سقط من (ج).

[4] سقط من (ب).

[5] [المائدة/ 67].

[6] [آل عمران/ 187]

[7] أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: واذكر في الكتاب مريم، برقم3445، من من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه به.

[8] الأبيات من قصيدة البردة للبوصيري ت696هـ، ينظر: الزّبدة الرّائقة في شرح البُردة الفائقة ص159.

[9] [الكهف/ 110]

[10] زيادة من (ج).

وأمّا **(عدم الجواز)** أي: جواز الأعراض البشريّة التي لا تؤدّي إلى نقص في مراتبهم، **(ذاك)** القول **(يُطرح)** أي: يُمحى من [الكتاب][2]؛ لأنّه يؤدّي إلى أوصافهم بأوصاف الربوبيّة، وهو كفر.

وَأَرْبَــــعٌ تَـــدْخُلُ تَحْـــتَ الصِّــــدْقِ   فَـــافْهَمْ كَلاَمِــي فَهْـــمَ والِــي الرِّفْـــقِ

(وأربعٌ) من العقائد **(تَدْخُلُ تَحْتَ الصِّدقِ)** أي: صدقه ﷺ، وذلك مستلزم [دخولها][3] تحت محمّد رسول الله ﷺ؛ لأنّ لازم اللاّزم [لازم][4]، كما أنّ غريم الغريم [غريم][5].

(فَافْهَم كَلامي فَهْمَ) أي: فهماً جيّداً مثل فهم، **(والي)** أي: متوال، **(الرِّفْقِ)** [بكسر الرّاء، وهو ما يستعان به، فهو مطلوب، فالرّفق يدوم لصاحبه][6]، والحاصل: أنَّ قوله: **(فَافْهَم كَلامي)** إلى آخر البيت: تتميم وتحضيض على الفهم.

إيمَانُنَـــــا بِهَــــوْلِ يَــــوْمِ الآخِـــــرِ   وَرُسُـــــــلِ اللهِ أُولِـــــي المَفَــــــاخِرِ

مَلاَئِــــــكٌ وَكُتُــــــبٌ سَـــــــمَاوِيَّهْ   وَضِـــــدّ كُــــلِّ ظَـــــاهِرٍ عَلاَنِيَّـــــهْ

وأوّل الأربع: **(إيمانُنا)** أي: تصديقنا **(بِهَولِ)** أي: شدّة خوف **(يَوْمِ الآخِرَة)** وما احتوى عليه، **(وَ)** إيمانُنا بِـ **(رُسلِ اللهِ)** وأنبيائه **(أُولي)** أهل **(المَفاخِر)** أي: المكارم، وإيماننا [**بملائكة**][7]، **(وَ)** إيماننا بما جاءت به الرّسل من **(كتب سَماويَّة)** نسبها إلى السّماء؛ لأنّها الجهة التي تنزل منها بها الملائكة.

وتحته أيضاً ضدّ كلّ من هذه الصّفات، **([ظاهِر][8])** منها **(عَلانيَّة)** أي: ظاهرة.

فَهَــــــذِهِ سِــــــتَّةَ عَشْــــرَ كَامِلَـــــهْ   مِـــنْ بَعْـــدِ خَمْسِـــينَ بِغَيْـــرِ نَافِلَـــهْ

فهذه **(سِتَة عَشَر)** عقيدة **(كامِلَة مِنْ بَعْدِ خَمْسِين)** عقيدة **(بِغَيْرِ نَافِلَة)** أي: [بلا زيادة][9].

---

[1] [الزمر/ 17-18]

[2] في (ج):[الكتب].

[3] في (ب) و(ج): [لدخولها].

[4] سقط من (ج).

[5] في (ج): [غارم وغريم].

[6] سقط من (ج).

[7] في (ب): [ملائكة].

[8] في (ب):[واحد].

[9] في (ج):[الزيادة].

تنبيه:

اعلم أنّ الكلمة المشرَّفة فيها ما مرَّ [مفصَّلاً][1] على الإجمال، إلا أنّه كان في أوّل الإسلام [ضرورياً][2]، لمعرفة معنى الألوهيّة في اصطلاح كلام العرب، فلمّا صَوّح نبت العربيّة ورُعي هشيمها، وعمَّ الجهل باللّغة التي لا يُتوصّل إلى معرفة الشّريعة إلا بعد معرفتها: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [3] [3] وحجبت شمس المعارف ظلمات الذّنوب، ونسجت عناكيها على بصائر القلوب؛ صار معنى الكلمة المشرَّفة [نسياً][4] منسياً، فاحتيج لبيانه، فتداركه [الله][5] بالسّنوسي وغيره ممّن حذا حذوه على إثره، [كصاحب][6] هذا الكتاب، جزاهم الله [عنّا خيراً][7]؛ إذ هدونا إلى الصّراط المستقيم بتواليفهم، ولا سيّما هذا الكتاب الذي كأنّه عَلَم في رأسه نار.

قَــــد انْتَهَــــتْ عَقَائِــــدُ الإِيمَــــانِ فَــــافْهَمْ أَصَــــبْتَ الحَــــقَّ بِالبُرْهَــــانِ

(قَد انْتَهَتْ) [أي: كمُل نظم][8] **(عقائد الإيمان)**، **(فافهم)** نظمها، **(أَصَبْتَ الحَقَّ)** أي: سلك الله بك طريق الحقّ، **(بالبُرْهان)** هو أقوى الحجج.

وكُلُّهَــــا صَــــارِمَةٌ لِظَهْــــرِ إِبْلِــــيسَ مَــــعْ أَعْوَانِــــهِ ذِي الكُفْــــرِ

(وكُلُّها) أي: العقائد، **(صارِمَةٌ)** [أي][9]: قاطعةٌ، **(لِظَهْرِ إِبْليسَ مَعْ)** قَطْعِها لظهور **(أَعْوانه)** [أي][10]: أتباعه **(ذي)** أصحاب **(الكفر)**، والمراد بأعوانه: الشّياطين، أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم، بحيث لا مدخل لهم في قلبٍ فيه تلك العقائد.

تُشْــعِلُ نُــورًا سَــاطِعًا فِــي القَلْــبِ تُرِيــكَ جَمًّــا مِــنْ عَطَــاءِ الــرَّبِّ

---

[1] في (ج):[منفصلا].

[2] في (ب):[ضرورا].

[3] [يوسف/2]

[4] سقط من (ب).

[5] سقط من (ج).

[6] في (ب):[فصاحب].

[7] في (ب):[خيرا عنا].

[8] سقط من (ب).

[9] سقط من (ج).

[10] سقط من (ج).

(لأنّها تُشعل) أي: تُوقد وتنشر نوراً من الإيمان حال كونه ساطعاً مرتفعاً، **(فِي القلب)** الذي هو فيه، **(تُريكَ)** أي: تعطيك وتخبرك، **(جَمًّا)** أي: كثيراً، **(مِنْ عَطاءِ الرَّبِّ)** ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[1] أي: ممنوعاً.

تَكْشِــفُ مَــا فِي الْقَلْــبِ مِــنْ غِشَــاوَةِ تَــذُوقُ مَــا فِــي الــذِّكْرِ مِــنْ حَــلَاوَةِ

تَعْلَـــمُ مَـــا تُثْبِـــتُ أَوْ مَـــا تَنْفِـــي مِـــنْ لَفْظَـــةِ التَّوْحِيـــدِ ثُـــمَّ تَصْـــفِي

(تَعْلَمُ) بها **(مَا تُثْبِتُ)** أي: وما تَنْفيه على الحقيقة [**(مِنْ)**][2] معنى **(لَفْظَةِ التَّوحيدِ)** وهي: لا إله إلّا الله محمَّد رسول الله ﷺ، **(ثمّ تَصْفِي)** قلبك ممّا يرد عليه من الشّبهات، وقد صرَّحوا بقاعدة جليلة كافية في علم التّوحيد وتطرد الوسواس، ونظمها الْحَوْضِي[3] بقوله[4]:

وَكُلُّ مَا يَخْطُرُ فِي الْجَوَانِحِ *** مِنَ التَّصَوُّرَاتِ وَالْجَوَارِحِ

فَرَبُّنَا اللهُ الْعَظِيمُ الْمَالِكْ *** جَلَّ وَعَزَّ بِخِلَافِ ذَلِكْ

فَكُــنْ حَرِيصًــا يَــا أَخِــي فِــي حِفْظِهَــا وَلاَ تَمَـــلَّ أَبَـــدًا مِـــنْ فِكْرِهَـــا

(فَكُنْ حَرِيصاً) مجتهداً **(يا أَخي)** [أعني المؤمن، لقوله تعالى:][5] ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [6] **(في)** أي: على **(حِفْظِها، وَلا تَمَل)** بفتح الميم والتَّاء، مضارع مال، بكسر اللّام، أي: لا تتعب ولا تعيَ **(أبداً)** مدّة حياتك **(من)** استحضار [**(فِكْرها)**][7] في قلبك حتى تمتزج مع معناها بلحمك ودمك، فإنّك ترى لها من الأسرار والعجائب [إن شاء الله تعالى][8] ما لا يدخل تحت حصر.

فَهِــيَ الَّتِــي تُنْجِــى مِــنَ الخُلُــودِ فِــي النَّــارِ يَــوْمَ الْمَوْقِــفِ الْمَوْعُــودِ

---

[1] [الإسراء/20]

[2] في (ب) :[و].

[3] محمَّد بن عبد الرَّحمن الحوضيّ التلمسانيّ، عالم في العقائد والفقه، وله مؤلفات، منها: نظم في العقائد شرح شرح الإمام السنوسيّ، توفي عام 910هـ ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الدِّيباج ص579.

[4] واسطة السلوك في بيان كيفية السلوك ص7.

[5] زيادة من (ج).

[6] [الحجرات/ 10]

[7] في(ج):[ذكرها].

[8] سقط من (ب).

(فَهِيَ) كلمة التّوحيد **(الَّتِي تُنْجِي)** تُسلم **(مِنَ الخُلودِ)** أي: الإقامة والدّوام **(فِي النّار)** صاحبها **(يوم الموقف)** في الحشر **(الموعود)** به في القرآن، ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾[1] وكان وعد الله حقاً.

تُـنْظَمُ فِـي دَائِـرَةِ الثِّقَـاتِ السَّـالِكِينَ سُـبُلَ النَّجَـاةِ

(تُنْظَم) أي: تدخل صاحبها، **(فِي دائِرَةِ)** أي: في جملة الأولياء، **(الثِّقاتِ)** جمع ثقة، وهم الأمناء على الأوامر والنّواهي، **(السّالِكِينَ سُبُلَ)** [أي:][2] السّائرين إلى ربّهم مع طريق **(النَّجاة)** وهي طرق الاستقامة، ولو لم تحصل [لهم][3] الكرامة، إذِ الكرامات إنّما هي لصبيان الأولياء، كما في المناوي.

وَإِنْ تَكُـنْ أَهْمَلْـتَ مَـا أَقُـولْ فَلِشَـقَاكَ تُحْـرَمِ الوُصُـولْ

(وَإِنْ تَكُنْ أَهْمَلْتَ) تركت **(ما أَقول)** لك من النّصح في هذا النّظم، فلأجل **(شَقاكَ)** الشّقيّ ضدّ السّعيد، **(تُحْرَمِ الوُصول)** إلى السّعادة بسبب جهلك لمعناها.

تَقُـولُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ لَـمْ تَـدْرِ مَـا هُنَـاكَ آهٍ آهُ

لأنّك **(تَقولُ: لا إِلَهَ إلا الله)**، وأنت **(لَمْ تَدْرِ)** أي: لم تعرف معنى **(ما)** تقول [هناك][4]، **(آهٍ)** أي: يا عجباً و[يا][5] أسفاً، **(آهُ)** بمعنى الأولى، ومراده [التّعجّب][6] والتّوجّع مِنْ جهل معنى الكلمة المشرّفة غيرةً [على][7] الإسلام، وشفقةً [على][8] الجاهل.

فَلَـيْسَ فِـي قَوْلِـكَ مِـنْ نَفْـعٍ وَلاَ فِي العُمْـرِ مِـنْ خَيْـرٍ عَـدِمْتَ المَـأْمَلَا

---

[1] [البروج/2].

[2] زيادة من(ج).

[3] سقط من (ب).

[4] زيادة من (ج).

[5] سقط من (ب).

[6] في (ج):[العجب].

[7] سقط من (ج).

[8] سقط من (ج).

(فَلَيْسَ فِي قَولِكَ) لا إله إلا الله محمّد رسول الله ﷺ من غير فهم معناها **(مِنْ نَفْع)** يعود عليك **(وَلا فِي العُمر)** أي: عمرك، **(مِنْ خَيْر)** بَلْ **(عَدِمْتَ المَأْمَلا)** أي: خاب رجاؤك في الجنّة التي هي رجاء كلّ مسلم، وثمنها معرفة معنى الكلمة المشرَّفة.

فَلَــوْ تَــرَى عِنْــدَ حُضُــورِ الأَجَــلِ   مَــا يَتَغَشَّــاكَ مِــنَ الأَمْــرِ الجَلِــي

تَنْــدَمُ حَيْــثُ لاَ يُفِيــدُ النَّــدَمُ   وَلَا يُفِيــدُ العُــذْرُ أَنْ لَــوْ تَعْلَــمُ

(فَلَو) كُنْتَ **(تَرى)** تنظر [الآن][1] **(عند حُضُورِ الأَجَل)** أي: الموت، **(ما)** أي: الذي **(يَتَغَشّاكَ)** [أي][2]: يأتيك فجأة عند الموت **(مِنَ الأَمْرِ الجَلي)** أي: الظّاهر من أهوال الموت وسكراتها، الَّتي لا ينجي منها إلا معرفة معنى كلمة التّوحيد **(تَنْدَم)** على التّفريط في معرفة معناها.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا *** نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ[3]

(حَيْثُ) أي: [في][4] المكان الّذي **(لا يُفيدُ)** أي: لا ينفعك فيه **(النَّدَمُ وَلا يُفيدُ)** ك فيه **(العُذْرُ أَنْ لَو)** كنت **(تَعْلَمُ)**.

فَاشْــدُدْ حَيَازِيمَــكَ يَــا أُخَــيَّ فِــي   أَوَّلِ وَاجِــبٍ عَلَــى المُكَلَّــفِ

(فاشْدُدْ حَيَازِيمَكَ) جمع حيزوم، وهو ما استدار بالظّهر والبطن، المراد: اجتهد **(يا أُخَيَّ)** تصغير أخي، **(في)** معرفة **(أَوَّلِ واجِبٍ عَلى المُكَلَّف)** وهو تصحيح إيمانه، كما في الأَخْضَرِيّ وغيره[5].

لَعَــلَّ رَبَّ الْعَــرْشِ أَنْ يُوَفِّقَــا   نَحْــنُ وَإِيَّــاكَ إِلَــى يَــوْمِ اللِّقَــا

(لَعَلَّ) للتّرجّي، **(رَبَّ العَرْشِ أَنْ يُوَفِّقَ)** نا، **(نَحْنُ وَإِيّاكَ)** لما يحبّه [ويرضاه][6]، وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكّلت، **(إِلى يَوْمِ اللِّقا)** [وهو][7] يوم القيامة.

---

[1] سقط من (ب).

[2] زيادة من (ب) و(ج).

[3] الأبيات من البحر الطويل، لـ محمد بن يزيد المبرّد. ينظر: اعتلال القلوب ص 246.

[4] زيادة من (ب) و(ج).

[5] متن الأخضريّ في العبادات ص2. والأخضريُّ هو: عبد الرَّحمن بن محمَّد الصَّغير الأخضريّ، من كتبه: الجوهر الجوهر المكنون، والدرُّة البيضاء، والسُّلم المنورق، ومقدمة في الفقه المالكيّ مختصرة، توفي 983هـ. ينظر: شجرة النُّور الزكيّة في طبقات المالكيّة 412/1، و معجم المؤلفين 187/5.

[6] سقط من (ب).

[7] زيادة من (ج).

يُعَمِّــــــرُ القُلُـــــوبَ وَالأَذْهَانَــــــا بِـــــــذِكْرِهِ وَنَكْتَســـــِى أَلْوَانَــــــا

مِــنْ حُلَــلِ التَّقْــوَى بِجَــاهِ المُصْــطَفَى صَـــــلَّى عَلَيْــــهِ رَبُّنَـــا وَشَـــرَّفَا

ولعلّه **(يُعَمِّرُ القُلوبَ)** أي: قلوبنا، **(وَالأَذْهانَا)** أي: عقولنا، **(بِذِكْرِهِ)** أي: بالإيمان باللّه تعالى على الوجه الأكمل، **(وَ)** لعلّنا **(نَكْتَسي)** أي: نلبس **(أَلْواناً)** أي: أنواعاً، **(مِنْ حُلَلِ)** جمع حُلَّة، [بالضمّ][1] وهي الدّرّاعة[2] بالحسّانيّة[3]، وفي الحديث: "ما رأيتُ ذا لِمَّةٍ سَوداء في حُلَّةٍ حمراءَ أحسن مِنْ رسول الله ﷺ"[4]، **(مِنْ حُلَل)** أي: من لباس، **(التَقْوَى)** طاعة الله حال كوننا متوجّهين إلى الله الله تعالى

(بِجاهِ) النّبيّ ﷺ **(المُصْطَفى)** أي: المختار، **(صَلّى عَلَيْهِ رَبُّنا وَشَرَّفا)** صلاةً وتسليماً وتشريفاً كاملين [أطيبين][5]، [دائمين][6] [آمين][7].

وَآلِـــــــهِ وَصَـــــــحْبِهِ الأَخْيَـــــــارِ مَـــا جِـــيءَ بَعْـــدَ اللَّيْـــلِ بِالنَّهَـــارِ

(وَ) صلّى الله على **(آلِهِ)** والمراد بهم في باب الدّعاء: كلّ مؤمن [تقيّ][8]، ليَعمَّ الدعاء، فالدّعاء إذا عمَّ نَفَعَ، **(وَ)** صلّى الله على **(صَحْبِهِ)** خصوصاً بعد العموم، **(الأَخْيارِ)** [أي:][9] أفضل الأمّة، **(ما)** **(ما)** مصدريّة **(جِيءَ بَعْدَ اللَّيْلِ بِالنَّهارِ)** أي: مدّة مجيء النّهار بعده مجيء اللّيل، والمراد: أبداً.

تنبيه:

قوله: **(قد انتهت)** إلى هنا، إنّما أُتي به ترغيباً وترهيباً ونصحاً للعباد، إذ: "الدِّينُ النَّصِيحَة"[1]،

---

[1] سقط من (ب).

[2] لباس أهل موريتانيا التقليدي وفيه الأزرق والأبيض.

[3] الحسّانية هي: اللغة التي يتكلم بها سكّان موريتانيا، وغالبها عربي ظاهر، إلا أنّ تسكين المحرك كثير فيها وبعضها لا تعرف له اشتقاقاً، وليست مأخوذة من اللغة البربرية؛ لأنه لا يوجد فيها، وتختلف هذه اللغة باختلاف لهجات أهل البلاد المتباعدة، ينظر: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص513.

[4] أخرجه الترمذيُّ في الشَّمائل المحمَّديِّة ص30 في باب ما جاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه نحوه.

[5] في (ج):[طيبين].

[6] زيادة من (ج) و(ب).

[7] سقط من (ب) و(ج).

[8] زيادة من (ج).

[9] زيادة من (ج).

و﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [2]، وهو [من أهمل][3] نصحه، ﴿ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[4]، [وهم مَنْ وقر][5] فيه النُّصح، وما أحسن قول القائل

نَصَحْتُكَ لَكِنْ عَادَةُ الْمَرْءِ بُغْضُهُ *** لِنَاصِحِهِ وَالنُّصْحُ عِنْدِي وَدَائِعُ

أَخِي اصْمُتْ وَلَا تَنْصَحْ فَهَذَا زَمَانُهُ *** وَكُنْ تَقِياً وَاحْذَرْ فَمَا النُّصْحُ نَافِعُ

[وَعَرِّجْ عَلَى حِفْظِ النَّصِيحَةِ سَاكِتاً *** بِهَا مِثْلَ رَخْمِ الْجَوِّ بِالصَّمْتِ قَانِعُ][6]

فَمَا ثَمَّ إِلَّا حُبُّ جَاهٍ وَدِرْهَمٍ *** وَأَرْبَعَةٍ تُزْهِيهِ [وَ][7] الْقَلْبُ قَالِعُ

ثِيَابٌ تَرَاهَا الْعَيْنُ فِيهَا ثَعَالِبٌ *** عَلَى [هَذِهِ][8] الدُّنْيَا يَدُورُ الْمُرَاجِعُ

فَهَذَا بِخَطِّهِ يَدُورُ عَلَى النِّسَا *** وَهَذَا [بِحِرْفَةِ][9] الْحُرُوزِ يُطَالِعُ

[وَهَذا بِجِدْوَلٍ عَلَيْهِ مُصْحَفٌ *** يَرَى أَنَّ فِيهِ السِّرَّ بِالْجِدِّ قَاطِعُ][10]

وَهَذَا بِتَرْبِيعٍ يَرُومُ بِهِ الْغِنَى *** وَهَذَا بِتَدْبِيرِ السَّبَائِكِ وَالِعُ

وَهَذَا بِأَخْبَارِ الْمُلُوكِ [مَازِرٌ][11] *** وَهَذَا بِأَخْبَارِ الْجفُورِ يُنَازِعُ

وَهَذَا بِمَذْهَبِ النُّجُومِ مُعَلَّقٌ *** يَقُولُ وَيَحْكِي كُلَّمَا لَاحَ طَالِعُ

وَهَذَا بِتَخْدِيمِ الشَّيَاطِينِ طَامِعٌ *** مِنَ الْجِنِّ جَنِّبْ عَنْكَ مَا هُوَ صَانِعُ

وَهَذَا بِسُبْحَةٍ وَهَذَا بِعُكَّازٍ *** وَهَيْئَةِ [صَالِحٍ][12] أَلَا وَهْوَ خَادِعُ

وَيُلْهِيكَ طُرّاً بِانْحِنَاءٍ وَذِلَّةٍ *** وَتَقْبِيلِ رَاحَةٍ وَكُلٌّ مُصانِعُ

وَقَدْ يَدَّعِي كَشْفاً لَدَى كُلِّ جَاهِلٍ *** وَهَا هُوَ مَكْشُوفٌ عَلَيْهِ [الطَّوَابِعُ][13]

---

[1] أخرجه التِّرمذيُّ في سننه، في أبواب البر والصِّلة، باب: ما جاء في النَّصيحة، برقم1926، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به مطولا.

[2] [الأنفال/ 43].

[3] في (ب):[ما أهمل في].

[4] [الأنفال/ 43].

[5] في (ج):[وهو وثر].

[6] سقط من (ب).

[7] في (ج): (في).

[8] في (ج):[عهدة].

[9] في (ج): [بحرفات].

[10] في (ج): [وهذا بجدول عليه مصحف *** يرى أن فيه الشر بالجد قاطع].

[11] في (ب): [صارز] و(ج):[مازر].

[12] في (ب) و(ج):[سائح].

[13] في (ج):[الطوامع].

[أَمَنْ][1] يَدَّعِي سِرَّ التَّصَوُّفِ وَهْوَ لَا *** يُحسِنُ فَرْضَهُ [فَكَيْفَ][2] يُخَادِعُ

فَكَمْ مِنْ شُرُوطٍ قَبْلَ مَجْلِسِكَ الَّذِي *** تَرُومُ بِهِ سِرَّ الدُّعَا وَتُصَانِعُ

وَكَمْ حِرْفَةٍ لِلرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ حِيلَةٍ *** مُحَرَّمَةٍ أَبْدَتْ وَمَا أَنْتَ قَانِعُ

وَقَدْ سَمِعَتْ أُذْنِي غَرَائِبَ عَنْهُمُ *** فَلَا تَرْضَ مَتْبُوعاً وَلَا مَنْ يُتَابِعُ

مُشَاةً عَلَى الْأَبْوَابِ عُرْباً وَبَرْبَراً *** مُلُوكاً وَعُمَّالاً وَمَا ذَاكَ رَافِعُ

وَقَدْ خَلَّفُوا عَنْهُمْ طَرِيقَ جُدُودِهِمْ *** وَرَاءَ بِلَا عِلْمٍ بِهِ الْعِزُّ قَاطِعُ

يَرَوْا أَنَّهُمْ فِي الظِّلِّ وَهْوَ مُحَوَّلٌ *** بِسُوءِ فِعَالِهِمْ وَهَا الجَرُّ قَاطِعُ

تَأَمَّلْهُمُ وَاحْذَرْ لَذِيذَ خِطَابِهِمْ *** بِأَلْسِنَةٍ وَهْيَ الْحِدَادُ اللَّوَامِعُ

[وَأَعْجَبُ فَرْدٍ مَنْ][3] يَقُولُ أَنَا أَنَا *** [وَجَدِّي][4] وَأُمِّي [حَتَّى][5] وَالِدِي رَافِعُ

انتهى باختصار من كتاب "النّجوى في التّحذير من أهل البدع والدّعوى"[6]، ولولا قصد الاختصار الاختصار لزدنا لداعي الحاجة إليه.

[ثمّ][7] ختم كتابه بتعريفه، عملاً بقوله تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾[8]، وبقولهم:

مَنْ أَلَّفَ تَأْلِيفاً وَلَمْ يَذْكِرِ اسْمَهُ *** كَبِنْتٍ لَهَا أُمٌّ وَلَيْسَ لَهَا أَبُ

فقال:

نَظَمَهُ العَبْدُ المُلَقَّبُ البَلِيمْ ... الصَّالِحُ المَعْرُوفُ مِنْ نَسْلِ سَلِيمْ

الأَوْجَلِيّ نَسَبًا وَالدَّارِ ... يَرْجُو مَفَازَ مَبْعَثِ القَرَارِ

(نَظَمَهُ) أي: هذا النّظم، **(العَبْدُ)** أي: محمّد، **(المُلَقَّبُ)** أي: المعروف، [بـ][1] **(البَلِيم)** أي: [بـ][2] البليد، وهو قليل الفهم والعقل، وإنّما قصد بهذا التّواضع، [وهضماً][3] لنفسه، فمن تواضع

---

[1] في (ب):[وهل].

[2] في (ب):[وهو فكيف].

[3] في (ب): [واحذر من ذا الذي]، وفي (ج):[وأعجبت من ذا من].

[4] في (ب): [وجد].

[5] في (ج):[ذي].

[6] عقود النَّجوى في التَّحذير من أهل البدع والدعوى منظومة في 107 من الأبيات، تأليف: أحمد بن صالح بن إبراهيم الأدوزي الدرعي الأكناوي المتوفى سنة1147هـ 1734م. ينظر: سوس بوابة الصحراء تاليف عبد العزيز بنعبد الله. ص14..

[7] في (ب): [و].

[8] [الأحزاب/ 5].

رفعه الله وإلّا فهو فحلٌ من فحول العلم لا يُجارى ولا يُبارى، [و][4] لو لم يكن له إلّا هذا التّأليف لدلّ على صحّة عقله وكثرة نقله، [فكيف][5] يكون بليداً الّذي "دليل القايد"[6] نفحة من نفحاته.

وما زالت فحول [العلماء][7] تتواضع في ابتداء الكلام والختام، كقول الْمَقَّرِي[8] في "الإضاءة"[9]:

وَلَسْتُ لِلَّذِي انْتَحَى بِأَهْلِ *** لِأَنَّنِي ذُو خَطَأٍ وَجَهْلِ

وكقول خليل[10] في مختصره: "يقول [العبد][11] الفقير المضطّر لرحمة ربّه، المنكسر خاطره لقلّة العمل والتّقوى"[12].

بل هم [في][13] بساط العبودية، بحيث صاروا في مقام من الذّوق الحقيقيّ، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[14]، والأمور الذوقيّة سرٌّ من الله، والسرُّ لا يُفشى بكَتْبِه، بل كما قيل:

قَدْ كَانَ للهِ سِرٌّ لَا أَبُوحُ بِهِ *** فَظُنَّ خَيْراً وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ

[فصُدور الأحرار قبور الأسرار][1]، ولله درُّ القائل[2]:

---

[1] زيادة من (ب).

[2] زيادة من (ج).

[3] في (ب): [هضما].

[4] سقط من (ج).

[5] في (ب) : [كيف].

[6] دليل القائد بكشف أسرار صفات الواحد، وهي منظومة للمؤلّف الأوجليّ، من بحر الرَّجز في العقيدة، تتكون من (184) بيتًا.

[7] في (ب): [العلم].

[8] أحمد بن محمَّد المقَّريُّ التلمسانيُّ، من شيوخه: عمه سيعد المقَّريُّ، وأحمد بابا، وعنه: عيسى الثعالبيّ، وميارة، له مؤلفات كثيرة منها: نفح الطِّيب، وإضاءة الدجنّة في عقائد أهل السنة، وشرح مقدِّمة ابن خلدون، تولى خطابة جامع القرويين، وله رحلات، توفي بمصر عام 1041هـ ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 434/1.

[9] رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة ص21.

[10] خليل بن إسحاق الجنديّ، أحد كبار الأعلام في المذهب المالكيّ، من شيوخه: ابن الحاج والمنوفيّ، ومن تلاميذه: بهرام والأقفهسيّ، له مؤلفات منها: التَّوضيح، والمختصر، توفي عام 776هـ ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية321/1.

[11] زيادة من (ب) و(ج).

[12] مختصر خليل ص7.

[13] سقط من (ج).

[14] [الصافات/ 96].

السِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ *** ضَاعَتْ مَفَاتِحُهُ وَالْبَابُ مَخْتُومُ

لَا يَكْتِمُ السِّرَّ إِلَّا مَنْ لَهُ كتمٌ *** وَالسِّرُّ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَكْتُومُ

(الصَّالِح) نعت لمحمّد [المقدَّر][3]، **(المَعْروف مِنْ نَجْلِ)** أي: ولد عبد الرّحمن **(بن سَليم الأوجَليّ)** نسبة: إلى أوجلة، قرية معروفة، **(نَسَباً)** راجع لسليم، **(وَالدّار)** راجع للأوجليّ، **(يَرْجو)** من الله تعالى **(مَفازَ)** أي: نجاة، **[(مَبْعَث)]**[4] دار **(القَرار)** الثّبات [إلى][5] الجنّة.

وَاللهَ أَدْعُـــــو ذَا الجَـــــلَالِ والكَـــــرَمْ	**وَالفَضْـــلِ وَالنِّعْمَـــةِ وَالخَيْـــرِ الأَعَـــمّ**
يَخْـــــتِمُ أَعْمَـــــالِي مَتَـــى أَلْقَـــاهُ	**بِقَـــــــــوْلِ لاَ إِلَـــــــــهَ إِلاَّ اللهُ**

(والله) بالنّصب **(أَدْعو)** أطلبه، **(ذا)** صاحب **(الجَلالِ)** العظمة والكبرياء، **(وَ)** ذا **(الكَرَم وَ)** ذا **(الفَضْل)** والإحسان، **(وَ)** ذا **(النّعمَةِ)** العُظْمَى، **(وَ)** ذا **(الخَيْرِ الأَعَم)** أي: العام على الخلق والمرجوّ هو أن: **(يَخْتِمُ)** أي: يتمّم **(أَعمالي مَتى)** أي: حين **(أَلْقاهُ)** [أي][6]: عند الموت، **(بِقَوْلِ: لا إلَهَ إلا الله)** محمّد رسول الله ﷺ.

والحمد لله [ربّ العالمين][7] الّذي بنعمته [وجلاله][8] تتمّ الصّالحات، انتهى.

تمّ الشّرح على الأوجليِّ بحمد الله وحسن عونه، على يد العبد المذنب الفقير، الرّاجي عفو مولاه: الطّالب بن أنبو بن محمّد بن عثمان بن عمر، كتبه لأخيه وحبيبه: البشير بن الطّالب السّليمان رحمه الله ولجميع المسلمين، آمين، بجاه سيّد المرسلين، تمّت: لا إله إلا الله محمّد رسول الله[9].

نتائج وتوصيات:

---

[1] سقط من (ب).

[2] البيت من البحر البسيط، والأبيات منسوبة للفرزدق.

[3] في (ج):[الملقب].

[4] سقط من (ب)

[5] سقط من (ج).

[6] سقط من (ب).

[7] زيادة من (ج).

[8] سقط من (ج).

[9] في (ب): [انتهى بحمد الله وحسن عونه على يد محمَّد الأمين بن عبد الوهَّاب بن أحمد الجيد، أجاد الله عليهم بخير الدُّنيا والآخرة، وغفر لهم كلَّ الذنوب، ولجميع المسلمين والمسلمات آمين].

وفي (ج): [تمَّت، الكتاب بحمد الله وحسن عونه، الحمد لله رب العالمين، صلى الله على من لا نبيَّ بعده وسلَّم اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن سبقنا بالإيمان، تمت].

وبعد هذه الجولة في سيرة الإمام الأوجليِّ ومؤلفاته وآثاره، وسيرة العلامة الغلاويِّ ومؤلفاته، ومتن الكتاب والتَّعليقات المختصرة حوله، وصلتُ إلى ما يأتي:

- بلادنا ليبيا تزخر بأعلامٍ كُثُرٍ اهتمُّوا بكافَّة أصول الشَّريعة وفروعها تأليفاً وتدريساً، وبلغ إبداعهم إلى أن اهتمَّ بهم أعلام البلدان الأخرى فشرحوا كتبهم ومنظوماتهم، وعلَّقوا عليها.
- أنَّنا لا نحتاج في بلادنا إلى من يُعلِّمنا أصول العقائد والتَّوحيد؛ فقد كتب في ذلك أبناء البلد من أعلامه على مستوى العصور، حتى بلغت المؤلفات أكثر من (150) كتاباً، ومن أهمِّ الكُتَّاب والمؤلفين العلَّامة الأوجليُّ.
- العلَّامة الأوجليَّ عَلَمٌ من أعلام العقائد والتَّوحيد في بلادنا، وله في ذلك أكثر من (7) مؤلفات مختلفة.
- الشَّارحُ العلَّامةُ الغلاويُّ عَلَمٌ من أعلام الأُمَّة الإسلاميّة، له أكثر من (29) مؤلفاً، وله منظوماتٌ كثيرةٌ جداً، وبشرحه هذا يُزكّي الإمام الأوجليَّ، ويرفع من مكانته العلميّة العالية.
- الشَّارحُ العلَّامة الغلاويُّ له نظمٌ في المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيِّ، عدد أبياته (324) بيتاً، وطُبع مراراً، وله أهميّةٌ كبيرةٌ عند أعلام الفقه المالكيِّ، وهذا يدلُّ على التَّرابط بين الفقه والعقائد، وليس كما يُروّج حديثاً بانفكاكهما.
- متنُ الأوجليِّ متنٌ مهمٌّ، شرحه أكثر من ستَّة شُرَّاح، أوَّلُهم المؤلِّف نفسه، واثنان من أبناء ليبيا، وثلاثةٌ من أبناء شنقيط وغرب إفريقيا.
- غالبُ مؤلفاتِ الإمامِ الأوجليِّ غيرُ مطبوعة، وهي بحاجة إلى عناية خاصَّة، وينبغي العمل على إصدارها في موسوعة خاصة به تحمل اسمه.
- منظومة الأوجليِّ حفظها الكبار والصغار، وهي كثيرة الانتشار؛ إذ كانت من المقررات الدراسية في المعاهد والزوايا والمحاضر، كما يشهد لذلك الغلاويُّ، وأنَّه أراد شرحها للعامَّة والنِّساء، وأهل البادية؛ لأهمّيتها ونفاستها ووجازتها.
- أوصي بضرورة التَّركيز على الدِّراسات اللِّيبيّة، والمآثر والمخطوطات والمناهج والمؤلَّفات الَّتي تضيء لنا طريق أسلافنا الصُّلحاء؛ لنسير على خطاه، بعيداً عن المناهج المستوردة الَّتي حملت العنف لأوطاننا وأبنائنا.

وصلّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع:

- الأشباه والنَّظائر: تاج الدِّين السُّبكي، دار الكتب العلميّة، ط1، 1991م.
- اعتلال القلوب: محمَّد بن جعفر الخرائطيّ، تحقيق: حمدي الدمرداش، نزار الباز، مكَّة المكرَّمة ط2، 2000م.
- الأعلام: خير الدِّين الزِرْكِلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1980م.
- إيضاح المكنون ذيل كشف الظُّنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى الروميّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992م.
- بلاد شنقيط المنارة والرِّباط: خليل النَّحوي، منشورات المنظَّمة العربيّة للتربية والثَّقافة والعلوم، تونس، ط1، 1987م.
- بوطليحية مقدِّمة نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكيّ: محمد النَّابغة الغلاويُّ تحقيق: يحيى براء، المكتبة المكيّة مكَّة، مؤسَّسة الرَّيَّان، بيروت، ط2، 2004م.
- التِّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار: محمد خليل بن غلبون، تحقيق: الطَّاهر الزَّاوي، المطبعة السلفيّة، القاهرة، ط1، 1349هـ.
- الجامع الصَّغير في أحاديث البشير النذير: للجلال السّيوطي، دار الفكر، بيروت، ط1 1401هـ-1981م
- جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبيّ، تحقيق: فوَّاز أحمد دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003م.
- جهود العلماء اللّيبيّين في علم الكلام، تأليف: السائح عليّ حسين، طبعت مع المجموعة الكاملة لمؤلفاته، صدرت عن جمعيّة الدَّعوة الإسلاميّة العالميّة طرابلس، 2009م.
- الجواهر الإكليليّة في أعيان علماء ليبيا من المالكيّة: ناصر الدِّين الشَّريف، دار البيارق عمّان ط1، 1999م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمَّد أمين المُحبيّ، دار صادر، بيروت، ط1 د.ت. ط.
- دُرَّة الحِجال في أسماء الرِّجال: أحمد بن محمَّد بن القاضي، تحقيق: محمَّد الأحمدي أبو النُّور دار التُّراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت. ط.
- الدُّرَّة الوَقِيدَة في شرح العقيدة: محمَّد الصَّالح بن سليم الأوجليّ، تحقيق: محمد سويسي، طرابلس، ط1، 2012م.

- الدُّرر الجوهريّةِ في شرح الحكم العطائيّةِ: عبد الرَّؤوف المناوي، دار كشيدة للنشر، القاهرة، ط1، 2019م.
- دليل السَّالك إلى موطأ الإمام مالك: محمَّد حبيب الله الشّنقيطيّ، تحقيق: محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت. ط.
- دليل المؤلّفين العرب اللِّيبييّن، طبع أمانة الأعلام والثَّقافة، دار الكتب، طرابلس، 1397هـ 1977م.
- ديوان الوسائل المُتقبَّلة في مدح النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: عبد الرَّحمن يخلفتن الفازازي المطبعة الميمنيِّة، القاهرة، 1322هـ.
- رائحة الجنَّة شرح إضاءة الدِّجنَّة في عقائد أهل السُنَّة: عبد الغنيّ النابلسيّ، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت. ط.
- الزّبدة الرّائقة في شرح البُردة الفائقة: زكريَّا الأنصاريّ، تحقيق: عطيفة مصطفى، دار كشيدة القاهرة، د.ت. ط.
- زيادة التَّبيِّن على المُرشد المُعين: محمَّد الصَّالح بن سليم الأوجليّ، تحقيق: محمد سويسي طرابلس، ط1، 2010م.
- سنن التِّرمذيّ: تحقيق الشَّيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت ط1، 1423هـ 2002م.
- شجرة النُّور الزكيّة في طبقات المالكيِّة: محمَّد محمَّد مخلوف، تحقيق: د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينيّة بيروت، ط1، 2007م.
- شرح الحكم العطائيّة: أحمد زرُّوق، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2004م.
- شرح سبك الجواهر في استخراج ما تضمّنه قول "لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله" من العقائد: محمَّد الصَّالح بن سليم الأوجليّ، تحقيق: نزار حمَّادي، دار الإمام ابن عرفة، تونس،2010م
- الشَّمائل المحمَّديّة والخصائل المصطفويّة: محمَّد بن عيسى بن سَوْرة التِّرمذيّ، تحقيق: سيِّد عبَّاس الجليميّ، مؤسَّسة الكتب الثقافيِّة، بيروت، ط1، 1412هـ.
- صحيح البخاريّ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاريِّ، (256)هـ، تخريج وضبط: صدقي

جميل العطَّار، دار الفكر، بيروت،ط5، 1426هـ، 2005م.

- عناية علماء البلاد اللِّيبيّة بالتَّأليف في المباحث الكلَّامِّية: محمَّد سالم العجيل، تقديم: سالم محمَّد مرشان، مؤسَّسة كلام للبحوث والإعلام، أبوظبي، ط1، 2016م.
- فتح الشَّكور في معرفة أعيان علماء التَّكرور: الطَّالب محمَّد بن أبي بكر الصدِّيق الولاتيّ تحقيق: محمّد إبراهيم الكتانيّ، ومحمد حجي، دار الغرب الإسلاميِّ، بيروت، ط2، 1428هـ 2007م.
- الفهرس الشَّامل للتُّراث العربيِّ الإسلاميِّ المخطوط، مؤسَّسة آل البيت، عمَّان الأردنّ 1987م.
- فهرس المخطوطات بمركز جهاد اللِّيبيِّن للدِّراسات التَّاريخيّة: إبراهيم سالم الشَّريف، مركز جهاد اللِّيبيين للدِّراسات ط1 2000م.
- فهرس مخطوطات غدامس: إعداد بشير قاسم يوشع، منشورات مركز جهاد اللِّيبيِّين، ط1 1986م.
- قلادة النَّحر في وفيات أعيان الدَّهر: الطَّيب بن عبد الله آل الحضرميِّ، تحقيق: بوجمعة مكري، خالد وزاري، دار المنهاج، بيروت، ط1، 2008م.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة النَّاس: إسماعيل بن محمَّد العجلونيّ، تحقيق يوسف بن محمود الحاج أحمد، مكتبة العلو الحديث.
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدِّيباج: أحمد بابا التنبكتيّ، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، المغرب، ط1، 2000م.
- الكُنَّاش: أحمد زرُّوق، نسخة مخطوطة مُصوَّرة عن مكتبة المسجد النَّبويّ الشَّريف.
- لسان العرب: محمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ، ط1، دار صادر، بيروت.
- المباشر على ابن عاشر: محمَّد النَّابغة الغلاويّ، تحقيق: عبد الله ولد ابراهيم ولد عبدات، ط1 2009م.
- متن الأخضريّ في العبادات على مذهب الإمام مالك: عبد الرَّحمن بن محمَّد الأخضريّ مكتبة ومطبعة محمَّد علي صبيح وأولاده، القاهرة.
- المرشد المعين على الضروريِّ من علوم الدِّين: عبد الواحد بن عاشر، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السَّلام شقورن، القاهرة، 1953م.
- المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ، تحقيق: طارق بن عوض الله

الحسينيّ، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ .

- معجم البلدان اللِّيبيّة: الطَّاهر الزَّاوي، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، ط2، 2018م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحَّالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- موسوعة القطعاني، تأليف: أحمد القطعاني، ط1، 2012م، الواثقون للمقاولات طرابلس، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة.
- نيل الابتهاج بتطريز الدِّيباج: أحمد بابا التنبكتيّ، تحقيق: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2013م.
- هديّة العارفين، أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين: إسماعيل باشا البغداديّ، مكتبة المثنَّى بغداد.
- واسطة السُّلوك في بيان كيفيّة السُّلوك: محمَّد بن عبد الرَّحمن الحوضيّ، تحقيق: نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة، تونس.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفديّ، دار الفكر، بيروت، ط1، 2005م.
- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: أحمد بن الأمين الشنقيطيّ، بعناية: فؤاد سيّد، مطبعة المدني، القاهرة، ط4، 1989م.

أهمية الشَّوارع والطُّرقات في التَّخطيط العمرانيِّ الأصيل: مدينة فاس نموذجاً

Streets and roads and their role in the original Urban planning fez as an escample.

اسم ولقب المؤلف: د. علي البوزايني

الدرجة والرتبة العلمية: كلِّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة سايس فاس المغرب.

البريد الإلكتروني: elbouzaini.ali@gmail.com

الملخص :

تتناول هذه الورقة العلميّة جانباً مهماً من جوانب التخطيط الماديِّ للمدينة المغربيّة الأصيلة، ويتعلق الأمر بدراسة الشوارع والطُّرقات؛ باعتبارها شرايين الحياة وضمان الاتِّصال بين مكونات المجال الحضريِّ الأصيل، ونظراً لأهمّيتها؛ فقد أطَّرها التَّشريع الإسلاميُّ بشكل يضمن الارتفاق بها من جهة، ويجعلها تتحكَّم في توزيع باقي المكونات العمرانيّة والمعماريّة من جهة أخرى، مع ما صاحب ذلك من تصنيفٍ لمقاييسها حسب أهميتما وتدفقات الحركة بها؛ فتنوعت بين الطريق العامِّ، فالعامِّ الخاصِّ، وصولاً الى الخاصِّ غير النافذ، هذا التَّخطيط ترك هامش الحريَّة للسَّاهرين على تطبيق التَّصور الماديِّ، بشكل يتماشى مع الظروف الطبيعيّة السياسيّة والأمنيّة للمدينة، وهو ما جعل هدا التَّخطيط يستجيب بحقٍ للحاجيَّات الأساسيّة للمجتمع، في توافق تامٍّ مع وسائل النَّقل المتاحة آنذاك، وهو ما استغله بعض المستشرقين لانتقاد تخطيط شوارع المدن الإسلاميّة عموماً.

لهذه الاعتبارات اخترنا الخوض في الموضوع؛ على أمل استنباط بعض القيم الجماليّة والحسيّة التي ميَّزت مدننا الأصيلة، وإدماجها في تخطيط شوارع مدننا الحالية في القادم من الدراسات المجاليّة للمدينة المغربيّة عموماً وفاسٍ خصوصاً.

الكلمات المفتاحيَة: الشَّبكة الطُّرقية، البعد الجماليّ، التَّكوينات العمرانيّة، الهندسة الحضريّة، البنية الالتوائيّة.

Abstract:

This scientific paper deals with an important aspect of the physical planning of the authentic Moroccan city, and it is related to the study of streets and roads as lifelines and ensuring communication between the components of the original urban field. On the other hand, with the classification of its scales according to their importance and the flows of movement in them, they varied between the public road, the private public, up to the non-exhaustible private. This planning left a margin of freedom for those who watched the application of the material concept and in line with the natural political and security conditions of the city. This planning truly responds to the basic needs of society in complete agreement with the means of transportation available to you, which is what some orientalists have used to criticize the planning of the streets of Islamic cities in general.

For these considerations, we chose to delve into the subject in the hope of eliciting some of the sensual aesthetic values that characterized our authentic cities and integrating them into the planning of the streets of our current cities in the coming field studies of the Moroccan city in general and Fez in particular.

Keywords: road network, aesthetic dimension, urban formations, urban architecture, torsional structure.

مقدِّمة :

تضم المدينة الإسلامية مجموعة من التكوينات المعمارية والعمرانية التي تهدف بالأساس إلى الاستجابة للمتطلبات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية، وقد اختلف الارتفاق بها حسب الوظيفة المنوطة بكل عنصر، وهذا ما جعل المدينة بحقٍّ تعبِّر بصدق عن ثقافة الإنسان: طريقة عيشه، وتفكيره، واندماجه مع الطبيعة التي تحيط به، بل أصبحت مرآةً تنعكس على وجهها كل خصائص المجتمع؛ لأن تعمير المدن وبناءها ليس فقط بالأحجار، والأخشاب، وتنظيم المرافق، بقدر ما هي بالقيم والمبادئ التي أطَّرت هذا التصور، والتي تستمد ماهيتها من ارتباط العلم بالفن، والفكر بالجمال، والدِّين بالعمران، وهو ما ينفي مبدأ ارتجالية المدينة الإسلامية باعتبارها تنم عن تخطيط وتنظيم قبلي استحضار كل عوامل النجاح، وهو ما ينطبق على نماذج عدة من المدن المغربية الأصيلة، التي أخذت نصيباً مهماً من دراسة جوانبها السياسية، والاقتصادية، لكن ما ينقص هي الدراسات التي تتعلق بالجوانب التعميرية، حيث ستتركز دراستنا هذه على أهمية الشوارع باعتبارها الشرايين التي تتدفق عبرها الحياة لجسم المدينة، فعبرها يتم ربط الكتل المبنية، والمرافق والخدمات في توافق تام مع الحاجات الاجتماعية والاقتصادية للساكنة، وفي هذا الصدد يشير علماء الاجتماع إلى أهمية النقل والتواصل في إحداث التفاعل الذي يؤدي في النهاية إلى نحو المدينة، وعلى العموم فقد اختلفت مساحات الشوارع والطرقات بشكل تدريجي حسب الدور الدي تلعبه، وهو ما سنحاول رصده من خلال التعريف بأنواع ومقاييس الشوارع والطرقات والعوامل المتحكِّمة في ذلك، وكذا التغيرات التي طرأت على هذه الطرق مع مرور الوقت، وذلك من خلال دراسة مستفيضة.

الإشكالية :

البحث في موضوع التخطيط العمراني للمدينة الإسلامية وتنظيم بنيتها الداخلية، وخصوصاً الشبكة الطرقية بتعقيداتها، والعوامل المتحكِّمة في ذلك يفرض التَّسلح بمجموعة من المعارف التاريخية والتشريعيةوالتي أطَّرت هذا المجال؛ حتى تنتظم بهذه الطريقة التي أفضت في النهاية إلى الاستجابة لحاجيات الساكنة، وهو ما أثار فضولنا للتساؤل حول:

-ما المبادئ والتشريعات التي تحكَّمت في توزيع وتنظيم الطرقات بالمدينة الإسلامية عموماً ومدينة فاس خصوصاً؟

- ما العوامل الأخرى المختلفة التي أعطت لطرقات فاس خصوصيتها؟

- ما طبيعة العناصر المعمارية الأخرى التي أثثت المشهد الطرقي بفاس الاصيلة؟

منهجية البحث :

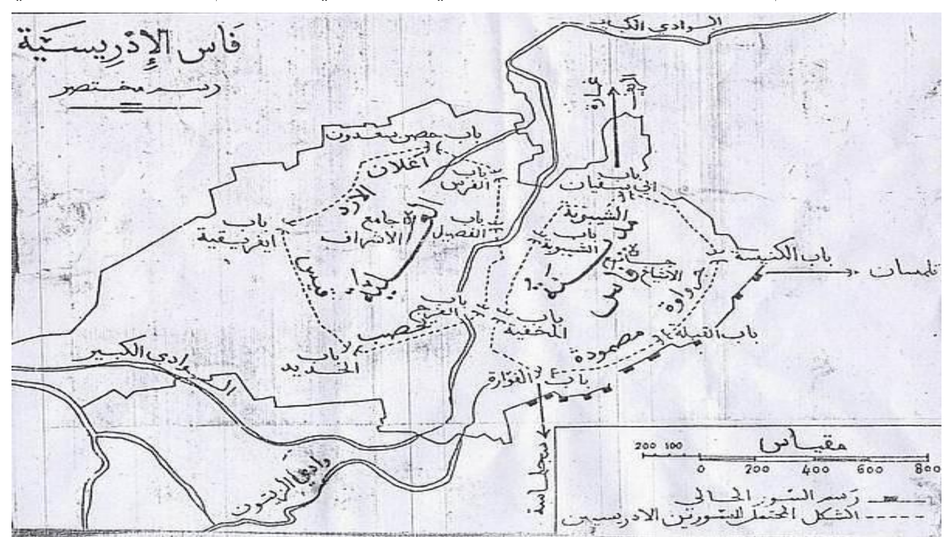
اعتمدنا في إنجاز هذه الدراسة على منهج تاريخي، قوامه الجمع بين التحليل والتركيب بهدف الوصول إلى ضبط العلاقات والتفاعلات بين مختلف العناصر المشكّلة للموضوع المدروس، وذلك بالاعتماد على كثير من أدوات البحث المساعدة، هذا إلى جانب الانفتاح على تخصصات أخرى، وأخصُّ بالذكر الاستعانة بالجغرافيا والسوسيولوجيا، وعلى العمل الميداني من خلال الزيارات الميدانية التي عزَّزت بحثنا من خلال الوقوف على الجانب النظري في التخطيط وآثار ذلك في الميدان.

أهداف الدراسة :

إعادة الاعتبار لشخصية المدينة المغربية الأصيلة في ظل طغيان الفكر العمراني المعاصر، ظلَّ من بين الاهتمامات التي نتقاسمها مع ثلة من الغيورين على قضايا العمران و المعمار، خصوصاً أنه بين الفينة والأخرى تظهر بعض الدراسات التي تحاول التنقيص من أهميته وطريقة تنظيمه وأن هذا المجال ينتظم بطريقة غير عقلانية؛ بدليل الشوارع و الطرقات التي تفتقد لقواعد التنظيم؛ لكل هذه الاعتبارات جاءت هذه الورقة العلمية المتواضعة لإبراز مختلف العوامل التي تحكمت في توزيع المشهد الطرقي بمدننا الأصيلة، وفاس بالخصوص؛ لإثبات مساهمة هذا العنصر العمراني، باعتباره شريان الحياة الاقتصادية والاجتماعية، بل أعطى للمدينة الأصيلة تفردها وشخصيتها.

1- نبذة تاريخية عن نشأة وتطور مدينة فاس.

مدينة فاس هي العاصمة العلميّة للمغرب، وهي صفة ظلت ملازمة للمدينة، وهي واحدة من أهم مدن العالم العربيّ والإسلاميّ على مر التاريخ، فهي الحاضرة التي طالما كانت عاصمة في أكثر من مرة للدول التي تعاقبت على المغرب، أو المدينة الثانية من حيث الأهمية، حينما تتحوَّل العاصمة لمدينة أخرى، كمراكش أو مكناس، أو الرباط. ليس الحديث عن مسألة تأسيس فاس بالأمر الهين؛ لأنَّ الروايات في هذا الصدد تتعدَّد وتتكاثر، وتجعل الإقرار برواية من الروايات أو التسليم بها مجرد ضرب من أحكام القيمة المتسرعة؛ لذلك سنقوم بعرض كل تلك الروايات التي جاء بها المؤرخون المغاربة والأندلسيون؛ لأنَّ الأمر غير محسوم بالنِّسبة للمؤرِّخين والجغرافيين فمنهم من يقول: إن مؤسسها هو إدريس بن إدريس، ومنهم من يقول: إن إدريس



الأول بدأ بناءها وأتمَّه ابنه إدريس الثاني، أي أنَّ مؤسس مدينة فاس الفعليّ هو إدريس بن إدريس، الذي نجح في بنائها بعد محاولتين فاشلتين، أولاهما في سنة 190هـ/ 806م، وثانيهما في 191هـ/ 806م، إلى أن جاءت المحاولة الناجحة في الأشهر الأخيرة من سنة 191هـ/ 807م، فمباشرة بعدما تقوَّى مُلك إدريس بن إدريس وكثُرت حاشيته، وضاقت بهم مدينة وليلي، قرَّر الانتقال إلى منطقة أخرى يُشيِّد فيها مدينته، وللوصول لهذا الهدف كلَّف الأميرُ إدريسُ وزيرَه عمير الأزدي بمهمة إيجاد موقع لتشييد المدينة، وبالفعل تمكَّن هذا الأخير من إيجاد موقع في سهل سايس بين جبلين تتفجر فيه العيون والأنهار، يسكنها قوم من قبائل زناتة (بنو يازغة، وزواغة المعروفين ببني الخير). وعاد إلى أميره مبشِّراً، فلم يتردد المولى إدريس في اقتناء الأرض من مُلَّاكها الأصليين، وشرع في البناء، ذكر ابن أبي زرع الفاسيّ أنَّ بني يازغة كانوا سبَّاقين لبيع

عدوتهم الشَّرقيّة للإمام إدريس بن إدريس، وبعد صعود الدولة المرابطية للحكم قام يوسف بن تاشفين بتوحيد عدوتي الأندلس والقرويّن، وهَدَم الأسوار بينهما، وأضاف العديد من الأرحية المائية بجانب الوادي الذي يفصل العدوتين[1]، لكن بمجيء الدولة الموحدية بعدها قام المنصور الموحدي بإعادة بناء الأسوار من جديد، لكن الملاحظ أنَّ مدينة فاس ستعرف عهدها الذهبي مع ظهور الدولة المرينية 646 هـ التي أنشأت المدارس: كالعطارين البوعنانية والشراطين، وتم تنميقها بالزخارف إلى جانب تشييد المدينة البيضاء على مقربة من المدينة الأصيلة. وبذلك تم اغناء الرصيد العمراني والمعماري للمدينة لتتراجع مكانة المدينة في عهد الوطاسيين، والسعديين، اللهم تشييد بعض الأبراج لحماية المدينة، لكن سرعان ما استرجعت المدينة بريقها مع قدوم الدولة العلوية بتشييد الرياضات والحدائق.

أهمها حديقة جنان السبيل والتي شيدت في العهد المريني كمنتزه للأميرات وتم اهمالها لتعود



من جديد في حلة جديدة في عهد السلطان العلوي الحسن الأول صاحب الفكر الإصلاحي.

2- أصل تسمية المدينة من خلال الروايات

اختلف المؤرخون والمختصون حول أصل تسمية المدينة، فصاحب روض القرطاس يؤكد: "إن إدريس الثاني رضي الله عنه لما شرع في بنائها، كان يعمل بيديه مع الصناع والمهرة، فصنع له بعض خدمه فأساً من ذهب، فكان يمسكه بيده، ويبدأ به الحفر، ويختط به الأساسات للفعلة؛ فكثر ذكر ذلك الفأس على ألسنتهم في طول مدة البناء، فكانوا يقولون: هاتوا الفأس، خذوا الفأس، احفروا بالفأس، فسميت مدينة فاس لأجل ذلك"، نسب ابن أبي زرع

---

[1] الدبيش عبد الوهاب فاس المرينية بين سنتي 674-759 المجال المجتمع وعلاقتها بالدولة رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا شعبة التاريخ كلية الآداب ظهر المهراز فاس1988-1989 ص 75.

الفاسي هذه الرواية لصاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وقيل: "لما شرع في الحفر وجد في الحفير فأساً كبيرة زنتها 60 رطلاً فسميت المدينة بها وأضيفت إليها"، وكانت هذه ثاني رواية تربط تسمية المدينة بلفظ "فأس"، وهي تلك الآلة الحادة التي تستعمل في الحفر وقيل كذلك، "لما تمت بالبناء قيل لإدريس رضي الله عنه: كيف نسميها؟ قال: نسميها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها الذي أخبرني أحد الرهبان أنه كانت هنا مدينة أزلية من بنيان الأوائل، فخربت قبل الإسلام بألف وسبعمائة سنة، وكان اسمها ساف، ولكن اقلبوا اسمها، فقلبوه فأتى منه فاس فسميت مدينة فاس[1].

ومن الروايات البعيدة عن التصديق بخصوص تسمية المدينة، نجد رواية تقول: إنَّ المولى إدريس لمَّا شرع في بنائها قال له خاصته: أيها الأمير كيف نسمِّيها؟ قال: سمُّوها باسم أول رجل يطلع عليكم، فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه وكان ألثغ، وقال اسمي "فارس" فأسقط الراء عن لفظه لأجل اللثغة، فقال الإمام إدريس سمُّوها كما نطق بها، فقالوا "فاس".

الروايات في هذا الصدد مازالت تتوالد وتتكاثر، لكننا قرَّرنا الاعتماد على المصادر التاريخية التي يعتد بها، ولم نشأ أن نورد بعض الروايات المستحدثة التي ليس لها سند تاريخي، أو بعيدة كل البعد عن التصديق.

3- مقاييس الشوارع والطرقات في المدينة المغربية الأصيلة.

تختلف مقاييس الشوارع والطرقات في المدينة الإسلامية تبعاً للظروف السياسية والطبيعة المرافقة لنشأتها وكذا الحرية التي منحها مخططو المدن للساكنة؛ من أجل وضع معايير تتناسب مع مصالحهم، في احترام تام للدِّين، وهو مؤطِّرٌ عمراني؛ وبذلك فقد عبَّرت هذه الارتفاقات عن أسلوب في الحياة يضمن الاستعمال النفعي للمجال، في استحضار دائم لضوابط دينية وعقلانية، فهذا أبو يعلى الفرَّاء يتحدَّث عن تخطيط البصرة حيث يقول "وقد مصَّرت الصحابة البصرة على عهد عمر، وجعلوها خططاً لقبائل أهلها، فجعلوا عرض شارعها الأعظم وهو مربدها ستين ذراعاً، وجعلوا عرض ما سواه من الشوارع عشرون ذراعاً، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمربط خيلهم وقبور موتاهم، وتلاصقوا

---

[1] علي الجزتائي "جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس" تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط ط2؛ 1914ص 24 .

في المنازل، ولم يفعلوا ذلك إلا عن رأي اتفقوا عليه، أو نص يجوز خلافه (1)، وعن بشير بن كعب عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ قال : "إذا تدارأ القوم في طريق فليجعلوه سبعة أذرع" (2)، فهذا الحديث يقدم لنا لمحة عن كيفية تخطيط شوارع المدينة الإسلامية، وطريقة تحديد مقاييسها، وهو يعبِّر عن مرونة كبرى في التعامل مع المجال الحضري فطالما أنه ليس هناك خلاف، فعلى السكان تقدير اتساع شوارعهم بما يلائم استعمالاتهم، فهذا ابن الرامي يورد إشارة مفادها أنه من حق الرعية الاستقلال بقراراتها فيما يخص تحديد اتساع الطرق حسب الحاجة، فقد جاء في كتاب ابن عبدوس عندما قال ابن كنانة في إجابته عن سؤال حول مقياس الطريق الواجب اتخاذه حتى يستفيد منه الجميع حيث أجاب "يترك الناس من سعة الأزقة والطرق ما يمر فيه أوسع وأعظم شيء يمر في أزقتهم، ولا يحد ذلك كيل البعير وأعظم ما يكون من المحامل والحمل العظيم" (3)، هذا إذا لم يكن هناك خلاف بين الساكنة أمَّا إذا وقع ذلك فآنذاك يتم الاحتكام للحديث النبوي الشريف، والقاضي بترك سبعة أذرع في الشارع أي 3.36 متر تقريباً، فالديّن ترك مساحة الحرية في التخطيط، لكن عند وقوع الخلاف تتدخل السلطة لوضع حد لكل نزوع إنساني يهدف إلى عرقلة الاستفادة الجماعية، وأيضا لصدِّ أي اعتداء قد يعرضها للضيق، وهذا ما جعل المدينة الإسلامية تتوفر على بنية طرقية تدريجية حسب وظيفتها، فإذا كان هذا هو الإطار الذي تخطط وفقه المدن، فهل اتبعت مدينة فاس الأصيلة نفس النهج؟

للإجابة عن هذا السؤال، سنعتمد التقسيم الطرقي وفق المقاييس التي اعتمدتها المدن الإسلامية، ومن ثَمَّ محاولة مقارنتها بحالة مدينة فاس لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف؟

تضم المدن الإسلامية بنية طرقية تدرجية؛ تبعاً لطبيعة الاستعمال ودورها في المجال الحضري وهكذا نجد:

---

[1]-خالد محمد مصطفى عزب "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية" سلسلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، كتاب الأمة قطر 1997، ص : 89-91.

2-الماوردي، أبي الحسن "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" مكتبة الحلبي، القاهرة 1966، ص : 203.

3-ابن الرامي "الإعلان بأحكام البنيان : دراسة أثرية معمارية" دار المعرفة، 1977، ص : 431.

3-1 -الطريق العام:

يقول فيه المقدسي: (إنه لا اختصاص فيه لأحد، فالناس كلهم يستحقون المرور فيه) (1) ويتسم هذا النوع من الطرق باتساعه وطوله، باعتباره يتجه نحو التكوينات المعمارية المهمة بالمدينة كالمسجد، ودار الإمارة، وتبقى الطالعة الكبرى بمدينة فاس أحسن نموذجاً

للطريق العام التي يبلغ عرضها إلى 3.3 متر، باستثناء بعض الأمتار الضيقة في مدخل العطارين التي لا تقل عن 2.80 متر، نفس الأمر يمكن تطبيقه على الشارع الرئيس بفاس الجديد، الذي يقسم، المدينة البيضاء إلى جزئين: شرقي وغربي، ويصل عرضه إلى 5.80 (7).

الصورتان نموذجان للطرق العامة بمدينة فاس الأصيلة (صورة شخصية)





فإذا نظرنا إلى مقاييس الشوارع الرئيسة بمدينة فاس، ووضعناها في إطارها الزمني المتميز ببساطة متطلبات الحياة، ووسائل النقل عبر الدواب، فإن الأمر يبدو عادياً؛ لأنَّ هذه المقاييس استجابت للحاجيات الأساسية، بل ومثَّلت مظهراً من مظاهر الحضارة المغربية التي

1-مصطفى عزب "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية: ص : 90.

يمكن الافتخار بها؛ لدرجة أنها أثارت اهتمام الأجانب، فهذا روجي لوتورنو يصف شارع فاس الجديد بالمدينة البيضاء المرينية بأنه أوسع الشوارع في المدن الإسلامية كلها (1).



الصورة أعلاه تمثل نموذجاً للطرق العامة الخاصة بمدينة فاس الأصيلة

2-3 -الطريق العام الخاص:

ويَقِلُّ أهميةً من الأول؛ لأنَّ عدد مستعمليه أقل من الأول، وبالتالي فهو يدخل مرحلة أولى من الخصوصية، حيث يربط بين الشارع الرئيس والخطة، ولهذا تركت حرية تخطيطها وتحديد مقاييسها لأصحاب الخطط وللسلطة حق التدخل، إذا طلب منها ذلك (2)، ولدينا بمدينة فاس نماذج عديدة من هذه الطرق التي تخترق عدوة القرويين لتحدث تواصلاً بين القبائل التي تستقر في شكل خطط – القيروانيون، والأندلسيون_ بالمكونات العمرانية الكبرى للمدينة كالمسجد، والأبواب.

3-3 -الطريق الخاص:

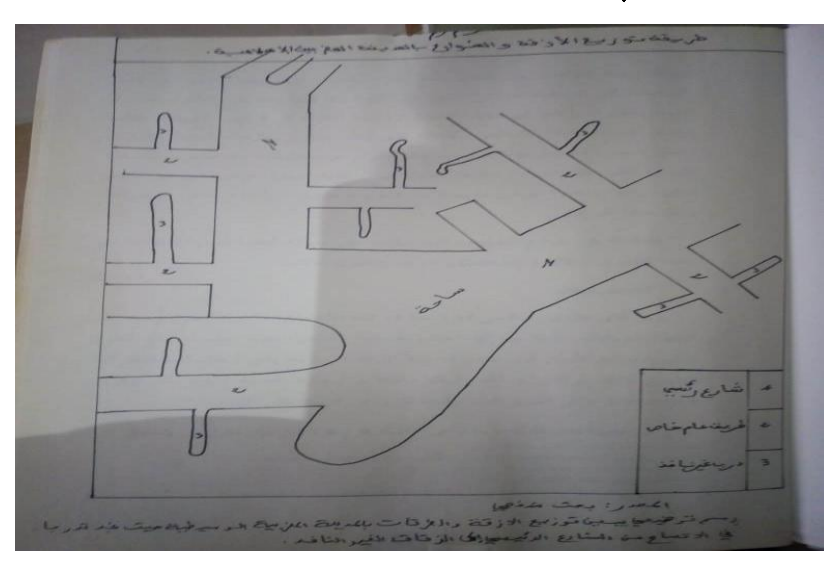
أو ما يطلق عليه بالزُّقاق، وهو عبارة عن طريق غير نافذ _غالباً_ يمثل أقصى درجات الخصوصية ليسمح فقط لساكني الزقاق بالمرور، ويصل عرض البعض منها إلى 0.60 متر بسبع لويات بفاس، وهي طريقة ذكية؛ إذ إنَّ الغريب يحس نفسياً أن لا مكان له بهذا المجال وبالتالي التردُّد في اقتحامه؛ لأنه مُخصَّص لساكنيه فقط.

1-روجي لوتورنو "فاس قبل الحماية" ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ص : 154.

2-عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص : 180.



فطبيعة التخطيط تفرض على المارِّ سلوكاً معيناً، هو احترام حرمة وخصوصية الآخرين، ويثني الأستاذ حسن رضوان على أهمية هذا النوع من الشبكة الطرقية قائلا "تحتوي كل خطة على محور رئيس يهكيل مجالها ويمثل الخيط الرابط بينها وبين الشبكة الطرقية للمدينة، كما تتفرع على هذا النحو الأزقة، ثم الدروب وفق تراتب مجالي يحقق من جهة التماسك، ويحفظ الحرمة بالنسبة للوحدات الجوارية، كما يوفِّر من جهة أخرى مجالات عامَّة من طرقات وشوارع لاستيعاب متطلبات السكان، فالشوارع إذن تشكل محاور إدماجية داخل الخطة وحدود رابطة بينها وبين الخطط الأخرى (1).



1-حسن رضوان "التخطيط العمراني الأصيل" بحث لنيل دبلوم مهندس معماري، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية الرباط 1976-1977، ص : 76-77.

والقاعدة التي استقر عليها الفقهاء في حكم مثل هذا المستوى من الطرق هي أنها تربط بين التكوينات المعمارية الكبرى والخطط، وهي مساحات موزعة على القبائل الوافدة على المدينة، وقد تركت حرية تخطيطها وتحديد مقاييسها لأصحابها بما يتوافق وكيفية ارتفاقهم بها؛ لأنَّه في النهاية زقاق مشترك لانتفاع أهل الخطة دون غيرهم؛ فلهذا صار اللجوء إلى الجماعة قبل النَّص، أو ما يصطلح عليه حالياً بالمقاربة التشاركية في تنفيذ المشاريع.

يتضح مما سبق أنَّ الطرق الخاصة في المدينة تتسم بالضيق ؛ فهي نابعة من رغبة القاطنين في تحقيق مصالحهم المشتركة، وهو ما جعل البعض منها يتسم بالالتواء، فما تفسيرات ذلك؟

4- تفسير البنية الالتوائية بالمدينة الإسلامية الأصيلة:

تداخلت مجموعة من العوامل في إضفاء صبغة الالتواء على الطرق الفرعية، فمنها ما هو منطقي تفرضه أحكام الشريعة الإسلامية كالإرث، والقسمة والبيع، وإعطاء الخصوصية للمنازل، ومنها ما هو مفاجئ كظهور خطط جديدة مع ما يرافق ذلك من إنشاء شبكة طرق جديدة، بعضها شُقَّت من الخطط المجاورة؛ لتسهيل عملية الاتصال، ولم تكن هذه الطرق ترتبط بالخطة المجاورة، هذه العملية تزيد من التواء الطريق وتعقيدها، يضاف لذلك عامل التسلُّط ودوره في تكريس البنية الالتوائية، كفتح طرق وإلغاء بعضها تحقيقاً لأغراض خاصة، كما حدث في العصر العثماني، عندما أنشئت "وكالة" بازرعة في الجهة الغربية من المدرسة الجمالية، وضمّت في مساحتها الطريق الذي كان يحد المدرسة من الغرب (1)، كما أن المجال السكني قد يبتلع نسق الطريق، مما يؤدي لظهور تجاوزات أو سكك ملتوية (2).

فهذه التقسيمات السابقة لشوارع وطرقات المدينة تجعلنا أمام تصميم يمكن تشبيهه بالشرايين الدموية التي تنطلق من القلب، ثم الأوعية لتصل إلى أقصى أطراف الجسم لتعطيه حركية، فكذلك الشأن بالنسبة للطرق التي تنطلق من المسجد باعتباره القلب النابض للمدينة؛ لتربطه بالخطط ثم آخر زقاق بالمدينة في إطار تخطيط شمولي من العام نحو الخاص.

[1]-عثمان عبد الستار، مرجع سابق، ص : 186.

2-ثروت عكاشة "القيم الجمالية في العمارة الإسلامية" دار الشروق الأولى، 1994، ص : 62.

5- العوامل المؤثرة في المشهد الطرقي بمدينة فاس

5-1 العامل الطبوغرافي

إن المتجوَّل في شوارع وأزقة فاس العتيقة أول ما يشدُّ انتباهه _وهو يدخلها من الباب الغربي لعدوة القرويين، أو الشرقي من عدوة الأندلس_ هو طابع الانحدار الذي تتميز به المدينة، فالحسن الوزَّان يصفها بكونها "تكاد تكون المدينة كلها مشيدة على تلال، بحيث أن وسطها وحده هو المستوى، وليس على الجوانب الأربعة إلا المنحدرات" (1) وللتَّكيِّف مع هذه الظروف تم اعتماد طرق تتبع خطوط التسوية؛ لتحقيق انحدار معقول ومنسجم (2) بل يخفف من الانحدار، ولا أدلَّ على ذلك من أسماء بعض الطرق التي تحمل اسم عَقَبة، كدليل على علو المدينة كعقبة الفيران، التي تربط بين رحبة التبن بالزيات، وهناك طرق أخرى أقل انحداراً لكن تم التعامل معها بنفس الطريقة

5-2 العامل الأمني

يُعدُّ هذا الهاجس من بين العوامل المفسرة لتخطيط الطرق؛ حيث وضعت أبواب في نهاية كل طريق رئيس لحماية المدينة، كباب المحروق بفاس، بهدف الوقوف في وجه الأعداء أو المتسكعين الذين يقطنون البوادي المحيطة، ويدخلونها عبر تسلقهم الأسوار بعيداً عن نقط الحراسة، وينفذون اعتداءاتهم داخلها([3])، فأصبح الحلُّ هو وضع أبواب في بعض الطرق كالعطَّارين بمدينة فاس، على اعتبار أنَّ هذا السوق لا يفتح يوم الجمعة و ذلك لحمايته من الغرباء، وإلى عهد قريب كانت هذه الطريقة مستخدمة، إضافة إلى بناء بوابات في الطرق غير النافذة، حيث تفتح نهاراً وتقفل ليلاً بعد صلاة العشاء؛ لحماية السُّكَّان من كل أنواع الأخطار، وهو يدخل في إطار سدِّ الذرائع ([4])، كما أن هذه البنية تساعد على محاصرة العدو إن هو اقتحم هذا المجال، كما استخدم ملاذاً للمقاومين إبَّان الاستعمار الفرنسي .

1-الوزان محمد بن الحسن "وصف إفريقيا" ترجمة محمد حجي محمد الأخضر، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط2، 1985، ص : 221.

2-حسن رضوان، مرجع سابق، ص : 57.

[3]-روجي لوتورنو، مصدر سابق، ص : 368.

4-خالد محمد مصطفى عزب، مرجع سابق، ص : 92.

3-5 عوامل مرتبطة بالبعد الجمالي

من خصائص الطرق في المدينة الأصيلة أنها تُولِّد قيمة جمالية كبرى، وعاطفية حسية وفكرية ([1])، حيث إنَّ المارَّ بطرقاتها لا يحس بالملل؛ نظراً لطابع تعرج الممرات، مما يضمن تغييراً للمنظر كل بضع دقائق من خلال الالتواءات التي تعطي فرصة للتَّجول البصري، وتبسيط المسافات ([2]) عبر التجديد، بل إن هذه الطريقة تجعل المارَّ مشتاقاً لرؤية المنظر الذي يلي المنعطف المقبل، مما يدل على عبقرية التخطيط بالمدن الإسلامية، ومن ضمنها مدينة فاس، حيث الأبعاد الحسية والجمالية حاضرة بقوة، كما أن القطاع الخارجي للمباني من مشربيات ووحدة اللون النابع من الطبيعة المحلية زادت من تنويع التشكيل البصري للشوارع، عكس الرؤية الخطية اللانهائية التي نراها في مدننا المعاصرة، مما يجعلنا نشعر بالملل، وكمثال على ذلك يمكن للزائر أن يقطع المسافة الفاصلة من الباب الغربي للمدينة بباب المحروق نحو شرقها في اتجاه باب الفتوح ومروراً بوسط المدينة دون كلل ولا تعب، لا أن يقطع الشارع الكبير _الحسن الثاني بالمدينة الجديدة_ كله وخصوصاً في الفصل الحار لاعتبارات حسية وطبيعة، فسلبيات الثاني تتجلى في وجود نظرة أحادية، وسيطرة الشارع على الإنسان، وخصوصاً مع وجود عمارات شاهقة، وهو ما يجعل المارَّ عبرها يحسُّ بالدونية، وأما طبيعياً فإن تصميم هذا الشارع يجعله معرضاً للحرارة طيلة اليوم، يضاف لذلك الإسفلت الذي يزيد من حدَّتها.

إن هذه الأوصاف التي قدمناها تجد ماهيتها في الإطار الزمني الذي أنشئت فيه، وكذا الأهداف التي جعلتها تأخذ هذا الشكل، فهي تعبِّر عن ثقافة الإنسان المغربي المسلم، الذي ترجم وخطط المجال بهذه الطريقة بهدف تحقيق الاندماج بين الإنسان والمجال، واستحضار كل العناصر الطبيعة، والحسية، والوظيفية أثناء الإبداع في الهندسة الحضرية.

4-5 عوامل مرتبطة بالمناخ

كان لعامل المناخ دور فعال في توجيه الشوارع والطرقات في المدينة الإسلامية، حيث إن أكبر عدد منها توجد في النطاق الحار مما جعل شوارعها تتجه من الشمال نحو الجنوب، وذلك تفادياً لتعرضها لأشعة الشمس وبالمقابل تظليلها لأطول فترة ممكنة، وفي نفس الوقت استقبال رياح الشمال المخففة للحرارة، والعكس صحيح بالمناطق الباردة، أما بالنسبة لمدينة فاس فنجد شارعين متوازيين من غرب المدينة نحو شرقها، وذلك بحكم اعتدال المناخ، وهو ما

1-محمد شوقي إبراهيم مكي "المدخل إلى تخطيط المدن" دار المريخ للنشر، الرياضي 1987، ص : 112.

2-عثمان عبد الستار "المدينة الإسلامية" مرجع سابق، ص 193.

يجعلها تتعرض لأشعة الشمس صباحاً، بينما تبقى ظليلة طيلة اليوم، وخصوصاً في فصل الصيف، يضاف لذلك استفادتها من الرياح الغربية التي تهب على المدينة أغلب أشهر السنة.

6- علاقة الشوارع بالتكوينات العمرانية الكبرى لمدينة فاس

تُعدُّ الشوارع والطرقات شرايين المدينة؛ كونها تعدُّ صلة وصل بين المكونات العمرانية للمدينة، وعلى رأسها القلب النابض وهو المسجد، حيث يذهب إليه أغلب الناس وخصوصاً في أوقات الصلاة الجامعة؛ فلذلك تدرجت الطرق لتسهيل الاتصال بين مسجد القرويين، أو الأندلس مع باقي الخطط، انطلاقاً من الطريق العام فالعام الخاص ثم أخيراً الزقاق، كما أن هذه الطرق العامة كانت تؤدي إلى أبواب المدينة الكبرى، وخصوصاً بالمدن السلطانية، كفاس الجديد، حيث الاحتفالات بالأعياد والمناسبات، أو مرور مواكب السلاطين وخروج الناس لمشاهدة هذه المواكب، أو خروج الناس لتوديع أو استقبال كوكب الحجيج ([1]) وهو ما يفرض اتساع الشوارع حتى تستجيب لهذه الحاجيات، فنمو المدينة وازدهارها رهين باتساع وامتداد وسهولة الاتصال بين مرافق المدينة بيسر ودون عراقيل.

يتبين إذن أن الشوارع والطرقات كان إشعاعها ينطلق من مركز المدينة نحو باقي التكوينات التي تمتد خارج المجال الحضري، عبر أسماء الأبواب التي أخذت اسم المدن التي تتجه إليها، انطلاقاً من مدينة فاس كباب إفريقية، وباب الفوارة في اتجاه سجلماسة، وباب الكنيسة في اتجاه تلمسان([2]) وبالتالي فهذه الطرق قد تصل أبعادها لمستويات، محلية، وجهوية.

7- الحسبة ودورها في تنظيم الشوارع والطرقات بالمدينة الأصيلة

تعدُّ الحسبة من بين الوظائف المهمة في المدينة الأصيلة، التي توكل لصاحبها مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنفيذ لأمر الله تعالى "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" آل عمران، الآية 104، ونهجاً على سيرة المصطفى عليه أزكي الصلاة والسلام حين قال "من غشنا فليس منا"، قد اعتبرت من أجلِّ المناصب بحكم الآداب والشروط التي تُطلب فيمن يتولى هذا المنصب، فإضافة إلى الجانب الفقهي للحسبة، هناك الشق التطبيقي في اختصاصاته ، كمحاربة الغش والتدليس، والمكاييل، والموازين، وتنظيم كل مرافق المدينة ومن بينها الشوارع والطرقات، وذلك عبر الحرص على

1-عثمان عبد الستار "المدينة الإسلامية" مرجع سابق، ص : 204-205.

2-علي الجزنائي "جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس" ت حقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الملكية، الرباط ط 2، 1994، ص : 24.

تطبيق مقاييسها ومحاربة كل أشكال التسلط، والحفاظ على نظافتها وإضاءة شوارعها، فقد كان المرء في قرطبة يسير عشرة كيلومترات على ضوء المصابيح، في الوقت الذي لم يوجد فيه بعد ذلك بسبعمائة عام في شوارع لندن مصباح واحد ([1])، فهذا ابن الرامي لما تولى قضاء تونس كان يجول في المدينة وطرقاتها؛ لمعاينة المباني الآيلة للسقوط، فيتولى هدمها، والحرص على إزالة الساباط الذي يعرقل مرور الأشخاص والدواب ([2]) كما حرص على الاهتمام بنظافتها ورشها بالماء، ومنع الناس من الجلوس في الطرقات، كما مُنع أصحاب المواد الثقيلة الوزن أو الأحطاب من المرور عبر الأزقة والشوارع بمدينة فاس، وتخصيص أسواق لهم عند مداخل المدينة كباب عجيسة وباب الفتوح، وباب المحروق، لكن تبريرنا هذا لا ينفي وقوع بعض التجاوزات التي كانت تحدث أثناء فترات الفوضى التي اعتمدها بعض المستشرقين للاستدلال على فوضى المدينة الإسلامية.

8- شوارع المدينة الإسلامية بين عقلانية التخطيط والنظرة الاستشراقية

انطلاقاً من واقع المدينة الإسلامية بشقيها الفقهي والتطبيقي، وبالرجوع للأصول التاريخية والتشريعات التخطيطية التي أطَّرتها، استنتجنا الارتباط الوثيق بين واقع مدننا والإسلام كمنظم لكل تفاصيلها؛ فأصبح دين التمدُّن بامتياز، وهو ما أثار انتقاد بعض المستشرقين الذين حاولوا التقليل من أهمية التنظيم الجيد للمدينة الإسلامية، مثل: بلا نهول، وإدموند بوتيي، وقد حضيت الشوارع والطرقات باهتمام العديد منهم فهذا بلا نهول يصف شوارع المدينة الإسلامية بالاضطراب وعدم مسايرتها لظروف التمدن ومعايير التخطيط، وهناك من عدَّ الشوارع والطرقات امتداداً للأكروبول و الكابيتول، فهذه النعوت تبقى دون قيمة، إذا ما انسلخنا عن الإطار الزمني الطبيعي، والديني لتنظيم الشوارع، خصوصاً أنَّ الغرب يحاول التنقيص من أهميتها مقابل إبراز الحضارات السامية باعتبارها أسمى حضارة، وما هذه الردود إلا مساهمة بسيطة علمية ومسؤولة؛ وذلك بهدف إبراز شخصية المدينة الإسلامية الأصلية والمتفردة.

1-عثمان عبد الستار "المدينة الإسلامية" مرجع سابق، ص : 198.

2-نفسه، ص : 210.

9- السقايات نموذج لتحف معمارية وفنية تأثث المشهد الطرقي بمدينة فاس الاصيلة

تتميز مدينة فاس بكونها مدينة السقَّايات (النوافير الحائطية) العمومية بامتياز؛ لكونها شُيِّدت فوق أرض غزيرة المياه ومتدفقة العيون والمنابع الطبيعية، وتعرف هذه السقايات بجمالية هندستها المعمارية المغربية الأصيلة، ورونق شكلها، وأشكال الفسيفساء البديعة التي تزينها، في تناغم تام مع نقوش خشب الأرْز والجصِّ مشكلة تحفاً فنية رائعة تزيِّن ساحات فاس، وتزيدها المياه المنسابة منها رونقاً وجمالا.

تنقسم السقايات إلى ثلاثة أاجزاء أساسية؛ يسمى الجزء الأسفل منها حوض السقاية، وهو عبارة عن حوض مستطيل يتجمع فيه الماء ومنه تشرب الدواب، والجزء الأوسط: الصدرية، يتكون من قوس أو ثلاثة أقواس، ويزين بقطع الزليج الفاسي الأصيل بأشكال هندسية متنوعة، والجزء الأعلى يسمى السقف، وغالباً تتشكل من قطع خشبية منقوشة أو قرمود، أو تُزيَّن بالرخام أو بالخط العربي، وبسبب كثرتها لابأس من ذكر بعض منها:

-سقاية ساحة النجَّارين: تعد تحفة تزين ساحة النجارين في انسجام تام مع مكونات الساحة، وهي أشهر سقاية بالمدينة.

-سقاية باب عجيسة: هي سقاية فخمة وكبيرة الحجم، ذات صنابير ثلاثة، وفناء واسع مغطى بغطاء قائم على أربع اعمدة، مزينة بأقواس وجدران منقوشة ومنمقة بالزليج.

- سقاية جامع أبي الحسن المريني: تقع بالطالعة الصغيرة بالقرب من المسجد تروي المارة.

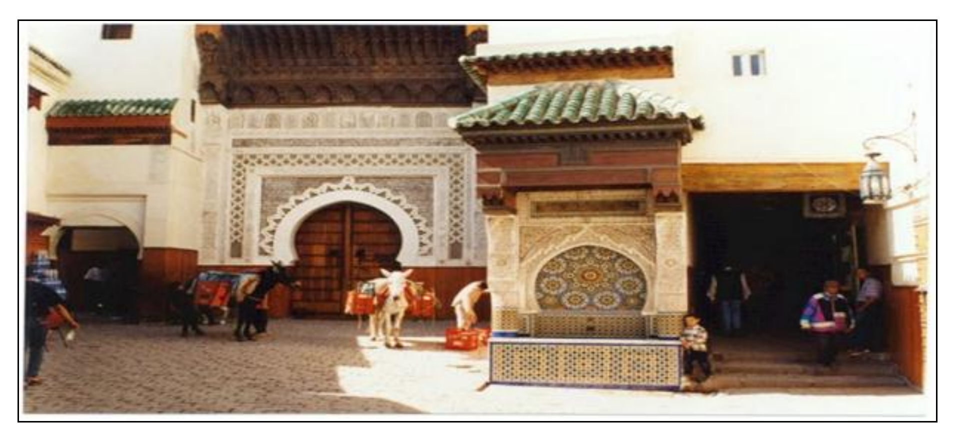
- سقاية مولاي إدريس: تقع بجانب مزار الضريح الإدريسي.

- سقاية الصفارين: تقع بالقرب من خزانة القرويين، مشرفة على ساحة الصفارين.

- سقاية جامع البيضاء بفاس الجديد: تقع بشارع مولاي سليمان.

لكن ما يلاحظ هو تراجع عددها بمدينة فاس وبشكل مهول، فمنها من تعرض للتدهور أو الطمس، ولم تعد مياهها منسابة كما في العهود السابقة؛ حيث جفَّت المنابع، وساء استغلال المياه، وتتابعت سنوات الجفاف، إضافة إلى استنزاف المياه الجوفية بالحاضرة العلمية، بعد فقدان عدد من سقايات فاس لوظيفتها العملية في تزويد الساكنة بالمياه الصالحة للشرب، حتى أصبحت بعضها مجرد لوحات جدارية تزين أحياء المدينة العتيقة واندثرت سقايات أخرى، وطالتها أيادي التخريب التي لم تصلها بعدُ مشاريع إعادة الاعتبار، رغم المجهودات التي باشرتها

وكالة التخفيض من الكثافة ورد الاعتبار لمدينة فاس لحفظ جماليتها المعمارية و التاريخية؛ إذ تعود بعض هذه السقايات لأيام المنصور الموحدي وولده الناصر، إذ كان بمدينة فاس السقايات، وديار الوضوء في مائة واثنين وعشرين موضعاً، منها اثنان وأربعون موضعاً في ديار الوضوء، وباقيها سقايات منها بمياه العيون، ومنها بمياه الأنهار، وبعده العهد المريني، جاء في المسند الصحيح للحسن لابن مرزوق: "فإن أكثر السقايات المعدة للاستسقاء، وسقي الدواب بفاس وبلاد المغرب معظمها من بناء السلطان أبي الحسن رحمه الله، وكذلك أكثر دور الوضوء بحيث كان له شدة الحرص والرغبة في ثوابه، فالمواضع التي بفاس لا يمكن إحصاؤها.



خلاصة عامة:

إذا كانت الطرقات الحديثة تخضع لتصميم مسبق فإن المدن الأصيلة _ومن خلال نموذج فاس العريقة_ لم تتبع نفس الطريقة بل إن تنظيم الشوارع والطرقات تحكَّمت فيها العديد من العوامل الدينية، وطبيعة المجال المتمثل في الانحدار، والمناخ، وتنظيم الخطط، وقد حرص المحتسب على إعطاء الطريق حقه من خلال المراقبة الصارمة، على الرغم من حدوث بعض التجاوزات من طرف الساكنة خلال فترات الفوضى وانعدام الأمن وهو ما دفع بالعديد من المستشرقين لإضفاء صفة العشوائية على طرقات المدينة الإسلامية، لكن في عمومها كانت ومازالت الشريان الحيوي لاقتصاد المدينة الأصيلة، وهو ما يدفعنا للتساؤل عن كيفية تكييف هذا المجال مع العصرنة.

توصيات

- تتميز الشوارع والطرقات بحمولة تاريخية أعطت لمدينة فاس طابع الأصالة.
- لا ينبغي أن تبقى مدينة فاس رهينة الماضي، بل أصبح من اللازم تكييف طرقاتها مع العصر لتتلاءم وحاجيات الساكنة والأنشطة الممارسة
- حل إشكالية الولوج إلى مجال عتيق مساحته حوالي300 هكتار ليس بالأمر الهين، بل يتطلب حلاً وطريقةً للتهيئة تُخرِج المدينة من الاختناق من جهة، وتحافظ على أصالتها من جهة أخرى.
- لا يمكن حل إشكالية ضيق الأزقة التي في الأصل كانت تتلاءم مع احتياجات الساكنة، إذا وضعناها في إطارها الزمني والمكاني بالمقاربة التي طبقها Haussmannبباريس.

المصادر والمراجع:

- الوزَّان محمد بن الحسن "وصف إفريقيا" ترجمة محمود حجي، محمد الأخضر، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، دار الغرب الإسلامي، الرباط ط2، 1985.
- الماوردي أبو الحسن "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" مكتبة الحلبي، القاهرة 1966.
- علي الجزتائي "جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس" تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط ط2، 1914.
- روجي لوتورنو "فاس قبل الحماية" ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
- محمد شوقي إبراهيم مكي "المدخل إلى تخطيط المدن" دار المريخ للنشر، الرياض 1987.
- ابن الرامي "الإعلان بأحكام البنيان دراسة أثرية معمارية" دار المعرفة 1977.
- خالد محمد مصطفى عزب "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية" سلسلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، كتاب الأمة، قطر 1997.
- ثروت عكاشة "القيم الجمالية في العمارة الإسلامية" دار الشروق الأولى 1994.
- محمد عبد الستار عثمان "المدينة الإسلامية" سلسلة كتب ثقافية، عالم المعرفة، الكويت 1977.
- حسن رضوان "التخطيط العمراني الأصيل" بحث لنيل دبلوم مهندس معماري، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية الرباط، 1976-1977.
- الحسين قنوش "الشوارع والطرقات في مدينة فاس الأصيلة: النشأة، التطور والإنقاذ بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، تحت إشراف الدكتور محمد مزين، كلية الآداب سايس فاس 2002-2003.
- الدبيش عبد الوهاب فاس المرينية بين سنتي 674-759 المجال المجتمع وعلاقتها بالدولة رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، شعبة التاريخ، كلية الآداب، ظهر المهراز فاس 1988-1989م.

جدليَّة الشُّورى والدِّيمُقراطيِّة.

Dialectic of Ash-Shura and democracy.

✎ **اسم ولقب المؤلف:** أ. أيمن راشد مصطفى عزّام

الدرجة العلمية والوظيفة: مساعد محاضر، تربيَّة إسلاميَّة بقطاع التَّربية والتَّعليم/ البيضاء، طالب دكتوراه بجامعة الزاوية، كلِّية الآداب، قسم الدِّراسات الإسلاميَّة، شعبة التَّفسير وعلوم الحديث.

———————

الملخص :

هذا البحث يهتم بدراسة الجدلية حول الشورى والديمقراطية، وكيفية الاستفادة من ميزات الديمقراطية، وقد تضمن مقدمة وأربعة مطالب، المطلب الأول: الشورى وأهم ما يتعلق بها، والمطلب الثاني: الديمقراطية وأهم ما يتعلق بها، والمطلب الثالث: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشورى والديمقراطية، والمطلب الرابع: الاختلاف حول آلية استخدام الديمقراطية، وخاتمة تضمنت أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: الاختلاف، الاتفاق، المزايا، العيوب.

Abstract :

This research is concerned with studying the dialectic about Ash-Shura and democracy, and how to benefit from the advantages of democracy. It included an introduction and four demands. The first requirement: Ash-Shura and the most important things related to it. The second requirement: democracy and the most important things related to it. Fourth: the disagreement about the mechanism of using democracy, and a conclusion that included the most important results.

Keywords: difference, agreement, Advantages, Defects.

مقدمة

الحمد لله هو للحمد أهلٌ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد...

فإنَّ الشُّورى من النُّظم الإسلامية التي تنظم حياة المجتمع الإسلامي، وتضمن لهم حياة كريمة، يتمتعون فيها بكامل حرياتهم ويُعبِّرون فيها على آرائهم، ويختارون ما يناسبهم لقيادتهم، وتأمن لهم العيش الكريم، فـ "الشورى ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا"[(1)]، وكذلك الديمقراطية نشأت لضمان الحياة الكريمة لأفراد المجتمع، لكن نشأتها كانت في مجتمعات غير إسلامية وترعرعت في تلك المجتمعات، وأخذت طريقاً ينصدم مع أسس ومبادئ الشريعة الإسلامية، ومع هذا فإنها في القرون الثلاثة الأخيرة حققت نجاحات وازدهاراً في المجتمعات التي أخذت بهذا النظام وطبَّقته، فهذا البحث يدرس الجدال بين الشورى والديمقراطية، وكيفية الاستفادة من المجتمعات التي طبقت النظام الديمقراطي.

الإشكالية والتساؤلات:

الديمقراطية مصطلح ونظام غربي، يتم من خلاله اختيار السلطة التشريعية والتنفيذية، وبما أن الدولة الإسلامية تشعبت وكثر سكانها وهيمنت عليها دولٌ غربية، وهناك عدة صعوبات لتطبيق نظام الشورى، فتُطرح من هذه الإشكالية عدة تساؤلات، وهي:

س[1]: هل وضَّحت الشريعة الإسلامية كل ما يتعلق بالشورى، أم تركت بعض المجالات للاجتهاد؟

س[2]: هل استطاعت الديمقراطية أن تُلبِّي جميع احتياجات الأفراد؟

س[3]: هل هناك أوجه تشابه بين الشورى والديمقراطية؟

س[4]: هل يمكن الاستفادة من ميزات الديمقراطية وأساليبها؟

منهج البحث:

من خلال الكتابة في هذا البحث سأحتاج للمنهج التكاملي المشتمل على المنهج التحليلي والوصفي والنقدي، وذلك بعرض كل ما يتعلق بالشورى والديمقراطية وتحليله، وبيان أوجه التشابه والاختلاف، وعرض أقوال العلماء في الاستفادة من الديمقراطية، وهنا أحتاج للنقد والترجيح.

([1]) أحكام القرآن، ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الثال:2003م، 91/4.

أهداف البحث:

1. الوقوف على مفهوم الشورى والديمقراطية وأهميتهما وخصائصهما.
2. بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشورى والديمقراطية.
3. بيان الاختلاف بين العلماء في كيفية الاستفادة من أساليب الديمقراطية.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات كثيرة تناولت موضوع الشورى والديمقراطية كل منهما على حدة، كذلك هناك دراسات كثيرة وازنت بين الشورى والديمقراطية، وسأذكر ثلاثاً من الدراسات التي وازنتُ بينهما:

1) الشورى والديمقراطية حقيقتهما وأهم الفروق بينهما، عبد الله بن عبد العزيز العنقري، دون ذكر بقية معلومات النشر.
2) عبد العظيم أحمد عبد العظيم، الشورى والديمقراطية شقاق أم وفاق، ندوة بعنوان: الممارسات الديمقراطية في التراث الإفريقي، سرت/ ليبيا، 2006م.

3) هاتان الدراستان اهتمتا بذكر معلومات على الشورى والديمقراطية، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، أما بحثي فقد زاد عليهما بالحديث على آراء العلماء في قبول أو منع الاستفادة من تجربة الدول التي طبقت الديمقراطية، وأخذ ما يتماشى مع تعاليم الدين الإسلامي ومبادئه.
4) محمد محمد القطاطشة، جدلية الشورى والديمقراطية دراسة في المفهوم، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد العشرون، العدد الثاني، سوريا، دون ذكر اسم دار النشر، 2004م.

هذه الدراسة تتعرض للشورى والديمقراطية من خلال المفاهيم، بينما دراستي تتطرق إلى الحديث عن آراء العلماء في الاستفادة من أساليب وآليات الديمقراطية.

منهجية البحث:

انتهجت في هذا البحث المنهجية المتعارف عليها من تخريج للآيات والأحاديث وكتب المصادر والمراجع، ولم يقع في بحثي علمٌ من المغمورين لأترجم له، كما ذكرت معلومات النشر_للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في هذا البحث_ كاملة في قائمة المصادر والمراجع، لكن في الهامش اكتفيت بذكر عنوان الكتاب مع الجزء ورقم الصفحة، أما في البحوث والمجلات فذكرت اسم الباحث مع رقم الصفحة.

خطة البحث:

المقدمة: وما تشمل عليه من عناصر.

المطلب الأول: الشورى وأهم ما يتعلق بها.

المطلب الثاني: الديمقراطية وأهم ما يتعلق بها.

المطلب الثالث: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشورى والديمقراطية.

المطلب الرابع: الاختلاف حول آلية استخدام الديمقراطية.

الخاتمة: وما تحتويه من أهم النتائج.

قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المطلب الأول:

الشُّورى وأهم ما يتعلق بها

مفهوم الشورى لغةً:

هي مشتقة من الفعل شور، يُقال: شار العسل؛ أي استخرجه من الخلية، ويُقال: شاورته في الأمر؛ أي طلبت رأيه، واستخرجت ما عنده وأظهرته، فالشورى والتشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض[1]، وقد ورد ذكرها في ثلاث آيات بنفس هذا المعنى، هي قوله تعالى: "فَإِنۡ أَرَادا فِصَالاًعَن تَرَاض مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُر فَلا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا"[2]، وقوله تعالى: "وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ"[3]، وقوله تعالى: "وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ"[4].

مفهوم الشورى اصطلاحاً:

وقد عُرِّفت بعدة تعاريف لا تخرج عن معناها اللغوي، منها:

1) " الاجتماع على الأمر ليستشير كل واحد منهم صاحبه ويستخرج ما عنده"[5].
2) "طلب آراء أهل العلم والرأي في قضية من القضايا"[6].
3) طلب للرأي ممَّن هو أهل له.
4) تبادل الآراء في أمر من الأمور لمعرفة أصوبها وأصلحها لأجل اعتماده والعمل به.

---

(1) يُنظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى:1412هـ، ص469، 470؛ لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، بيروت/ لبنان، الطبعة الثالثة:1414هـ، مادة شور، 434/4، 435؛ الزبيدي أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، دون رقم الطبعة وتاريخها، مادة شور، 252/12، 257.

(2) البقرة: 233.

(3) آل عمران: 159.

(4) الشورى: 38.

(5) أحكام القرآن، 389/1.

(6) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر، الجيزة/ مصر، الطبعة الثانية:1988م، ص267.

5) تبادل الرأي بين المتشاورين من أجل استخلاص الصواب من الرأي والأنجع من الحلول والسديد من القرارات.

6) الشورى هي استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في أمر من الأمور العامة المتعلقة بها بهدف التوصل فيها إلى الرأي الأقرب إلى الصواب، الموافق لأحكام الشرع؛ تمهيداً لاتخاذ القرار المناسب في موضوعه.

7) وهناك من أضاف للشورى صفة الإيمان، فسمَّاها الشورى الإيمانية، وعرَّفها بأنها: التعاون في تبادل الرأي ومداولته في أمر من أمور المؤمن، أو الجماعة المؤمنة، أو الأمة المؤمنة على نهج أو أسلوب وأسس وقواعدَ تحقق أهدافاً وغايات، تجتمع كلها لتبحث عن الحق أو ما هو أقرب إليه طاعة وعبادة، ويكون النهج والأسلوب والقواعد والأهداف والغايات كلها ربانية يحددها منهاج الله.

1) هي وسيلة لعرض الأفكار والآراء المختلفة من أجل الوصول إلى أفضل هذه الأفكار أو الآراء بمراجعة بعضها بعضاً[1].

وبناء على مجموع هذه التعاريف نستخلص بأن الشورى: هي طرح آراء في مجال الشورى، ممَّن هو أهل للمشاورة، واختيار أنفعها لتنفيذه.

الفرق بين مدلول كلمة الشورى والمشورة:

الشورى والمشورة بينهما علاقة عموم وخصوص، فالمشورة أخص من الشورى، فالشورى هي أخذ الرأي مطلقاً سواء أكان على سبيل الإلزام أو لم يكن كذلك، بخلاف المشورة فإنها تُعنى بأخذ الرأي بشكل إلزامي، وذلك بحسب النصوص الدالة على ذلك[2]، وهي كما يلي:

1) قولهﷺ لأبي بكر وعمر ـرضي الله عنهماـ: «لَوِ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا»[1]، اقترنت كلمة المشورة بصفة الإلزام، ومدلول الحديث يفيد ذلك.

---

(1) يُنظر: الشورى في الشريعة الإسلامية، حسين بن محمد المهدي، تقديم: عبد العزيز المقالح، دون معلومات النشر، ص28، 29؛ الشورى في الإسلام، ابتهاج حجازي بدوي سالم غبور، شبكة الألوكة، ص5؛ سندس جمال رفيق شيخ، الشورى والآليات المعاصرة لتنفيذها "دراسة فقهية مقارنة"، رسالة ماجستير في الفقه والتشريع، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس/ فلسطين:2015م، ص7.

(2) يُنظر: الشورى في الشريعة الإسلامية، ص30، 31.

2) كلمة المشورة الواردة في الحديث لا تدل على العموم مع أنها اسم جنس، وذلك لسببَيْن:

أ- عدم اقترانها بـ (أل) ولم تُضاف.

ب- لم تقترن بنفي، فالنكرة تدل على العموم في حالة اقترانها بنفي.

ت- فكلمة المشورة لو دلَّت على العموم؛ لكانت مرادفة لكلمة الشورى.

1) ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد إتمام البيعة لأبي بكر رضي الله عنه: "فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له هو، ولا الذي بايعه"[2]، أفادت كلمة المشورة في الأثر عن عمر رضي الله عنه على أخذ الرأي بشكل ملزم.

2) ما قاله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد تنصيبه خليفة: "أيها الناس قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي مني فيه ولا طلب ولا مشورة"[3]، فقد أفادت أيضاً على أخذ الرأي بشكل إلزامي.

3) إطلاق العلماء في كتبهم كلمة المشورة على أخذ الرأي على سبيل الإلزام، مثال: ما وضعه ابن هشام في سيرته عنواناً للشورى التي جرت يوم أحد: مشاورة الرسول القوم في الخروج أو البقاء[4]. وعبارة الشافعي في قوله: في المشاورة رضا الخصم والحجة عليه[5].

---

(1) مسند أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى:2001م، مسند الشاميين، رقم الحديث:17994، 517/29، 518. قال الأرنؤوط في تحقيقه: إسناده ضعيف؛ لضعف شهر بن حوشب.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مكتبة ومطبعة مصفى البابي وأولاده، القاهرة/ مصر، الطبعة الثانية: 1955م، 658/2.

(3) تاريخ النفيس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، دار صادر، بيروت/ لبنان، دون رقم الطبعة وتاريخها، 316/2.

(4) 63/2.

(5) الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، دار المعرفة، بيروت/ لبنان، دون رقم الطبعة:1990م، 100/7.

مجال الشورى:

هناك عدة مواضيع ومجالات تبحث فيها الشورى، وهي:

1) الموضوع الذي ليس فيه نص شرعي من القرآن الكريم أو السنة النبوية.
2) الموضوع الذي يحتمل عدة وجوه، سواء ممَّا خُيِّر فيه الإمام، أو تعددت فيه الآراء والاجتهادات.
3) المصالح المرسلة المقيدة، التي لم يرد فيها دليل شرعي على اعتبارها أو إلغائها.
4) الهدف من الشورى:

تحقيق قاسم مشترك بين أفراد المجتمع في موضوع يهم الجميع؛ لأن الفرد قد يُحيد عن الموضوعية إيثاراً لمصلحته الشخصية، وبذلك فالشورى توفر بناء العلاقات بين الجماعات البشرية، وتعمل لتنظيمها وكفالة مصلحة الجماعات، فالعدالة الحقيقة تظهر بالمعادلة بين مصالح الجماعات[1].

حكم الشورى:

الشورى واجبة وهي من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام[2]، أمَّا عند الشافعية فهي سنة، فقد ذكر الشافعي "إنْ كَانَ النَّبِيُّﷺ لَغَنِيًّا عَنْ مُشَاوَرَتِهِمْ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَنَّ بِذَلِكَ الْحُكَّامُ بَعْدَهُ"[3].

حكم الأخذ بالشورى:

هناك كثيرون يقولون بمحدودية الشورى، وأنها غير ملزمة، ولا تتعدى النصيحة، بحيث لا يوجد نص يُثبت إلزاميتها وأنها واجبة الأخذ بها، فأبو بكرﷺ خالف مشورة الصحابة بعدم محاربة المرتدين، لكن من منطلق كلام كثير من العلماء بوجوبها على ولي الأمر، والآيات

(1) يُنظر: عبد الهادي بو طالب، الديمقراطية والشورى، الشورى في الإسلام، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمَّان/ الأردن، دون رقم الطبعة:1989م، ص1156.

(2) يُنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى:1422هـ، 534/1؛ منح الجليل شرح مختصر خليل، عليش أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، دار الفكر، بيروت/ لبنان، دون رقم الطبعة:1989م، 294/8.

(3) الأم، 100/7.

والأحاديث التي بيَّنت أهميتها فلا بد أن يكون نتيجتها وغايتها هو الالتزام بنتائجها وتوصياتها[1]، فقد ذكر ابن عطية في كتابه المحرر الوجيز "والشورى مبينة على اختلاف الآراء، والمستشير ينظر في ذلك الخلاف ويتخيَّر، فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه، عزم عليه وأنفذه متوكلاً على الله، إذ هي غاية الاجتهاد المطلوب منه"[2].

شروط أهل الشورى:

يُشترط في أهل الشورى ثلاثة شروط:

1. العدالة الجامعة لشروطها، ومجموعة في التقوى والورع.
2. العلم الذي يُتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة، وفق الشروط المعتبرة فيه.
3. الرأي والحكمة المؤدِّيان إلى اختيار من هو أهلٌ للإمامة، وبتدبير مصالحها أقوم وأعرف[3].
4. وأهل الشورى يُطلق عليهم عدة مسميات، منها: أهل الاختيار، أهل الاجتهاد، أهل الحل والعقد.

---

(1) يُنظر: خليفة بو زازي، الشورى والديمقراطية في الفكر الإسلامي المعاصر، دفاتر السياسة والقانون، العدد الخامس عشر، الجزائر، دون ذكر اسم دار النشر:2016م، ص353، 354؛ الشورى والديمقراطية حقيقتها وأهم الفروق بينهما، عبد الله بن عبد العزيز العنقري، دون ذكر بقية معلومات النشر، ص19، 20.

(2) 534/1.

(3) يُنظر: الأحكام السلطانية، الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد، دار الحديث، القاهرة/ مصر، دون رقم الطبعة وتاريخها، ص17، 18.

المطلب الثاني:

الديمقراطية وأهم ما يتعلق بها

مفهوم الديمقراطية لغةً:

هي كلمة معربة من اللغة اليونانية، وأصل الكلمة مكونة من كلمتين، الأولى (Demos) وتعني الشعب، والكلمة الثانية (Kratos) وتعني السلطة، فالديمقراطية هي سلطة الشعب، والمراد أن الشعب يكون رقيباً على أعمال الحكومة[1].

مفهوم الديمقراطية اصطلاحاً:

عُرِّفَت الديمقراطية بعدة تعريفات، منها:

1. هي حكم الشعب، من قبل الشعب، ومن أجل الشعب.
2. هي الحكم من قِبل الشعب نفسه، وأنها تُناقض حكم الأقليات.
3. هي تمتُّع المجتمع بحق السَّيادة الكاملة.

يمكن جمع هذه التعريفات تحت مفهوم الديمقراطية الكلاسيكية، والذي يهدف إلى جعل السلطة بأيدي جميع فئات الشعب دون أن تستأثر بها طبقة واحدة أو أقلية؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية والنهوض بالمستوى الاقتصاديK لكن هذا لم يتحقق بإشراك جميع فئات المجتمع في السلطة، بل نقل حكم السلطة من فئة قليلة أو طبقة واحدة إلى حكم الاغلبية.

والديمقراطية بمفهومها المعاصر: هي عملية فذَّة لاتخاذ القرارات الجماعية الملزمة، فهذا التعريف يركز على جوهر الديمقراطية باعتبارها نظاماً يُتوصَّل فيه إلى قرارات جماعية ملزمة لهذه الجماعة، وهذه الجماعة قد تكون دولة أو جمعية أو حزب[2].

---

(1) يُنظر: الشورى في الشريعة الإسلامية، ص32؛ إبراهيم الأمين أحمد، مقارنة بين الشورى والديمقراطية، مجلة العلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الثاني، السودان، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث:2018م، ص71.

(2) يُنظر: خليفة بو زازي، ص352.

وهناك تعريفات أخرى للديمقراطية:

1. الديمقراطية هي حكومةٌ يمارس فيها الشعب السلطة العليا بشكلٍ مباشرٍ، أو غير مباشر من خلال نظام التمثيل النسبي، الذي يقتضي إجراء انتخاباتٍ حرة بشكلٍ دوريّ.
2. هي المشاركة الفعَّالة ما بين الحكومة والشَّعب، وتعاونهما من أجل تحقيق المصلحة العامة للبلاد.

هذا يعدُ نتاجاً للديمقراطية، وليس تعبيراً عن مفهوم الديمقراطية نفسها.

3. هي عبارة عن نظام مؤسسي يهدف إلى تمكُّن الأفراد من اتخاذ قرارات سياسية بالاعتماد على التصويت[1].

هذا التعريف يٌعدُّ التعريف الأنسب والأدق.

ومن خلال هذه التعاريف نستخلص بأن الديمقراطية هي محاولة إدخال الشعب في العملية التشريعية والتنفيذية للدولة.

عند النظر إلى مفهوم الديمقراطية من خلال مجموع هذه التعريفات وبالنظر إلى الواقع نلحظ أن هناك خللاً وصعوبة في تطبيق هذه المفاهيم على أرض الواقع؛ إذ يصعب اجتماع الشعب ليحكم نفسه، وهذا ما يطلق عليه النظام الديمقراطي المباشر، أو أن تقوم جميع فئات المجتمع بعملية اختيار الحاكم، أو أن يقوم الجميع بمراقبة التشريعات وطريقة تنفيذها، خصوصاً مع كثرة التعداد السكاني، إلا أنه يُطبق على نطاق ضيق، وبشروط في بعض المقاطعات السويسرية.

للأسباب السابقة التي تُعدُّ إخفاقاً في تطبيق مفهوم الديمقراطية تحوَّل مفهومها النظري من حكم جميع فئات المجتمع إلى الواقع العملي، وهو حكم الأغلبية من خلال النظام الديمقراطي البرلماني، وبالتالي تميزت من خلال القضاء على الحكم المطلق أو حكم الأقلية إلى حكم الأغلبية.

تاريخ الديمقراطية[2]:

---

(1) مفهوم الديمقراطية ومعناها. يُنظر: (https://mawdoo3.com). كذلك (https://www.arageek.com/ibda3world/glex-2021).

(2) يُنظر: موسوعة السياسية، عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان، دون رقم الطبعة وتاريخها، 751/2 وما بعدها؛ عبد العظيم أحمد عبد العظيم، الشورى والديمقراطية شقاق أم وفاق، ندوة بعنوان: الممارسات الديمقراطية في التراث الأفريقي، سرت/ ليبيا:2006م، ص22- 24.

بدأت الديمقراطية في اليونان القديمة منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد على يد المفكرين السياسيين اليونانيين، الذين تحدَّثوا عن السلطة السياسية بأنها تستند على موافقة الشعب، وأن للناس حقوقاً يجب أن تُحترم، فنشأت الديمقراطية في أثينا وبعض المدن اليونانية، وبنسبة أقل عند الروم القدماء.

وفي القرون الوسطى أدى التنازع بين أتباع الكنيسة والدولة في الدول الأوروبية إلى وضع أسساً للحكم، كما نشأت محاكم لحماية مصالح كبار الإقطاعيين؛ نظراً للفوارق المعيشية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وما لبثت تلك المحاكم حتى أصبحت مجالس يعقدها الملوك للتشاور، ثم تدرجت حتى صارت مجالس تمثيلية وبرلمانية حديثة.

وفي عصر النهضة في أوروبا خلال القرون: الرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر انتشرت الحرية والاستقلالية الفردية فأثرت على الجانب السياسي، فطالبوا بمزيد من الحرية والديمقراطية في كل مجالات الحياة، وهذه الأفكار انتقلت بدورها إلى الكنيسة، ففي أوائل القرن السادس عشر ظهرت حركة إصلاحية خرجت على الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ورفضت هيمنتها على الناس وأنها الواسطة بينهم وبين الله، فأيَّد هذا الانشقاق والحكم المطلق كثير من الناس والمنشقين عن الكنيسة.

وفي عام 1215م أصدرت وثيقة الماجنا كرتا فأصبحت هذه الوثيقة التاريخية رمزاً للحرية، واستُخدمت فيما بعد لتحقيق مطالب أخرى كترسيخ مبادئ العدالة والمشاركة في نظام الحكم، وفي أعقاب الثورة الإنجليزية عام 1688م اكتسب البرلمان السلطة العليا، وفي عام 1689م أصدر البرلمان وثيقة الحقوق التي نصت على حقوق الشعب وحرياته الأساسية، ونتيجة للثورة الصناعية ازدادت المطالب الديمقراطية في بريطانيا، وأصبح للمدن الصناعية الجديدة ممثلون في البرلمان، وفي عام 1918م أُعطي كل الرجال حقهم في الانتخابات، وهذا القرار شمل النساء كذلك في عام 1928م.

وفي فرنسا أسهمت كتابات بعض المفكرين في قيام الثورة الفرنسية، حيث كانت حدثاً بارزاً في تاريخ الديمقراطية، ونادت بالحرية والعدالة، ولكنها لم تحول فرنسا إلى ديمقراطية.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية أخذت الديمقراطية جذورها من المستعمرين الإنجليز الأوائل، ففي عام 1775م قامت الثورة الأمريكية والتي طالب فيها المستعمرون بالحكم الذاتي، وألا تفرض عليهم ضرائب، ويعد إعلان الاستقلال عام 1776م وثيقة تاريخية في الديمقراطية، فقد جعلت الحقوق الإنسانية أنموذجاً يُحتذى به.

وخلال القرن التاسع عشر توسعت الديمقراطية في كثير من الدول على غرار النموذج البريطاني والأمريكي، وانتشرت المؤسسات التشريعية والانتخابية، وأدت الثورة الصناعية إلى تغيرات سياسية ذات أهمية بالغة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد طالبت الطبقات العاملة بحقوق سياسية ونالت كثيراً منها، ومنحت القوانين الجديدة حق الاقتراع لمزيد من المواطنين، وتوسعت حرية التعبير وحرية الصحافة وحرية العقيدة.

ومع هذا الانتشار الواسع للديمقراطية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولت بعض البلاد من الديمقراطية إلى الاستبداد، كما حدث في روسيا عندما أقامت مجموعة من الثوريين أنظمة استبدادية شيوعية في عام 1917م، لكن هذا النظام بدأ ينهار مع أواخر القرن العشرين، أما في ألمانيا فقد كان الحكم فيها ديمقراطياً عام 1919م، لكن بعد أن تولى هتلر الحكم عام 1933م حوَّلها إلى سلطة استبدادية فاشية، وهذا النظام بدأ ينهار بعد موته.

وهناك من الحكومات من تزعم أنها تطبق النظام الديمقراطي لكن تنقصها بعضٌ من الحريات الأساسية كحرية التعبير والصحافة والاجتماع والانتخابات التنافسية، كما أن هناك دولاً تحاول تغيير نظامها إلى نظام ديمقراطي في قارتي آسيا وإفريقية، لكن الاستبداد عند القادة ومشاكل متعددة أخرى تجعل نظام الحكم الديمقراطي صعب التطبيق.

واجبات الدولة وأنظمتها في الدول الديمقراطية:

الوثائق التي صدرت في انجلترا ومهدت للثورة على الأنظمة الاستبدادية، ودعم تطبيق الديمقراطية على نطاق أوسع، أخرج مصطلح الديمقراطية الليبيرالية القائمة على حرية الأفراد والجماعات، ثم ظهر المذهب الوضعي الذي يُحدث توازناً بين حقوق المجتمع وحقوق الأفراد والجماعات، فجعل حقوق الأفراد في نطاق حقوق المجتمع لا تتعداه، فضمن للدولة حقوقها الاقتصادية ووظائفها الاجتماعية، فاكتسبت الديمقراطية الليبيرالية مزيداً من الإيجابيات بهذه التغيرات التي طرأت عليها، ومن هنا دخلت في واجبات الدولة ثلاث مهام، هي:

1) العناية بتنظيم المجتمعات.
2) تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية للأفراد والجماعات، والتطلع لحياة أفضل لهم.

3) مشاركة الأفراد في تسيير الاقتصاد أو الهيمنة عليه[1].

فالنظام الديمقراطي أصبح يمثله نظامَيْن، كل نظام انتهج طريقاً لتطبيق الديمقراطية، ومنهج هذين النظامين هو:

1) النظام الرأسمالي التعددي: يقوم على الملكية الفردية المحدودة، ويسعى إلى حكم الشعب نفسه بنفسه من خلال اختيار حكَّامه، وهذه ظهرت في إنجلترا أولاً، ثم طُبقت بعد إدخال تعديلات عليها في الثورة الأمريكية وكذلك الثورة الفرنسية، ويرى هذا النظام أن الفرد هو النواة الأولى للمجتمع، فيضمن له حرياته، ويقيد من سلطة الدولة عليه، ويعطي الأسبقية للحرية السياسية أو الديمقراطية السياسية؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية، لكنه فشل في تحقيق الحرية الفردية؛ لتمسكه بالحرية السياسية.

2) النظام الاشتراكي الأحادي: يقوم على توحيد المجتمع في طبقة واحدة، فسيطرت الدولة على وسائل الإنتاج، فأنتجت نظاماً فرديّاً، وعطلت الحرية الفردية؛ لتمسكها بالديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية، وأن طبقة المجتمع طبقة واحدة.

وضمن هذين النظامين اختلفت أسس تطبيق الديمقراطية، من خلال تطبيقها مباشرة من الشعب _وهذا ما لم يحدث إلا في بعض المقاطعات السويسرية قليلة السكان_ أو من خلال الديمقراطية النيابية الذي يُنيب مجلسها عن الشعب لممارسة الحكم، أو من خلال نظام ثالث يمزج بين الطريقتين بوجود مجالس نيابية منتخبة، مع احتفاظ الشعب بحقه في التدخل في بعض الأمور، ومن بينها:

1) مراقبة عمل المنتخبين وعزلهم.

2) حق الاقتراح الشعبي: بأن يقوم مجموعة من أفراد الشعب بوضع مشروع قانون، ويلزم المجلس النيابي بمناقشته والتصويت عليه.

3) حق الاستفتاء على قانون، بعد إقراره من البرلمان.

---

(1) يُنظر: محمد محمد القطاطشة، جدلية الشورى والديمقراطية دراسة في المفهوم، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد العشرون، العدد الثاني، سوريا، دون ذكر اسم دار النشر:2004م، ص278؛ عبد الهادي بو طالب، ص1152.

4) حق الاعتراض على قانون خلال مدة معينة من صدوره.

5) حق الاستفتاء لأخذ رأي الشعب في موضوع يُعرض عليهم[1].

خصائص الديمقراطية:

تختلف خصائص الديمقراطية من بلد إلى آخر، لكن هناك مظاهر وخصائص أساسية تجتمع فيها الدول التي طبقت الديمقراطية في بلدانهم[2]، من هذه الخصائص:

1) الانتخابات الحرة: تعطي الانتخابات الحرة الناس الفرصة لاختيار قادتهم، والتعبير عن وجهات نظرهم في المسائل الهامة، وتُجرى الانتخابات بعد كل فترة إمَّا لتثبيت القادة أو استبدالهم وفق القانون في كل بلد، كما أن الانتخابات تُجرى بالاقتراع السري دون ضغوطات أو دفع رشاوى، وهذا يتطلب نزاهة في فرز الأصوات، والشروط القانونية لحق الانتخاب أو الترشح يتعلق بالعمر والإقامة والجنسية.

2) حكم الأغلبية وحقوق الأقلية: غالباً ما يُشترط توافق الأغلبية لإقرار قانون أو إقرار سياسة عامة أو انتخاب مسؤول، أما في حالة إجراء تغييرات أساسية أو دستورية يتطلب نسبة معينة زيادة على الأغلبية بحسب قانون كل بلد، كما أن الديمقراطية معنية بحماية الحرية الفردية والحريات الأساسية كحرية التعبير وحرية الصحافة وحرية الاجتماع، والاعتراف بحق الاقليات.

3) الأحزاب السياسية: هي جزء مهم في النظام الديمقراطي، فالتنافس بين الأحزاب يعطي للمقترعين الحرية في الاختيار بين المرشحين الذين يمثلون مختلف المصالح ووجهات النظر، وقد تسفر الانتخابات على فوز حزب، فالحكومة تُشكَّل من الحزب الفائز، وقد تسفر الانتخابات على فوز حزبين بعد ائتلافها، فتُشكَّل حكومة ائتلافية، والأحزاب الخاسرة أو التي لم تشارك تصبح في صف المعارضة.

4) تقييد السلطة: تقوم الديمقراطية على ترتيبات تحدُّ من تمادي وتسلط بعض الأشخاص أو الأحزاب في الدولة، كما أن جميع المسؤولين في هذه الدول يخضعون للقانون، وهم مسؤولون لدى الشعب.

---

(1) يُنظر: عبد الهادي بو طالب، ص1153- 1155.

(2) يُنظر: عبد العظيم أحمد عبد العظيم، ص24- 27.

5) الحكم الدستوري: تقوم الأنظمة الديمقراطية على القانون، سواء كان دستوراً مكتوباً أو تقاليد وأعراف ومواثيق، تنص على واجبات الحكومات، وتوصيفاً للحريات الأساسية، وكيفية سن القوانين وتنفيذها، ويقوم النظام القضائي المستقل بصيانة حرمة القوانين وحقوق الأفراد بمقتضى تلك القوانين.

6) المنظمات الخاصة: يحق للأفراد والمنظمات القيام بأعمال اجتماعية واقتصادية، كإدارة الصحف والمجلات، والنقابات، والمدارس الخاصة، وأكثر الأعمال التجارية، وتكوين جماعات للتأثير على الرأي العام حول مسائل وسياسات عامة.

7) مشاركة المواطنين: تدعو الديمقراطية لتوسيع مشاركة الناس في المجال السياسي كالاقتراع والترشح، وفي بعض الدول يعدُّ التصويت واجباً على من توفرت فيه شروطه.

8) التعليم: تهتم الديمقراطية بالتعليم، كما أنها تعي أن صلاح الحكومة متوقف على مدى إدراك وصلاح وتعلم المواطن الذي يدلي بصوته لأعضاء تلك الحكومات.

9) التنمية الاقتصادية والوفاق الوطني: نجحت أغلب الديمقراطيات في البلدان التي تمثل فيها الطبقة المتوسطة نسبة كبيرة، وتقل فيها الفوارق في الثراء، كما أن كثيراً من البلدان الديمقراطية انهارت عند عدم تحقيقها القدر الكافي من الوفاق بين الناس وبين قادتها، فظهرت الانقسامات بين الأجناس والأعراق والديانات.

مميزات الديمقراطية:

1) توفر الحريات الأساسية مثل: حرية التعبير عن الرأي، حرية الصحافة، حرية إنشاء جمعيات سياسية، الحرية الدينية.

2) وجود انتخابات حرة ونزيهة تعقد بشكل دوري كل سنتين أو أربع سنوات.

3) التعددية السياسية، بمعنى وجود حزبين أو أكثر للتنافس على السلطة.

4) فصل السلطات، وهو فصل السلطة التشريعية عن التنفيذية، وفصلهما عن السلطة القضائية، مع تحديد وظيفة كل سلطة من هذه السلطات.

5) مبدأ سيادة القانون، وهو أن جميع المسؤولين وأفراد الشعب تحت سلطة الفانون، ومتساوون في ذلك[1].

عيوب الديمقراطية:

1) سيادة الشعب: وهو أن الشعب سيد السلطات الثلاثة، فالسلطة التنفيذية مصدرها الشعب في تشريع القوانين، والسلطة القضائية تحاسب ما شرَّعه الشعب، والسلطة التنفيذية تُنفذ ما شرعه الشعب، ولو خالف ذلك كله شرع الله سبحانه وتعالى.
2) الحقوق والحريات مكفولة: حرية الدين فلا فرق بين الأديان والمعتقدات، فالفرد له الحرية في اعتناق أي ديانة أو تبديلها، للمرأة الحرية في إقامة علاقة داخل نطاق الزواج أو خارجه، وما يترتب على ذلك من حمل، إلى غير ذلك من القوانين التي تمنح الأفراد الحرية المطلقة ما لم تصل لحدود حرية الآخرين[2].

---

(1) يُنظر: عبد العظيم أحمد عبد العظيم، ص28.

(2) يُنظر: المصدر نفسه، ص28، 29.

المطلب الثالث:

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشورى والديمقراطية

أوجه الاتفاق بين الشورى والديمقراطية:

هناك عدة أوجه اتفاق بين الشورى والديمقراطية، غير أن الديمقراطية ليست لها معايير ثابتة، فسرد هذا الاتفاق من خلال مفهومها ومبادئها لا من خلال واقع تطبيقها، وهذه الأوجه كما يلي:

1) الشورى جعلت مجلساً لها باسم أهل الشورى أو أهل الحل والعقد، أما الديمقراطية جعلت مجلساً نيابيّاً لها.
2) جعلتا للشعوب الحرية في اختيار الحاكم.
3) تفرضان اختيار الحاكم من قبل الشعب، فلا يجوز أن يُفرض عليهم.
4) تجعلان الحاكم مسؤولاً أمام الشعب عن تصرفاته، ولهم الحق في عزله.
5) تتفقان على إشراك الحاكم والمحكوم في مسؤولية الحكم.
6) تشتركان في المساواة بين أفراد الشعب.
7) تُروِّضان النفس على الحوار، وتقبُّل الرأي الآخر، وعلاج التطرف.
8) تمنحان الشرعية للسلطة السياسية من قبل الشعب.
9) تحُدَّان من الاستبداد وحكم الفرد.
10) تطفئان نار الفتنة أو الثورة على النظام[1].

أوجه الاختلاف بين الشورى والديمقراطية:

هناك عدة أوجه تفترق فيها الشورى والديمقراطية[2]، وهي كما يلي:

1) إن الشورى من حيث مصدرها لفظة شرعية، أما الديمقراطية فأصلها مصطلح يوناني.
2) الشورى مصدر التشريع فيها الشريعة الإسلامية، أما الديمقراطية فمصدر التشريع هو الشعب.

---

(1) يُنظر: عبد الهادي بو طالب، ص312.؛ خليفة بو زازي، ص355، 356.

(2) يُنظر: الشورى والديمقراطية، ص40- 60؛ إبراهيم الأمين أحمد، ص74- 76؛ عبد العظيم أحمد عبد العظيم، ص35.

3) الشورى لا يتقدم لها إلا أصحاب الرأي والحكمة والحنكة والدراية العلمية والعملية، فيُشترط في أهل الشورى الأهلية التي تمكنهم من القيام بأعباء هذه الوظيفة الشرعية، أما الديمقراطية فلا يشترط في الناخب الكفاءة والأهلية للقيام بالانتخاب، فتهتم بالعدد لا الجوهر.

4) الشورى تُشرك من توفرت فيه شروطها دون النظر إلى أصوله الاجتماعية سواء أكان مواطناً أو أجنبياً، أما الديمقراطية فقد استثنت الأجانب والعبيد والنساء والطبقات الدنيا.

5) المجال الذي تتناوله الشورى لابد أن يكون محدداً، فالمنصوصات الشرعية لا مجال للشورى فيها، أما المجالات الاجتهادية فهي تعد موضعاً للشورى.

6) بخلاف الديمقراطية فقد أطلقت العنان للخوض في كل شيء، بما في ذلك القطعيات الشرعية المنصوصة والمجمَع عليها؛ إذ لا يوجد في نظر الديمقراطية شيء مقدس لا يمكن الخوض فيه، ولذا أضحى المجال مفتوحاً ليشرِّع البشر بما عندهم من قصور ولو بخروجهم اليوم على نفس ما تُقرِّر بالأمس، بحيث يمكن أن تقرر الأغلبية منع ما أتاحته من قبل أو العكس، لا لشيء إلا لأن الأغلبية عَدَلَت عن قرارها السابق.

7) الشورى مبناها التماس الرأي الصائب الذي يسنده الدليل الشرعي ويحقق المصلحة العامة، بقطع النظر عن أي اعتبار آخر.

8) أما الديمقراطية فمبناها الكثرة العددية التي تفرزها نتائج التصويت، بقطع النظر عن الواقع الذي ستصل إليه الأمة لاحقاً، حتى وإن كان في قرار الأكثرية إهدار تام للمصلحة التي يعيها عقلاء تلك الأمة الذين يُغلبون على أمرهم بسبب إجماع الأكثرية التي لا يتصور كثير منهم أبعاد ما أيدوه من رأي ومصلحة أمتهم.

9) الشورى ذات أعضاء مأمونين، ولها هدف شريف معلوم، ومجال محدد مرسوم ترتب على ذلك أنها بقيت مصدر أمان للأمة، فمن أعسر الأمور على العدو أن يتوصل من خلال الشورى إلى الإضرار بالأمة.

10) أما الديمقراطية فإن مَن سَبَر بدقة حال مجتمع يعاديه، ووقف على نقاط القوة والضعف فيه فإن بإمكانه أن يتغلغل بسهولة إلى ذلك المجتمع من خلال السعي إلى

توجيه الرأي العام لإقرار أمر يكون فيه بالغ الضرر بذلك المجتمع الذي يعاديه، ولا سيما إذا استثمر الإعلام، وبث الأموال لتعزيز ما أراد.

11) إن نتيجة الشورى غير ملزمة في بعض أحوالها، أما الديمقراطية فإن نتيجة التصويت فيها ملزِمة إذا أسندتها الأكثرية، وإن أدَّى ذلك الاعتبار إلى ضرر بالأمة في أمنها أو اقتصادها أو غير ذلك.

12) إن الشورى تعزّز أمر الثبات على المبدأ الحق وعدم تغييره؛ لأن تغيير الحق انكفاء عنه إلى الباطل وارتداد عن الخير إلى الشر وعن الصواب إلى الخطأ.

13) أما الديمقراطية فإنها قد جعلت التغيير بثقافة الديمقراطي لا يحيد عنه، فالديمقراطي كما تقدم هو من يغيِّر أفكاره ومبادئه وقيمه؛ لأن البُنى الاجتماعية في نظره لا ينبغي أن تبنى على قواعد ثابتة الأساس، ولا يصح أن يوجد منظور جماعي واحد للخير والفضيلة، ولما كان التغيير وعدم الثبات هو ما ترسخه الديمقراطية، تفرع عن ذلك أن الحق والعدل غير مردودين إلى أمر ثابت يرجع له الديمقراطي ويلزمه.

14) الشورى حقَّقت الحكمة من مشروعيتها بطريقة لا لَبْسَ فيها؛ فلذا كانت العصور التي طبقت فيها الشورى كما ينبغي أحسن العصور.

أما الديمقراطية فإن هدفها المعلن تمكن الشعب من الحكم مما لم يقع عبر تاريخها؛ ولذا بدت الديمقراطية في نظر كثير من مفكري الغرب مجرد خيال أو وَهْم؛ لأن قِلة قليلة هي التي تحكم وتسيطر على مقاليد الحكم في ضوء نظرتها ومصالحها.

المطلب الرابع:

الاختلاف حول آلية استخدام الديمقراطية:

اتفق علماء المسلمين بأن الديمقراطية مصطلح ومفهوم غربي، يدل على أن السيادة فيه للشعب في السلطات الثلاث: التشريعية، والقضائية، والتنفيذية، وأن هذا المفهوم يتناقض مع أسس الشريعة الإسلامية، ويتصادم معها ولا يمكن تقبله بأي حال من الأحوال، لكن اختلفوا في الأخذ بميزات الديمقراطية وآلياتها وما يتوافق مع الشريعة الإسلامية إلى رأيَيْن:

الرأي الأول: يرفض ميزات الديمقراطية وآلياتها، وذلك لعدة أسباب:

1) إن الإسلام لا يرجِّح الأخذ بنتيجة الأكثرية، بل ينظر في ذات القرار أصواب أم خطأ؟
2) من يتخذ القرارات ليس عامة الناس، بل أناس يتوفر فيهم شروط وأحكام.
3) التعددية الحزبية لم تصل إلى الرأي السديد؛ لكونها لم تطبق أحكام الله ﷻ، وتدعو إلى التعصب للرأي والانقسامات[1].
4) الديمقراطية تقوم على وجود خلافات أيديولوجية ودينية، فلا تنبذ الخلاف ولا تزيل أسبابه ولا تقرِّب وجهات النظر إلى درجة التوحد، بل تقرُّ بهذه الخلافات وتتعامل معها، وتغدو لتمزيق المجتمع وزعزعة استقراره، فهذا ممَّا لا شك فيه يُضعف التضامن والمساواة والسلام، فهي مرفوضة ليس لأن مفهومها يتصادم مع أسس الشريعة الإسلامية فقط؛ بل لأنها أيضاً أقيمت لتلائم حالة التشرذم التي يعيشها المجتمع الغربي حتى على المستوى العقائدي والديني[2].

الرأي الثاني: يقبل بأخذ ميزات الديمقراطية وآلياتها، ما دامت لا تتعارض مع أسس ومبادئ الشريعة الإسلامية، فالديمقراطية بكل آلياتها وآفاقها هي القادرة على إعادة تأهيل المجال الإسلامي لاستئناف دوره وشهوده الحضاري، فدراسة مقدمات الحضارة الغربية ومكوناتها وأسباب تقدمها والأخذ منها على سبيل الاقتباس والإفادة من التجربة دون التفريط في العقائد

---

(1) يُنظر: محمد القطاطشة، ص296.

(2) يُنظر: المصدر نفسه، ص293.

والحضارة الإسلامية، فيكون على شكل إعادة صياغة دون المساس بالأسس والمبادئ الإسلامية[1].

والرأي الثاني هو ما يترجَّح عندي للأسباب الآتية:

1) إن الإسلام سبق الديمقراطية بتقرير القواعد التي يقوم عليها جوهرها، وترك التفصيلات لاجتهاد المسلمين وفق أصول دينهم ومصالح دنياهم وتطور حياتهم بحسب الزمان والمكان، وتجدد أحوال المسلمين، فالأمور الجزئية كميزات الديمقراطية وآلياتها هذه من حق المسلمين اقتباسها باسم الإسلام ووفقاً لقواعد استنباط الأحكام الشرعية فيما لا نص فيه من الوقائع والتصرفات، فأَخْذ مثل هذه الميزات والآليات من غير النظام الإسلامي لا يضرُّ، فباندماجها في النظام الإسلامي تفقد جنسيَّتها الأولى، وتأخذ طابع الإسلام وصبغته[2].
2) اختيار واجتماع أهل الحل والعقد ليختاروا من هو صالح لقيادة الدولة، واتخاذ قرارات مصيرية، هذا ما يصعب تحققه في هذا الزمان؛ لكثرة عدد السكان، ولعدم وجود هيئة لاختيارهم، لكن يمكن أن يتحقق بعد فترة من قيام الدولة الإسلامية المنضبطة بضوابط الشورى.
3) الديمقراطية تعمل على التفرقة وتشتت الأمة، لكن نأخذ منها ما يناسبنا ويناسب مجتمعنا ومبادئنا الإسلامية.

ومن أصحاب الرأي الثاني من أخذ بهذا الرأي وزاد عليه، بأنه ليس هناك فرق بين الشورى والديمقراطية، وأن لفظة الشورى وردت في القرآن الكريم والديمقراطية لم تردْ، كما أنه لا بأس بقبول مصطلح الديمقراطية مصطلحاً إسلامياً، مع تحفظهم على مدلولات هذا المفهوم الذي يتعارض مع أسس الشريعة الإسلامية[3].

---

(1) يُنظر: خليفة بو زازي، ص355؛ محمد القطاطشة، ص288.

(2) يُنظر: عبد العظيم أحمد عبد العظيم، ص34.

(3) يُنظر: محمد القطاطشة، ص296، 297؛ عبد العظيم أحمد عبد العظيم، ص29- 31.

قبول مصطلح الديمقراطية مصطلحاً إسلاميّاً، فهذا يُعترض عليه؛ لكون كل مصطلح له ظلٌّ وله معنى خاص، كما أن الإسلام مستقل بنظمه وأحكامه، حيث إن الإسلام جاء بالشورى وطبقها وظهرت فوائدها وثمارها، فإطلاق مصطلح غربي وأجنبي إضافة إلى أنه وثني فهذا إجحاف وتلبيس بحق الشريعة الإسلامية[1].

(1) يُنظر: عبد العظيم أحمد عبد العظيم، ص32، 33.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من بعثه ربنا خاتماً للأنبياء والرسلﷺ، فقد وصلت في هذا البحث للمحطة التي أكتب فيها ما توصلت إليه من نتائج خلال دراستي في هذا الموضع والكتابة فيه، وهي كما يلي:

1) الشورى لم تطبق تطبيقاً فعليّاً متكاملاً إلا في عهد النبيﷺ وعهد الخلفاء الراشدين، وبعض السنوات في الدول الإسلامية على نطاق ضيق.
2) صعوبة تطبيق مفاهيم ومدلولات الديمقراطية النظرية؛ نظراً لوجود بعض الثغرات.
3) الدول الغربية التي نادت بالديمقراطية لم تطبقها فعليّاً، بل هناك أمور امتازت بها بعض الطبقات.
4) الدول التي طبقت الديمقراطية لم يصل أفرادها إلى الحرية التي يجب أن يكون عليها الإنسان وفق فطرته السليمة.
5) مبادئ وأسس الشورى تستند إلى الشريعة الإسلامية؛ لذا يستحيل مقارنتها بالديمقراطية، ووضعها في مكانة واحدة.
6) لا بأس بأخذ ميزات الديمقراطية وآلياتها التي يفتقر لها المسلمون في بلدانهم.
7) يكفي أن نستخدم مصطلح الشورى، ونضيف له بعض آليات الديمقراطية، من غير جعل مصطلح الديمقراطية مصطلحاً إسلاميّاً.
8) نأمل إقامة دولة إسلامية تقوم على الشورى، وتبدأ من وقوف المجتمعات الغربية في تجربتهم مع الديمقراطية.

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، فأسال اللهﷻ التوفيق والسداد، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

1) مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي، برواية حفص عن عاصم.
2) إبراهيم الأمين أحمد، مقارنة بين الشورى والديمقراطية، مجلة العلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الثاني، السودان، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث:2018م.
3) الأحكام السلطانية، الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد، دار الحديث، القاهرة/ مصر، دون رقم الطبعة وتاريخها.
4) أحكام القرآن، ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الثالثة:2003م.
5) الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، دار المعرفة، بيروت/ لبنان، دون رقم الطبعة:1990م.
6) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق، دار الهداية، الكويت، دون رقم الطبعة وتاريخها.
7) تاريخ النفيس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، دار صادر، بيروت/ لبنان، دون رقم الطبعة وتاريخها.
8) خليفة بو زازي، الشورى والديمقراطية في الفكر الإسلامي المعاصر، دفاتر السياسة والقانون، العدد الخامس عشر، الجزائر، دون ذكر اسم دار النشر:2016م.
9) سندس جمال رفيق شيخ، الشورى والآليات المعاصرة لتنفيذها "دراسة فقهية مقارنة"، رسالة ماجستير في الفقه والتشريع، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس/ فلسطين:2015م.

10) السيرة النبوية، ابن هشام أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مكتبة ومطبعة مصفى البابي وأولاده، القاهرة/ مصر، الطبعة الثانية:1955م.

11) الشورى في الإسلام، ابتهاج حجازي بدوي سالم غبور، شبكة الألوكة.

12) الشورى في الشريعة الإسلامية، حسين بن محمد المهدي، تقديم: عبد العزيز المقالح، دون معلومات النشر.

13) الشورى والديمقراطية حقيقتها وأهم الفروق بينهما، عبد الله بن عبد العزيز العنقري، دون ذكر بقية معلومات النشر.

14) عبد العظيم أحمد عبد العظيم، الشورى والديمقراطية شقاق أم وفاق، ندوة بعنوان: الممارسات الديمقراطية في التراث الإفريقي، سرت/ ليبيا:2006م.

15) عبد الهادي بو طالب، الديمقراطية والشورى، الشورى في الإسلام، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمَّان/ الأردن، دون رقم الطبعة:1989م.

16) لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، بيروت/ لبنان، الطبعة الثالثة:1414هـ.

17) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى:1422هـ.

18) محمد محمد القطاطشة، جدلية الشورى والديمقراطية دراسة في المفهوم، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد العشرون، العدد الثاني، سوريا، دون ذكر اسم دار النشر:2004م.

19) مسند أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى:2001م.

20) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر، الجيزة/ مصر، الطبعة الثانية:1988م.

21) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى:1412هـ.

22) منح الجليل شرح مختصر خليل، عليش أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، دار الفكر، بيروت/ لبنان، دون رقم الطبعة:1989م.

23) موسوعة السياسية، عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان، دون رقم الطبعة وتاريخها.

24) https://mawdoo3.com/مفهوم_الديمقراطية_ومعناها اطلعت عليه (الجمعة: 9. 7. 2021م/ 5:30م).

25) https://www.arageek.com/ibda3world/glex-2021 اطلعت عليه: (الجمعة: 9. 7. 2021م/ 5:30م).

دراسة ميدانيّة لمسائل فَرَضِيَّة من محكمتي البيضاء وشحَّات.

A Field Study of inheritance Issues from AL-Bayda and Shaĥat courts.

إعداد كل من:
د. مفتاح فرج الحمزية
د. محمد محمود موسى
أ. عادل عقيلة أحمدي

الدرجة العلمية والوظيفة: جامعة عمر المختار.
البريد الإلكتروني: mohammed.altayyar@omu.edu.ly

الملخص :

هذا البحث عبارة عن دراسة لمسائل فرضيّة من محكمتي البيضاء وشحَّات؛ للنَّظر في مدى صحتها وانسجامها مع الطُّرق الصحيحة الشرعيّة في حل مسائل الميراث، وقد بلغت عيّنات الدِّراسة إحدى وستيّن عيّنة، صنَّفناها إلى مجموعات، ووَفْق هذا التَّصنيف جاء البحث في مبحثين، تناولنا في المبحث الأوَّل المسائل العادية ومسائل الانكسار، بينما تناولنا في المبحث الثَّاني مسائل المناسخات والردّ والوصيّة الواجبة، وقد خلُص البحث إلى نتائج أظهرت الإشكاليّة الحقيقيّة الَّتي جاء هذا البحث من ورائها، وتوصيات نرى أنَّها تعالج الخلل الحاصل في المحاكم في حلّ قضايا الميراث كما أنَّها تقدِّم حلولاً عمليَّةً لتفادي حصول مثل هذه الأخطاء في المستقبل.

الكلمات المفتاحيّة: الانكسار، الميراث، الوصيَّة، المناسخات، الرَّد.

Abstract :

This research is a study of hypothetical issues from the courts of Al-Bayda and Shaĥat. To consider the extent of its validity and consistency with the correct legal methods in resolving inheritance issues, and the study samples amounted to sixty-one samples, which we classified into groups, and according to this classification, the research came in two sections. And the obligatory will, and the research concluded with results that showed the real problem that this research came from behind, and recommendations that we believe address the defect that occurs in the courts in resolving inheritance cases, and that they provide practical solutions to avoid the occurrence of such errors in the future.

Keywords: refraction, inheritance, will, replicas, response.

مقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وارث الأرض ومن عليها وإليه ترجعون، والصلاة والسلام على زين الأنبياء وأشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإن علم الميراث من أهم العلوم الشرعية؛ به تعرف الحقوق، وتنتهي الخصومات، ويطبَّق شرع الله في توزيع أموال الميت.

وقد حثنا الشارع الحكيم على تعلمه من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فقد بيّن القرآن الكريم بعد ذكره لآيات الميراث أنه من حدود الله تعالى، فقال: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14)} [1]

وفي هذه الآيات ترتيب للأجر العظيم لمن أطاع الله ورسوله، وعظّم حدود الله، ولم يتعدها، ووعيد شديد لمن خالف تلك الحدود، ولم يعمل بمقتضاها.

والحدود المقصودة في هذه الآيات هي الفرائض الشرعية التي نصَّ عليها كتاب الله فيما يتعلق بالمواريث.

وكفى بذلك حثًّا على تعلم هذا العلم، ومعرفة شروطه، وضوابطه؛ إذ لا يمكن أن يسلم الإنسان من الوقوع فيما يخالف تلك الحدود، ولا سبيل لعصمته من التعدي عليها إلا بتعلمها، أو سؤال أهل العلم عنها.

وكذلك ورد الترغيب في تعلُّم علم الفرائض في عدة أحاديث نبوية منها: عن أبي الزناد عن الأعرج قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة! تعلَّموا الفرائض وعلِّموه فإنه نصف العلم وإنه

[1] سورة النساء: 13، 14.

ينسى وهو أوَّل ما ينزع من أمتِي)[1] وعن عبدِ الله بن عمرِو بن العاص، أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم قال: (العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنَّة قائمة، أو فريضة عادلة)[2].

وإنَّ علمًا بهذه المكانة والمنزلة الرفيعة ينبغي ألَّا يهمل، ولا مبرر للانشغال عنه، لا سيما من قبل المختصين الذي نيط بهم مهمة توزيع المواريث على مستحقيها ولا سيَّما من يعملون بالسلك القضائي.

ومما دفعنا إلى دراسة هذا الموضوع ما لاحظناه من وقوع بعض الأخطاء في المسائل المُعدَّة بالمحاكم، التي تُعْرض علينا من قبل بعض الورثة، الأمر الذي جعلنا نشعر بمسؤوليتنا الشرعية في التنبيه على هذا الأمر، ووضع الحلول الناجحة لتقويمه، لا سيما أنه قد يكون سبباً في زعزعة ثقة الناس بهذه المؤسسات العدلية.

كل ذلك كان سبباً كافياً لخوض غمار هذا الدراسة، وقد تحصلنا على بعض المسائل المعدة بمحكمتي البيضاء وشحَّات عن طريق بعض الأفاضل.

واقتضت الأمانة العلمية والأخلاقية عدم ذكر أشخاص تلك المسائل، وإنما سنشير لرقم القضية وتاريخها.

أما حدود الدراسة المكانية فهي محكمتا البيضاء وشحات؛ ولذا اخترنا أن نسِمَ هذا البحث بـ: **(دراسة ميدانية لمسائل فرضية من محكمتي البيضاء شحات)**

---

[1] المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا، رقم الحديث: 7948، 369/4، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1990م.

[2] سنن أبي داود، أبو داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، رقم الحديث 2885، 119/3، صيدا، بيروت.

ولعلَّ هذه الدراسة تجيب عن عدة إشكاليات منها:

- هل ما يجري في محاكمنا من قبل مختصين بهذا الشأن هو مُسلَّم به لا يقبل الطعن ولا يحتمل الخطأ؟
- هل هناك عدم مبالاة في عمل الفرائض الشرعية التي شرعت لفضِّ النِّزاعات بين النَّاس؟
- إن كان هناك ما أشير إليه سابقاً، فما الحلول المقترحة لتجنب وقوع مثل هذه الأخطاء؟
- هل هذه الأخطاء شكلية ولا تأثير لها على قيمة أنصبة الورثة؟ أم أنها جوهرية ربما يُعطى بسببها من لا يستحق ويُحرم من يستحق، وقد تختل الأنصبة بسببها فيأخذ أحد الورثة أكثر مما يستحق مما يكون سبباً في إنقاص نصيب وارث آخر؟
- ما هي نسبة هذه الأخطاء هل هي قليلة بحيث يمكن معالجتها معالجة جزئية؟ أم أنها كثيرة تحتاج إلى معالجة عامة كإقامة دورات، وإعادة النظر في من يتولون مثل هذه الأمور بمحاكمنا؟

ولعلَّ من أهم أهداف هذه الدراسة:

- التعاون مع زملائنا في السلك القضائي في مجال اختصاصنا، لا سيما مع كثرة القضايا التي تعرض عليهم وتنوعها بين الأبواب المختلفة، فإن قضايا الناس لا تنتهي.
- نشر علم الفرائض بين المختصين الذين يتعاملون مع الجانب العملي منه، ويفضُّون النزاعات القائمة بين الورثة.
- وضع الحلول والسبل المفيدة لمعالجة ما قد يقع من أخطاء.

وسيكون المنهج المناسب لهذه الدراسة هو المنهج الوصفيُّ، حيث سنعرض الفريضة الشرعية من المحكمة، ثم نبين الأخطاء التي فيها إن وجدت، مع ذكر تأثير تلك الأخطاء.

وستكون منهجية الدراسة على النحو الآتي:

- عرض الفريضة الشرعية المعدة بالمحكمة بجدول معد لهذا الغرض، يذكر فيه رقم القضية، والمحكمة التي أعدتها، ونوع الفريضة، وأصناف الورثة بها.
- بيان الأخطاء إن وجدت، وتعليل ذلك، وتأثيرها على الأنصباء.
- سنحتفظ بخطوات حل المسائل -وستكون متاحة لمن أراد الاطلاع عليها- وذلك حتى لا نثقل البحث بذلك؛ لأن بعض تلك المسائل وخاصة المناسخات تحتاج الواحدة منها إلى أوراق كثيرة، فبعضها وصلت إلى أحد عشر قبراً.

ومن بين الصعوبات التي تعتري هذا العمل صعوبة الحصول على العدد الكافي من الفرائض الشرعية التي قد تعطي نتائج أكثر واقعية، ولكن فيما حصلنا عليه الكفاية بإذن الله في إثارة هذا الموضوع، والنقاش والتحاور حوله للوصول إلى أهداف هذه الدراسة.

ولم نطَّلِع في حدود علمنا على دراسة تناولت هذا الموضوع بالبحث.

وجاءت هذه الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: تحوي أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والمنهج العلمي، والمنهجية المتبعة، وحدود الدراسة، والأهداف، والصعوبات، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: المسائل العادية ومسائل الانكسار، وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: المسائل العادية

المطلب الثاني: مسائل الانكسار

المبحث الثاني: مسائل أخرى، وقد حوى ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: مسائل المناسخات

المطلب الثاني: مسائل الرَّد

المطلب الثالث: الوصيّة الواجبة

الخاتمة: وستذكر فيها أهم النتائج والتَّوصيات التي يراها الباحثون نافعة بإذن الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول: المسائل العادية ومسائل الانكسار

المطلب الأول: المسائل العادية

نتعرض في هذا المطلب لدراسة جملة من الفرائض الواردة من محكمة البيضاء وعددها ست عشرة فريضة.

وهي مسائل عادية بمعنى أنها ليس فيها انكسار ولا ردّ ولا مناسخة.

وبعد إعادة حل هذه الفرائض تبيَّن أنها في مجملها صحيحة، إلا أنه اعترى خمسة منها خطأٌ علميٌّ لم يؤثر في صحة التقسيم، وهو توصيف نصيب الأب في الفرائض المبينة في الجدول المرفق حيث جاء في حل في حلِّ الفريضة أنَّ الأب ينال نصيبه فرضًا وتعصيبًا، وذلك في مسائل لم يوجد بها فرع وارث مؤنث.

ومن المعلوم أن الأب له ثلاث حالات في الميراث لا يكون وارثا فيها بالفرض والتعصيب معاً إلا في حالة واحدة وهي وجوده في الفريضة مع وجود فرع وارث مؤنث[1].

وقد بينا في الجدول أدناه تفاصيل المسائل المدروسة في هذا المطلب.

م	رقم الفريضة	عناصرها	الحالة	توصيف الخطأ إن وجد
1	744-2021ض	ابنان وخمسة بنات	صحيحة	
2	1171–2021ض	أم، وزوجة، وابن	صحيحة	

[1] حالات ميراث الأب:

أ- أن يرث بالفرض فقط فيأخذ فرضة وهو السدس إذا كان للمتوفى وارث بالتعصيب وهو الابن، وابن الابن مهما نزلت درجة أبيه.

ب- أن يرث الأب بالتعصيب فقط إذا لم يوجد فرع وارث أصلاً.

ج- أن يرث الأب بالفرض والتعصيب؛ وذلك إذا وجد فرع وارث مؤنث.

يُنظر: أحكام المواريث والتركات والوصية في الشريعة الإسلامية مع شرح قانون الوصية الواجبة، د. عبد المجيد عبد الحميد الديباني، 102 وما بعدها، منشورات جامعة قاريونس، ط 1، 1998م.

3	466–2020ض	أب	صحيحة	
4	459-2020ض	أب، وأم، وعدد من الإخوة	صحيحة عمليًّا	خطأ في توصيف نصيب الأب
5	460 –2020ض	أب، وأم، وعدد من الإخوة	صحيحة عمليًّا	خطأ في توصيف نصيب الأب
6	458–2020ض	أب، وأم	صحيحة عمليًّا	خطأ في توصيف نصيب الأب
7	717–2021ض	أم، وزوجة، وابن	صحيحة	
8	919-2020ض	أب، وأم، وعدد من الإخوة	صحيحة عمليًّا	خطأ في توصيف نصيب الأب
9	737-2022ض	أربعة أبناء، وسبع بنات	صحيحة	
10	بلا–2022ض	ابن	صحيحة	
11	بلا-2022ض	أربعة أبناء، وبنتان	صحيحة	
12	بلا–2022ض	ثلاثة أبناء، وثلاث بنات	صحيحة	
13	1057–2020ض	ابن، وست بنات	صحيحة	
14	1059–2020ض	خمسة أبناء، وأربع بنات	صحيحة	
15	911–2020ض	بنتان، وأخ	صحيحة	
16	1069-2020ض	أب، وأم، وعدد من الإخوة	صحيحة عمليًّا	خطأ في توصيف نصيب الأب

المطلب الثاني: مسائل الانكسار

عدد الفرائض التي تحصلنا عليها في هذا المطلب ثلاثون فريضة، تبيّن خطأ حلِّ خمس فرائض منها، وقد تنوعت الأخطاء بين أخطاء في تأصيل المسألة وتصحيح الانكسار، وأخطاء في حصر الورثة وبيان عدد العصبات، وأخطاء في التوزيع وجمع سهام الفريضة.

حيث جاء في حل الفريضة الثانية أنها تصحُّ من (24) سهما، يصح منها للزوج (6) أسهم، ولكل واحد من الابنين (6) أسهم، ولكل واحدة من البنتين (3) أسهم.

ولا يخفى الخطأ العلميُّ الواقع في تأصيل المسألة؛ حيث إن الصواب أن المسألة تصح من (8) سهام، يصح للزوج منها سهمان، ولكل ابن سهمان، ولكل بنت سهم واحد.

وهذا الخطأ _وإن لم يؤثر في صحة التقسيم_ إلا أنه خطأ في عرف الفرضيين؛ إذ تأصيل الفريضة عندهم هو تحصيل أقل عدد ممكن تخرج منه سهام المسألة، والتصحيح هو الانتهاء بها إلى أقل عدد يكون منقسماً على الورثة دون كسر[1]، وهذا ما لم يتحقق في حل هذه الفريضة.

وأبهم في حل الفريضة السابعة في حصر الورثة وفي التوزيع عدد الإخوة الأشقاء، وتحديد عناصر الفريضة أمر مهم قبل بداية التوزيع؛ ولذا عددناه خطأ ينبغي التنبيه عليه.

أما في الفريضة (22) ضمن تسلسل الجدول فقد جاء في حلها أنها صحت من (136) سهماً يصح منها للزوجة (17) سهماً، ولكل واحد من الأبناء(14) سهماً، ونصفها لكل واحدة من البنات (7) سهام.

وهذا خطأ، والصواب أنها تصح من (144) سهما، للزوجة منها (17) سهماً، ولكل واحد من الأبناء الذكور (14) سهماً، ونصفها (7) سهام لكل واحدة من البنات.

[1] يُنظر: الغرة في شرح فقه الدرة، محمد الصادق الشطي الشريف المساكني، تح: فتحي الشريف العبيدي، 162، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1440هـ/2019م.

ولعلَّ السبب في وقوع هذا الخطأ هو إسقاط إحدى البنات من الفريضة عند التقسيم، وجعلهن خمسة بدلاً عن ست بنات، على أن الفريضة قد نُصَّ فيها عند حصر الورثة على ست بنات بأسمائهن.

وفي الفريضة رقم (23) في تسلسل الجدول المرفق أسقط الأب وسهامه عند التوزيع، مع أنه قد نصَّ على وجوده عند حصر الورثة وعند الحل؛ إذ لولا أنه موجود لما كانت لتصح الفريضة من (120) سهماً.

وفي الفريضة رقم (23) في تسلسل الجدول المرفق جاء في حلها أنها صحت من (96) سهماً يصح منها للزوجة 12 سهماً، ولكل واحد من الأبناء 14 سهماً، ونصفها لكل واحدة من البنات 7 سهام.

وهنا وقع الخطأ في تأصيل المسألة؛ بسبب الخطأ في جمع الرؤوس وتصحيح الانكسار، فجعل الانكسار على 12 رأسًا، بينما الصحيح أن الانكسار واقع على 13 رأسا؛ خمسة أبناء وثلاثة بنات، وعليه يصح أصل المسألة من 104 سهام بدلا من 96 سهماً، ويكون نصيب الزوجة 13 سهما بدلا من 12 سهما، ولا يتغير نصيب الأبناء والبنات.

وفي الجدول المرفق بيان مختصر لتفاصيل الفرائض والأخطاء الواقعة فيها.

م	رقم الفريضة	عناصرها	الحالة	توصيف الخطأ إن وجد
1	بلا- 2020ض	زوجة، وثلاثة أبناء، وبنتان	صحيحة	
2	351-2020ض	زوج، وابنان، وبنتان	صحيحة عمليًا	خطأ في التأصيل والتصحيح
3	453-2020ض	زوجة، وخمسة أبناء، وست بنات	صحيحة	
4	455-2020ض	زوجة، وثلاثة أبناء، وسبع بنات	صحيحة	
5	456-2020ض	زوجة، وأربعة أبناء، وبنتان	صحيحة	
6	901-2020ض	زوجة، أربعة أبناء، وثلاث بنات	صحيحة	
7	903-2020ض	زوجة، وأم، وعدد من الإخوةالأشقاء، والأخوات الشقيقات	غير صحيحة	عدم توضيح عدد الإخوة الأشقاء
8	909-2020ض	زوجة، وعشرة أبناء، وخمس	صحيحة	

م	رقم الفريضة	عناصرها	الحالة	توصيف الخطأ إن وجد
		بنات		
9	924-2020ض	أم، وزوجة، وابنان، وبنتان	صحيحة	
10	1051-2020ض	زوج، وأربعة أبناء، وست بنات	صحيحة	
11	1056-2020ض	أربعة أبناء، وخمس بنات	صحيحة	
12	702-2021ض	أم، وزوجة، وأربعة أبناء، وبنت	صحيحة	
13	703-2021ض	زوجة، وثلاثة أبناء، وخمس بنات	صحيحة	
14	705-2021ض	زوجة، وأربعة أبناء، وأربع بنات	صحيحة	
15	706-2021ض	زوجة، وثمانية أبناء، وأربع بنات	صحيحة	
16	708-2021ض	زوج، وثلاثة أبناء، وبنتان	صحيحة	
17	709-2021ض	زوجة، وأربعة أبناء	صحيحة	
18	719-2021ض	زوجة، وخمسة أبناء، وست بنات	صحيحة	
19	721-2021ض	أم، وزوجة، وثلاثة أبناء، وبنتان	صحيحة	
20	730-2021ض	زوجة، وثلاثة أبناء، وست بنات	صحيحة	
21	731-2021ض	أم، وزوجة، وابن، وبنت	صحيحة	
22	735-2021ض	زوجة، وستة أبناء، وست بنات	غير صحيحة	خطأ في التأصيل والتصحيح
23	738-2021ض	أب، وزوجة، وخمسة أبناء	غير صحيحة	لا مبالاة في حصر الورثة حيث أسقط الأب عند التوزيع
24	740-2021ض	زوج، وأخوان	صحيحة	
25	741-2021ض	زوجة، وابنان، وبنتان	صحيحة	
26	744-2021ض		صحيحة	
27	747-2021ض	زوجة، وأربعة أبناء، وبنت	صحيحة	
28	749-2021ض	زوجة، وابنان، وست بنات	صحيحة	
29	750-2021ض	زوجة، وابنان، وبنتان	صحيحة	
30	1191-2021ض	أب، وأم، وزوجة، وابن، وثلاث بنات	صحيحة	
31	1174-2021ض	زوجة، وخمسة أبناء، وثلاث بنات	غير صحيحة	خطأ في التأصيل وتصحيح الانكسار وجمع السهام

المبحث الثاني: مسائل أخرى

المطلب الأول: مسائل المناسخات

معناها أن يموت مورث ثم بعض ورثته قبل قسمة تركته، وقد يجتمع عدد كثير من الطبقات، فإن عملت فريضة كل ميت حصل المقصود وهو خطأ عند الفرضيين؛ لأن حدوث المناسخات يصير المواريث كالمسألة الواحدة، فتصح عندهم مسألة الميت الأول من عدد ينقسم نصيب كل ميت بعده منه على مسألته.

والطريق أن يُنظر: إن كان ورثة الثاني والثالث والرابع مثلاً هم نفس الورثة، ويرثون بمعنى واحد، فكالتركة الواحدة يرثها من بقي؛ كثلاثة إخوة أشقاء، وأربع أخوات شقائق، مات أحد الإخوة ثم آخر، ثم أخت، ثم أخت، ثم أخت، فتقسم التركة كلها على ثلاثة: للذكر سهمان، وللأنثى سهم.

فإن كان ورثة الباقي غير ورثة الأول أو يرثونه بوجه آخر، صحِّح مسألة الميت الأول ثم اعرف نصيب الميت الثاني، ثم صحِّح مسألة الثاني، ثم اقسم نصيبه من مسألة الميت الأول على مسألته:

- فإن انقسمت صحت المسألتان مما صحت منه الأولى.
- فإن لم ينقسم نصيبه من الأولى على مسألته، ولا بينهما موافقة، ضربْتَ ما صحَّت منه مسألته فيما صحت منه المسألة الأولى، فمنه تصح المسألتان، ومن له شيء من الأولى أخذه مضروباً في تلك المسألة، ومن له شيء من الثانية أخذه مضروباً فيما مات عنه الثاني.
- فإن كان بين نصيب الميت الثاني وما صحت منه مسألته موافقة، اضرب وفق مسألته لا وفق نصيبه في المسألة الأولى تخرج المسألتان، وهكذا يجري العمل مهما كثرت القبور في المسألة الواحدة.[1]

---

[1] يُنظر: الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، تح: محمد حجي،

وقد تحصلنا على ست فرائض شرعية بها مناسخات من محكمة البيضاء الجزئية، وخمس مناسخات من محكمة شحات الجزئية وبيانها كالآتي:

م	رقم الفريضة	عناصرها	الحالة	توصيف الخطأ إن وجد
1	2020/1055ض	من قبرين	صحيحة	
2	2017/202ض	من 11 قبر	صحيحة	
3	2020/451ض	من قبرين	صحيحة	
4	2021/711ض	من قبرين	صحيحة	
	2020/916ش	من قبرين	صحيحة عمليًّا	عدم المبالاة في ذكر أسماء الورثة في سرد وقائع الفريضة، ثم ذكرهم في بيان الأنصباء
5	2019/136ش	من 7 قبور	غير صحيحة	خطأ في نصيب أحد الورثة
6	2019/135ش	من 4 قبور	صحيحة	
7	2018/61ش	من قبر واحد	صحيحة	
8	2016/57ش	من قبر واحد	غير صحيحة	إعطاء الأم السدس مع وجود عدد من الإخوة المحجوبين بالأب.
9	2014/16ش	من 4 قبور	غير صحيحة	بها أخطاء كثيرة، لا يمكن توصيفها، وقد عُدِّلت وصُحِّحت أخطاؤها عن طريق استعمال نظام الإكسل لمن أراد الاطلاع عليها ممن يعنيهم الأمر.
10	بلا/2022ض	من قبرين	صحيحة	

وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، 122/13 ومابعدها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1994م.

المطلب الثاني: مسائل الرد

قال صاحب مواهب الجليل: أجمع المسلمون أنه لا يرد على الزوج والزوجة، وأن الباقي بعد فرضهما على مذهب من لا يورث ذوي الأرحام لبيت مال المسلمين، أو للفقراء والمساكين وعلى مذهب من يورث ذوي الأرحام يكون الباقي بعد فرض الزوجين لذوي الأرحام.

وقال في باب الإقرار بوارث: وإنه لا يرد بذلك الإقرار، بل إن كان له وارث معروف فالمال له، وإن لم يكن فالمال لبيت المال، وإنما استحب في زماننا هذا إذا لم يكن له وارث معروف، فإن المقر له أولى من بيت المال؛ إذ ليس ثم بيت المال للمسلمين يصرف ماله في مواضعه.

وقال في باب توريث ذوي الأرحام قال إسماعيل القاضي: متى كان للميت عصبة من ذوي الأرحام فهم أولى، فإن لم يكونوا فالولاء، فإن لم يكن ولاء فبيت مال المسلمين، قال ابن يونس: فإن لم يكن بيت مال فأولوا الأرحام لما في ذلك من الآثار المتقدمة، لا سيما إذا كانوا ذوي حاجة فيجب اليوم أن يتفق على توريثهم، وإنما تكلم مالك وأصحابه إذا كان للمسلمين بيت مال؛ لأن بيت المال يقوم مقام العصبة إذا لم يكن عصبة، ألا ترى أن الرجل لو قتل قتيلا خطأ ولم يكن له عصبة ولا موالي وجب أن يعقل عنه من بيت المال، فكذلك يكون ميراثه لبيت المال، وإذا لم يكن بيت مال، أو كان بيت مال لا يوصل إليه شيء منه، وإنما يصرف في غير وجهه، فيجب أن يكون ميراثه لذوي رحمه الذين ليسوا بعصبة إذا لم يكن له عصبة ولا موالي، وإلى هذا رأيت كثيراً من فقهائنا ومشايخنا يذهبون في زماننا هذا، ولو أدرك مالك وأصحابه مثل زماننا هذا لجعل الميراث لذوي الأرحام إذا انفردوا، والرد على من يجب له الرد من أهل السهام.[1]

غير أن هناك أمراً ينبغي التنبه له وهو صعوبة إيجاد مسألة فيها رد بصورة واقعية؛ لأنه يندر لأي شخص أن لا يوجد له عاصب، وحيث وجد العاصب امتنع الرد؛ ولذلك يجب

[1] يُنظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، 6/ 415، دار الفكر، ط 3، 1412هـ/1992م.

التحري عند عرض مسألة ليس فيها عاصب، حتى نتيقن عدم وجوده، وهو أمر نادر على كل حال وتأكيداً لهذا لم نتحصل إلا على مسألة واحدة بها رد من محكمة البيضاء الجزئية، وهي كالآتي:

م	رقم الفريضة	عناصرها	الحالة	توصيف الخطأ إن وجد
1	2021-1182ض	زوجة وبنتان	صحيحة	يجب التحري عن وجود عاصب

المطلب الثالث: الوصِيَّةُ الواجبة

مدخل قانوني:

استحدثت بعض قوانين البلاد العربية نوعًا من الوصية اسمته "الوصِيَّةُ الواجبة"، فرضت بموجبه الوصية لصنف من الأقارب الذين حُرِموا من الميراث لوجود من يحجبهم، أو لأنهم من ذوي الأرحام، وحددتها بمقدار معين وشروط محددة، ومن هذه القوانين:

1. قانون الوصية المصريّ، رقم (71) لسنة 1946م، الفصل السادس، الوصية الواجبة، المواد 76-79.
2. قانون الأحوال الشخصية السوريّ، رقم (59) لسنة 1953م، والمعدل بالقانون (34) لسنة 1957م، الفصل الخامس (الوصية الواجبة)، المادة (257).
3. مدونة الأحوال الشخصية المغربيّة، الجريدة الرسمية عدد (54 23)، بتاريخ 26. 12. 1957م، الوصية الواجبة في الفصول 266 – 269.

وقد حذا حذوها مشروع قانون الأحوال الشخصية الليبيِّ، لسنة 1972م، في الباب السادس، الوصية الواجبة، المواد (494) (497)، ثم ورد النص عليها في القانون رقم (7) لسنة 1423، بشأن أحكام الوصية.

معنى الوصية الواجبة:

وقد عرَّفها القانونيون بأنها وصية لنوع محدد من الأقارب غير الوارثين، لا تحتاج في تنفيذها إلى إنشاء ممن وجبت عليه، فإن أنشأها بإرادته على الوجه المطلوب نفذت وصيتهُ، وإن تركها، أو أوجبها على وجه مخالف، كانت واجبة بحكم القانون، ونفذت على الوجه الوارد فيه، دون توقف على إيجابه، وينتقل الحق الثابت بها إلى المستحقين بمقتضى القانون، كما ينتقل الميراث.[1]

الحكمة من تشريع الوصية الواجبة كما يراها المُشرِّع القانوني

جاء في المذكرة التوضيحيَّة لقانون الوصية الواجبة ما نصهُ:

(إن الولد يموت في حياة أبيه وأمه، ولو كان قد عاش إلى موتهما، لورث منهما، وآل ميراثه إلى أولاده، ولكنه مات قبلهما، أو قبل أحدهما، أو معهما، أو مع أحدهما، وانفرد بالميراث إخوته، وصار أولاده في فقرٍ مدقع، واجتمع لهم مع اليتم وفقد العائل الحرمان والفقر، واضطرب بذلك ميزان التوزيع في الأسرة، فأصبح بعضها في يسر ونعمة بسبب الميراث، وبعضها في فقرٍ وعَوَز بسبب الحرمان؛ نتيجة موت أبيهم قبل جدهم أو جدتهم، مع أن أباهم هذا الذي حرمه الموت من نصيبٍ كان ينتظره، قد يكون هو الذي شارك الجد في بناء الثروة التي تركها.

وكثيرًا ما كانت العاطفة تدفع الجد أو الجدة إلى الوصية لهؤلاء الأحفاد، ويحمد الناس لهم ذلك، ويرونهُ عدلًا تطمئن إليه نفوسهم، وكثيراً ما يكون الأحفاد في عيال الجد يعدونهم، وأحبُّ شيءٍ إلى نفسه أن يوصي لهم بشيء من ماله، ولكن المنية عاجلته فلم يفعل، أو حالت بينه وبين الفعل مؤثرات وقتيّة.

ولتحقيق هذه الدوافع الكريمة وإقامة العدل على صورة قاطعة وشاملة قرر المشرع هذا المبدأ، واعتبره وصية واجبة يجب على الشخص أن يقوم بها، وإن هو لم يفعل أو لم

[1] يُنظر: أحكام الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية، د. سعيد محمد الجليدي، ، 290، دار أويا، طرابلس، ط 2.

يتمكن، كانت الوصية واجبة ونافذة في التركة بحكم القانون كالميراث، وينتقل الحق المترتب عليها إلى الفروع بمقتضى القانون كما ينتقل الميراث[1].

دراسة حكمة تشريع الوصية الواجبة في القانون:

أطلنا في الفقرة السابقة بذكر النص كاملًا من المذكرة التوضيحية للقانون الليبي لسنة 1972م الخاص بالأحوال الشخصية، الذي حدد بعض الأسباب والذرائع التي دفعت المشرّع لإقرار هذا القانون نجملها فيما يلي، مع ما يرد عليها من اعتراضات:

1. حرمان الأحفاد من ميراث جدهم أو جدتهم بسبب موت أبيهم أو أمهم قبله، وبنوا على ذلك أن الأحفاد سيعيشون في فقر مدقع، وأن ميزان التوزيع في الأسرة سيضطرب، وهذا أمر ليس على إطلاقه؛ لأن الميراث ليس هو المصدر الوحيد الذي يمتلك الإنسان من خلاله المال، فكم من أحفاد مات أبوهم قبل جدهم، وورثوا أباهم، وجدُّوا واجتهدوا وصار حالهم إلى أحسن حال وهذا واقع مشاهد.

ثم كيف يغفل الشرع "إقامة العدل على صورة قاطعة وشاملة" لأكثر من ثلاثة عشر قرنًا، ولم يتفطن لذلك جهابذة الصحابة، وكبار التابعين، والأئمة المجتهدين؟! ناهيك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل عن رب العزة جل في علاه، فإن هذه المسألة ليست من النوازل حتى يستساغ فيها اجتهاد المتأخرين ويُقبل، فإن موت الأبناء قبل آبائهم وأمهاتهم ولديهم أولاد، يحدث على مرِّ التاريخ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

2. قد يكون الشخص الذي مات قبل أبيه ولديه أولاد، هو الذي شارك الجد في بناء الثروة التي تركها.

وهذا أيضًا مردود؛ لأنها أولاً ليست قضية مُطلقة، فهي قضية خاصة ببعض الأشخاص فلا يصح تعميمها على الجميع.

[1] المذكرة التوضيحيَّة لمشروع قانون الأحوال الشخصية الليبيّ لسنة 1972م ، 381.

ثم إنَّ هذا الأمر قد وضع له الشارع اعتباراً، فعند وفاة هذا الابن الذي شارك أبيه في جمع هذه الثروة، فإنه سيكون له نصيب مشاركته في ثروة أبيه تضم إلى أملاكه وتوزع على ورثته الذين من بينهم أولاده.

3. إنَّ العاطفة تدفع الجد أو الجدة إلى الوصية لهؤلاء الأحفاد والمنية عاجلتهم قبل أن يفعلوا وهذا من قبيل الكشف عن بواطن الناس، وتقويلهم ما لم يقولوا، وكما نعلم فإنه لا يُنسب إلى ساكتٍ قول، وكيف نوجب على الإنسان ما لم يوجبه عليه الشرع، وهذا يسوقنا إلى دراسة المستند الفقهي الذي استند إليه المشرع القانوني في هذه المسألة.

الأصول الشرعية للوصية الواجبة:

جاء في المذكرة التوضيحية: إنَّ الأصل في تشريع الوصية الواجبة، قول الله تبارك وتعالى:

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} [1]، وإن القول بوجوبها للأقربين غير الوارثين، مروي عن جمع عظيم من فقهاء التابعين ومن بعدهم من أئمة الفقه والحديث[2].

ودلالة الآية على أصل الوجوب محل اختلاف بين الفقهاء، نتج عن اختلافهم هل هي منسوخة أو محكمة ؟

وقد ذهب أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء من الصحابة والتابعين من بعدهم كابن عمر وابن عباس، وهو قول مالك، وذكره النحاس عن الشعبي والنخعي بأن هذه الآية منسوخة.[3]

---

[1] سورة البقرة:180.

[2] المذكرة الإيضاحية، 381، 382.

[3] يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش 263/2، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1384هـ/1964م.

واستدلوا على رأيهم: بأن الوصية للوارث قد نسخت بآية المواريث، فنسخت هذه الآية في جملة معناها وأحكامها؛ لأنه إذا نسخ أصل الوصية للوارث الذي تدل عليه الآية، فقد نسخ كل ما تضمنته.

ثم إن جمهور العلماء ذهبوا إلى أن الوصية لا تجب إلا على من عليه دين، أو عنده وديعة، أو عليه واجب يوصي بالخروج منه [1]. قال ابن عبد البر: أجمعوا على أن الوصية غير واجبة إلا على من عليه حقوق بغير بيّنة وأمانة بغير إشهاد إلا طائفة شذت فأوجبتها. [2]

والذين خالفوا الجمهور قالوا: تجب الوصية للأقربين الذين لا يرثون.

وهم طائفة من التابعين كمسروق وطاووس وإياس وقتادة وابن جرير، وهو قول داود الظاهري.

واحتجوا بالآية، قالوا: نسخت الوصية للوالدين والأقربين الوارثين، وبقيت في من لا يرث من الأقربين.[3]

ومعنى الوجوب عندهم أنه يجب على المرء أن يوصي فإذا مات ولم يفعل فهو آثم.

ولكن هل معنى هذا الوجوب أنه يجب أن تخرج من ماله بعد وفاته إذا تركها؟!

لم يقل أحد من الفقهاء بذلك، ومن ثمَّ: فجعل إخراجها من ماله وإن لم يوص - من لازم القول بأن مذهب طائفة من فقهاء التابعين بوجوبها إذا تركه- أمر فيه سوء فهم على أحسن الأحوال.

---

[1] يُنظر: المصدر نفسه، 259/2.

[2] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، 292/14، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ

[3] يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، 385/3 وما بعدها، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ/2000م.

- من بين حجج القائلين بالوصية الواجبة أن لولي الأمر أن يأمر بالمباح وأن يقيد المباح إذا كان في ذلك مصلحة، نعم هذا صحيح، ولكن لم يقل أحد من أهل العلم قط أن أمره أو تقييده ينشئ حكمًا شرعيًا، وإنما محل ذلك هو المصالح المرسلة، أمَّا المصالح التي ذكرت عند القائلين بوجوب الوصية، فإن هذه المصالح ليست مما جدَّ بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- بل كانت موجودة قبل عهده -صلى الله عليه وسلم- فضلاً عن عهده -صلى الله عليه وسلم- وعهد أصحابه، وقد أجمع الفقهاء على أن هؤلاء الأولاد محجوبون بأعمامهم من الورثة، فالتكييف الأصولي إذن: أن تلك المصلحة مهدرة لكونها كانت قائمة، ومع ذلك لم يعتبرها النبي -صلى الله عليه وسلم- مع ما فيها من مخالفة الإجماع.[1]

وبناءً على ما سبق فإن الإلزام بالوصية الواجبة غير جائز شرعًا، ولم يقل به أحد من الفقهاء، بل هو خلاف الإجماع، ولا يستند إلى تأصيل أصولي صحيح، فلا يجوز العمل بها إلا بموافقة جميع الوارثين من غير إكراه ولا شبهته، واعتبار القانون لها وعمله بها لا يخرجها عن كونها محرمة.

- وهذه النتيجة هي ما توصلت إليه اللجنة المشكّلة من المؤتمر الوطني العام بمراجعة القوانين والذي صدر بناءً على توصيتها القانون رقم (12) لسنة 2015م بشأن إلغاء بعض أحكام القانون رقم (7) لسنة 1423هـ، وقد نص هذا القانون على إلغاء الوصية الواجبة لعدم استنادها على أدلة شرعية معتبرة.

مراجعة القوانين المعمول بها في شرق البلاد:

لا يزال العمل ببعض المحاكم الليبية جاري على تطبيق القانون الذي يقر الوصية الواجبة المشار إليه آنفاً، وقد تحصلنا على ثلاث فرائض شرعية من محكمة البيضاء الجزئية، كنموذج على هذه الحالة، وفيها التوزيع بناء على إقرار الوصية الواجبة، وهي على النحو الآتي:

---

[1] يُنظر: التروك النبوية "تأصيلا وتطبيقا"، محمد صلاح محمد الإتربي، 462/1 وما بعدها، وزارة الأوقاف، قطر، ط1، 1433هـ/2012م.

م	رقم الفريضة	عناصرها	الحالة	توصيف الخطأ إن وجد
1	2021-707ض	زوج وستة أبناء وأربع بنات، وأبناء ابن متوفى قبل المورث	صحيحة عمليًّا، ولكنه اعتمد الوصية الواجبة	العمل بالوصية الواجبة
2	2021-1151ض	زوج وأم وسبعة أبناء وثلاث بنات، ثم توفيت الأم عن أبناء وبنات مباشرين، وأبناء وبنات ابنتها صاحبة التركة	صحيحة عملياً، ولكنه اعتمد الوصية الواجبة	العمل بالوصية الواجبة
3	2020-1064ض	زوجة وأم وخمسة أبناء وثلاث بنات، ثم توفيت الأم عن أبناء وبنات مباشرين، وأبناء وبنات ابنها صاحب التركة	صحيحة عملياً، ولكنه اعتمد الوصية الواجبة	العمل بالوصية الواجبة

الخاتمة

وفي هذه الخاتمة نذكر أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتوصيات التي يمكن الوصول إليها من وراء هذه الدراسة:

1. ما يجري في محاكمنا غير مُسلَّم به، وهو محل بحث ومراجعة.
2. بلغت عينات الدراسة إحدى وستيّن عينة، بيان مجموع ما وقع فيه الخطأ على النحو الآتي:

أ- المسائل العادية ست عشرة مسألة، خمس مسائل بها خطأ نظري في توصيف نصيب الأب، وباقيها صحيح.

ب- مسائل الانكسار إحدى وثلاثون مسألة، وقع في أربع مسائل منها أخطاء جوهرية في التأصيل وتصحيح الانكسار وحصر الورثة، ووقع خطأ نظري في مسألة واحدة، وباقي المسائل صحيح.

ت- مسائل الانكسار عشر مسائل، وقع في ثلاثة منها أخطاء في أنصبة الورثة، وفي إحداها أخطاء كثيرة جداً لا يمكن توصيفها، كما وقع خطأ نظري في إحدى المسائل وباقيها صحيح

ث- مسائل الرد، مسألة واحدة صحيحة، وقد لاحظنا أن عدم وجود عاصب أمر بعيد الوقوع في مجتمعنا.

ج- مسائل الوصية الواجبة، ثلاث مسائل اعتُمد في حلها القول بالوصية الواجبة، وقد بينا في الدراسة ضعف هذا القول شرعاً وقانوناً.

- أظهرت الدراسة عدم مبالاة في عمل الفرائض الشرعية، نتج عنه خلل في أنصبة الورثة.
- بيَّنت الدراسة وجود أخطاء جوهرية أثَّرت على حل المسائل نتج عنها إخلال بقيم أنصبة الورثة.

وختامًا نوصي بإقامة دورات تخصُّصيَّة لمن يتولون حل مسائل الفرائض والاستعانة بخبرات أساتذة الجامعات من أصحاب التخصصات الشرعية في تقديم هذه الدورات.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانيا: المصادر والمراجع

1. أحكام المواريث والتركات والوصية في الشريعة الإسلامية مع شرح قانون الوصية الواجبة د. عبد المجيد عبد الحميد الديباني، منشورات جامعة قاريونس، ط 1، 1998م.
2. أحكام الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية، د. سعيد محمد الجليدي، دار أويا، ط 2 طرابلس.
3. التروك النبوية "تأصيلاً وتطبيقاً"، محمد صلاح محمد الإتربي، وزارة الأوقاف، قطر، ط 1، 1433هـ/2012م.
4. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ.
5. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م.
6. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1384هـ/1964م.
7. الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، تح: محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1994م.
8. سنن أبي داود، أبو داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
9. الغرة في شرح فقه الدرة، محمد الصادق الشطي الشريف المساكني، تح: فتحي الشريف العبيدي، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1440هـ/2019م.
10. المذكرة التوضيحيَّة لمشروع قانون الأحوال الشخصية الليبيّ لسنة 1972م.
11. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1990م.
12. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، دار الفكر، ط 3، 1412هـ/1992م.

كتب آداب المُعلِّم والمتعلِّم بالغرب الإسلاميّ وأثرها في تنمية القِيم.

Etiquette of the teacher and the learner in the Islamic West and its impact on the development of values.

اسم ولقب المؤلف: د. سعيد بن محمد بدهان

الدرجة العلمية والوظيفة: دكتوراه دراسات إسلامية، تخصص العقيدة والفكر، المغرب.

البريد الإلكتروني: said20bodhan@gmail.com

الملخص :

لقد حظيت كتب آداب المعلم والمتعلم بعناية كبيرة لما لها من التأثير في بناء الروح الخلقية والآداب السلوكية في مجال العلم والتعلم، ولا يتأتى هذا إلا بتأصيل هذه القيم أولا على ضوء المصادر الأساسية للتربية الإسلامية، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم توعية المعلمين والمتعلمين بأهمية هذه الأخلاق والآداب، بل وإلزامهم بالتمسك بها شكلاً ومضموناً.

وقد استلهم العلماء من نصوص الوحي قرآناً وسنة القيم والآداب والأخلاق السامية التي ينبغي أن يتحلَّى بها المعلم والمتعلم؛ فألَّفوا كتباً في هذا الباب لتكتمل في المنظومة التربويّة الصفات التعليمية الواجبة في شخصية المسلم، ويكون قادراً على تأدية رسالته بصورة أكمل.

الكلمات المفتاحية: القيم-الآداب-المُعَلِّم-المُتَعَلِّم.

Abstract:

The books of teacher and learner etiquette have been given great care because of their impact on building the moral spirit and behavioral etiquette in the field of science and learning. These morals and morals, and even oblige them to adhere to them in form and content.

Scholars have been inspired by the texts of revelation, the Qur'an and the Sunnah, of the lofty values, etiquette and morals that a teacher and learner should possess. So they wrote books on this topic to complete the educational system with the educational qualities that are obligatory in the personality of a Muslim, and to be able to perform his message more fully.

Keywords: values-ethics-teacher-learner.

المُقدِّمة:

الحمد لله الماجد العظيم، البَرِّ المهيمن الكريم، خلق الإنسان من عدم، وعلمه ما لم يكن يعلم، وألهمه كيف يكتب بالقلم، والصلاة والسلام على أكرم مبعوث بالخير في أفضل الأمم، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان من أولي الهمم.

أما بعد، فإنه لما كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأضحى للعلم شرفاً سامقاً في حضارة المسلمين؛ وذلك بسبب ما وردت فيه من النصوص الشرعية التي تحث وترغب فيه، ولا يغيب عن الدارس لمسيرة العلم دوره الحضاري في نهضة الأمة الإسلامية، وبات يمثل العمود الفقري الذي قامت عليه الثقافة الإسلامية، وآتت ثمارها في ظل العناية به، ورعاية المنتسبين إليه من متعلمين ومعلمين.

ومن هذا المنطلق استطاع المسلمون أن يضعوا لبنات توجه مسيرة العلم تستند على الآداب والقيم الأخلاقية التي تنظم العلاقة بين المعلم والمتعلم، حتى غدت هذه الآداب والقيم الأخلاقية أهم المبادئ الإسلامية في الفكر التربويّ الإسلاميّ.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يمثلان المصدر الأساس للعلم والتربية في الإسلام، ومن ثم وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تؤسس لهذه القيم الأخلاقية، وهي معلومة، والأحاديث في الصحيح مشهورة.

فمن وحي القرآن الكريم، قصة موسى والخضر عليهما السلام، وهذه تمثل موقفاً تعليمياً ربانياً استنبط منه المفسرون قيماً تربوية يجب أن يتحلَّى بها المعلم والمتعلم، وكذلك تعاليم لقمان لابنه، وغيرها من المواقف.

ومن وحي السنة النبوية نجد أن سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تُمثِّل القدوة الحسنة للقيم والآداب الأخلاقية التربوية؛ إذ يقول الله جل وعلا في محكم التنزيل: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ **[الجمعة: 2]**

ووصفه الصحابي الجليل معاوية بن الحكم رضي الله تعالى عنه: «**مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي...**»[1]

[1]-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من اباحته، رقم ح (537) ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (381/1).

وقد استلهم العلماء من نصوص الوحي قرآناً وسنة القيم والآداب والأخلاق السامية التي ينبغي أن يتحلَّى بها المعلم والمتعلم؛ فألَّفوا كتباً في هذا الباب لتكتمل في المنظومة التربوية الصفات التعليمية الواجبة في شخصية المسلم، ويكون قادراً على تأدية رسالته بصورة أكمل.

السبب في اختياري للموضوع:

لهذا وقع اختياري على هذا النوع من المؤلفات-آداب المعلم والمتعلم- لما لها من إسهامات في بناء القيم والآداب والأخلاق داخل مؤسسات التعليم في المجتمعات الإسلامية؛ لأنها لما غابت عن واقع كثير من المسلمين اليوم أصبحنا نرى الخروج عن الآداب والأخلاق الحميدة يُعدُّ اليوم من أعمال البطولة التي يمجِّدها ويحاكيها بعض تلاميذ المدارس.

حدود البحث:

وممن كانت لهم جهود طيبة في إبراز القيم الروحية الخلقية في التربية والتعليم، علماء الغرب الإسلاميّ وذلك من خلال مؤلفاتهم، فضربوا بذلك أروع الصور علماً وعملاً؛ إذ أدركوا الأهمية والمكانة السامية للقيم الإسلامية، والتحلِّي بمكارم الأخلاق، فمن أهداف بعثته صلى الله عليه وسلم ترسيخ مكارم الأخلاق في المجتمع المسلم، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»[1].

إشكالية البحث:

سنحاول من خلال هذا الورقات معرفة من هم أشهر علماء الغرب الإسلاميّ الذين كتبوا في آداب المعلم والمتعلم، وما حجم إسهاماتهم في إبراز القيم الروحية الخلقية؟ وإلى أي مدى أسهمت هذه المؤلفات في ترسيخ وتنمية القيم الروحية داخل المجتمع وتطبيقها على أرض الواقع؟

وللإجابة عن هذا الإشكال ارتأيت اعتماد منهجَي الوصف والتحليل لبناء خطة تعتمد على مقدمة ومبحثين وخاتمة:

فبعد المقدمة، تحدَّثت في المبحث الأول عن المؤلفات في آداب المعلم والمتعلم، حيث ركَّزت فيه على أشهر هذه المؤلفات في الغرب الإسلامي، ومضامينها، والقيم المودعة فيها، وفي المبحث الثاني

[1]-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مسند أبي هريرة رقم ح(8952) ط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421 هـ - 2001 م، (513/14) قال المحقق: صحيح، وهذا إسناد قوي.

تحدَّثت عن بعض النماذج من القيم التي ينبغي أن يلتزم بها المعلم والمتعلم من خلال كتب آداب المعلم والمتعلم في الغرب الإسلاميّ مع ذكر أثرها في الواقع، والخاتمة ذكرت فيها أهم الاستنتاجات والتوصيات المنبثقة عن البحث.

المبحث الأول: المؤلَّفات والرَّسائل في آداب المعلِّم والمتعلِّم بالغرب الإسلاميِّ

لقد حظيت كتب آداب المعلم والمتعلم بعناية كبيرة لما لها من التأثير في بناء الروح الخلقية والآداب السلوكية في مجال العلم والتعلم، ولا يتأتى هذا إلا بتأصيل هذه القيم أولا على ضوء المصادر الأساسية للتربية الإسلامية، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم توعية المعلمين والمتعلمين بأهمية هذه الأخلاق والآداب، بل وإلزامهم بالتمسك بها شكلاً ومضموناً، وسوف نقتصر في حديثنا على أشهر المؤلفات في آداب المعلم والمتعلم بالغرب الإسلامي.

من خلال الاطلاع على تراث علماء الغرب الإسلامي ونتاجهم في آداب المعلم والمتعلم يمكننا تصنيفها الى:

_كتب مستقلة في هذا الفن: آداب المعلم والمتعلم.

- وكتب تضمنت الحديث عنها ككتب الفقه وشروح الحديث والتفسير.

وسأكتفي ببعض النماذج من الصنف الأول وهي: الكتب المستقلة في آداب المعلم والمتعلم، وسأقتصر على ثلاث نماذج منها وهي أشهرها.

أولاً: كتاب آداب المُعلِّمين لمحمَّد بن سحنون (202-256هـ)

1-من هو محمَّد بن سحنون؟

ينتمي محمد بن سحنون إلى بيت علم مشهور في إفريقيا، فقد كان أبوه سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخيُّ إماماً عالماً من علماء المذهب المالكيّ[1]، وقد عاش محمَّد بن سحنون في فترة حكم الأغالبة وتربَّى على يد أبيه وأخذ عنه الفقه، وغيره من فنون العلم، ذكر القاضي عياض بعضاً من فضائله فقال:

[1]- ينظر ترجمته في: طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب، ط: دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، (101).

"كان عالماً بالذَّبِّ عن مذهب أهل المدينة، عالماً بالآثار، صحيح الكتاب، لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه، فيما علمت"[1].

وفاته: تُوفِّي سنة ست وخمسين ومائتين256 هـ.[2]

2- كتاب آداب المعلمين

يعدُّ كتاب آداب المعلمين لمحمَّد بن سحنون أقدم ما أَلَّف في الغرب الإسلامي، وذاع صيت هذا الكتاب بين الناس، وذلك لما له من الأثر الكبير في نشر القيم والأخلاق والآداب الإسلامية رغم صغر حجمه.

محتويات الكتاب:

يتضمن الكتاب مجموعة من القيم الأخلاقية، والمبادئ العامة التربوية التي يقوم على أساسها نظام التعليم في الإسلام، ويمكننا تصنيف القيم التي يحتويها هذا الكتاب إلى ما يلى:

أ-قيم يشترك فيها المعلِّم والمتعلِّم.

ب-قيم تخصُّ المُعلِّم.

ج-قيم تخصُّ المُتعلِّم.

وقد بث هذه الأخلاق الإسلامية والقيم الروحية في عشرة أبواب من الكتاب، وستأتي الأمثلة منها في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

ثانيا: كتاب الرِّسالة المُفصّلة لأحوال وأحكام المُعلِّمين والمُتعلِّمين، لأبي الحسن علي بن محمد القابسيّ (ت403هـ).

1-التعريف بالقابسيّ:

هو أبو الحسن علي بن محمَّد بن خلف المعافريّ القرويّ اشتهر بالقابسيّ، ولد بالقيروان سنة (324 هـ) رحل إلى المشرق لطلب العلم، وحج ثم رجع إلى القيروان فصار فيها إماماً في الفقه والحديث.[1]

---

[1]- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تح عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط: 1، ط 1965 م،(4/ 204).

[2]-ينظر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافه، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، تح بشير بكوش ومحمد العروسي المطوي، (1/444).

وكانت له صحبة مع ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ)، وكان إليهما المرجع في العلم والفتيا، وتولى القابسيّ منصب الإفتاء بعد إباء فقبله على مضض.

وفاته: توفي القابسي سنة 403 هـ.[2]

2- كتاب الرِّسالة المفصّلة لأحوال وأحكام المعلمين والمتعلمين

جاء كتاب القابسي في ثلاثة أبواب على شكل سؤال وجواب.

في الباب الأول: تحدَّث فيه عن أصول القيم الأخلاقية المستهدفة في التعليم، إذ قدَّم القابسيّ في هذا الباب شرح الإيمان، والإسلام، والإحسان.

وفي الباب الثاني: تحدَّث عن بعض الأحكام المتعلِّقة بأخذ الأجرة عن تعليم القرآن، وهل يخدش ذلك في قيمة الإخلاص، ثم تحدَّث عن بعض آداب المُعلِّم التي ينبغي أن يتحلى بها في التعليم؛ كالرِّفق بهم والحرص على تعليمهم، وحثهم على آداب قراءة القرآن.

وفي الباب الأخير: تحدَّث عن البيئة والمكان المناسبين لتعليم الصبيان، وما يتعلق بالختمة من الآداب.

ثم ختم الكتاب بالحديث عن الأحرف السبعة.

-ثالثا: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البَرّ(463 هـ)

1-التَّعريف بابن عبد البَرَ

هو الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البَر، ولد سنة اثنتين وستين وثلاث مائة هجرية.

نشأ بقرطبة وطلب العلم على أكابر علمائها والقادمين إليها؛ إذ كانت عاصمة الخلافة يومئذ ومدينة العلم والحضارة.

---

[1]- ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان تح: إحسان عباس، ط: دار صادر – بيروت، ط 1994م، (322/3).

[2]-ينظر: الرسالة المفصة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، أبو الحسن على القابسي، تح: أحمد خالد ط الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط-1، (8).

فسطع نجم ابن عبد البر في كثير من فنون العلم لكثرة شيوخه ومواهبه التي مَنَّ الله بها عليه، فقد كان عالماً بالقراءات والحديث حتى لُقِّب بحافظ المغرب، والخلاف الفقهيّ العالي، وكان عالماً بالرِّجال وله تواليف سَرَت بها الركبان.[1]

أثنى عليه كثير من فطاحل العلماء قال عنه ابن حزم:"لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه؟"[2]

وفاته: توفي رحمه الله تعالى سنة 463 هـ.[3]

2-جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البَرَ

يعدُّ هذا الكتاب أوسع من الكتابين السابقين، فقد قسمه ابن عبد البر إلى أبواب كثيرة، إلا أنه يمكن تقسيم الكتاب إلى:

أ- مبادئ التربية عند الحافظ ابن عبد البر.

ب- القيم والآداب التي يجب أن يتحلَّى بها العالم والمتعلم.

ج- أصول العلم، وحقيقته، وفضله وأقسام العلوم.[4]

وللإشارة فلابن عبد البَرَ كتب غير هذا الكتاب في الآداب والأخلاق منها كُتَيِّب سماه أدب المجالسة وحمد اللسان، مطبوع، وكتاب بهجة المجالس وأنس المجالس، مطبوع، وغيرهما.

المبحث الثاني: كتب آداب المعلم والمتعلم وأثرها في تنمية القيم الإسلامية

اعتنى علماء الإسلام بالقيم الواجبة في حق المربِّين والمتعلمين، وأكدوها من خلال تراثهم التربويِّ المكتوب في هذا المجال فأصبح يمثل جزءاً كبيراً، واعتمدوا في ذلك على ما تضمنه

---

[1] - ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح الحَمِيدي، ط: الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة عام النشر: 1966 م (367)

[2] -سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط مؤسسة الرسالة، ط : 3، 1405 هـ / 1985 م(158/18)

[3] -ينظر: السابق نفسه، (159/18)

[4] -ينظر: مقدمة تحقيق جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي تح: أبي الأشبال الزهيري، ط: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1414 هـ - 1994 م(22/1)

القرآن الكريم في المقام الأول والسنة النبوية الشريفة، ووصايا السلف الصالح للحثِّ على الترغيب في الأخلاق الحميدة، والتنفير عن السلوك السَّيِّئ، فكان لها أبلغ الأثر في أركان العملية التعليمية الرئيسية وهي: المعلم والمتعلم.

ويمكن تناول القيم التي ينبغي أن يلتزم بها المعلم والمتعلم من خلال كتب آداب المعلم والمتعلم المتقدمة على النحو الآتي:

1-إخلاص القلب وصفاء النفس:

مما لا شك فيه أن العلم لا يتأتى لطالبه، إلا إذا أخلص قلبه لله تعالى، وَصَفَت نفسُه بحيث يتهيأ لقبول العلم؛ لأنَّه نور من الله تعالى لا يهدي إليه إلا من هو أهل له، والإخلاص هو أول قيمة خُلُقِيَّة فاضلة يوثِّق المعلم والمتعلم صلته بها؛ لأنَّ الإخلاص في العمل يؤثِّر على نتيجة هذا العمل، فبه يكون صالحاً متقناً، وإذا فُقِد كان العمل فاسداً، ويعبِّر عن هذا المعنى سحنون فيقول: "وليلزم المعلم الاجتهاد، وليتفرغ لهم، ولا يجوز له الصلاة على الجنائز إلا فيما لابد منه ممن يلزمه النظر في أمره؛ لأنَّه أجير لا يدع عمله..." [1]

فالإخلاص والتفرغ للعمل يجعله ابن سحنون من الواجبات، فلا يلتفت المعلم إلى النفل ويترك الفرض؛ فهذا ليس من الشرع في شيء، وهذه القضية تطرح نفسها داخل بعض مدارس ومؤسسات المسلمين في واقعنا المعاصر بشكل قوي، وكثير من أولياء الأمور يشتكون من تجاوزات بعض المعلمين أو المرشدين التربويين.

فالمعلِّم حين يقوم بواجباته فإنه يرغب بهذا العمل الصالح الثَّوابَ من الله عزَّ وجلَّ، وأداؤه بإخلاص هو في الحقيقة وفاء بحق نِعَم الله تعالى عليه.

ويحدِّثنا القابسيُّ عن الاحتساب في تعليم اليتيم القرآن الكريم فيقول: "وإن احْتَسَب فيه المعلم فعَلَّمه لله عز وجل، وصبر على ذلك، فأجره إن شاء الله يُضَعَّف في ذلك، إذ هي صنعته التي يقوم منها معاشه، فإذا آثره على نفسه استأهل-إن شاء الله-حظا وافرا من أجور المُؤثرين على أنفسهم."[2]

---

[1]-آداب المعلم، محمد بن سحنون، تح حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة محمد لعروسي المطوي، طبعة الشركة التونسية، تونس، ط/2، سنة 193هـ-1972م(100)

[2]- الرسالة المفصلة لأحوال وأحكام المعلمين والمتعلمين، أبو الحسن على القابسي، تح أحمد خالد، ط الشركة التونسية، تونس، ط/1/1986م (94)

أما ابن عبد البَرّ فقد عقد باباً أورد فيه أحاديث تحذر من طلب العلم لغير الله تعالى كالمباهاة والفخر به على الناس فقال:" باب ذمِّ الفاجر من العلماء، وذمِّ طلب العلم للمباهاة والدنيا"[1]

وواضح مما سبق أنه يجب على المعلم والمتعلم أن يتحلَّى بهذه القيمة الأخلاقية التي هي مقوِّم أساسي في العملية التعليمية التعلُّمية، فالتَّحلِّي بالإخلاص يعنى التَّخلِّي عما ينافيه من الرذائل وحظوظ النفس؛ لأنَّ صفاء النفس يساعد المتعلم على تحصيل العلم، يقول الرازي:" وأما العلم ببواطن الأشياء فإنما يمكن تحصيله بناءً على تصفية الباطن، وتجريد النفس، وتطهير القلب عن العلائق الجسدانية"[2].

أثر قيمة الإخلاص في واقع التعليم:

سنذكر بعضاً من آثار الإخلاص، وسنقتصر على ثلاثة منها وإلا فهي كثيرة:

-إنَّ الإخلاص في العمل يُنتج لنا طالب علم متمكِّن من تخصصه، كما أنه يجعل من المعلم شخصاً مجداً في عمله، مثابراً في تعليمه، لا يقصِّر أبداً في مهمته التعليمية.

-الإخلاص صمام أمان من الوقوع في شطط البحث العلمي، والاستلاء على أفكار الغير، وترك الأمانة في نقل المعلومات.

-تحرير القصد؛ بحيث لا تكون هناك مجاملات في قول الحق، وإظهاره طاعة لله جل وعلا، ولا يريد بذلك العمل سوى وجه الله وحده، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ **[الكهف: 110].**

2-الصبر على مقتضيات التعلم:

من القيم الأخلاقية التي حثَّ عليها الإسلام ورغَّب فيها: قيمة الصبر؛ إذ وردت مادة الصبر في القرآن الكريم في أكثر من مائة موضع،[3] وهي صفة يلزم أن يتحلَّى بها كل مسلم، والمُربِّي

---

[1]- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، (648/1)

[2]-مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ،ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط. الثالثة - 1420 هـ(490/21)

[3]- ينظر: الصبر في القرآن، يوسف القرضاوي، ط مكتبة وهبة، مصر، ط3/ 1410هـ-1989م. (7)

والمتعلم في حقهما أشد لزوماً، وتعني قيمة الصبر: حبس النفس والثبات على الشيء من غير جزع وتسخط[1].

وقد اهتمت كتب آداب المعلم والمتعلم في الغرب الاسلامي بهذه القيمة، وحثَّ عليها العلماء، وذكر القابسي في رسالته: أنه ينبغي على المعلم أن يحبس نفسه لتعليم الصبيان، وأن يصبر على ذلك ويتولَّى التعليم بنفسه، ولا يولّي أحداً من التلاميذ ذلك، فقال: "ولا يحِلُّ له أن يأمر أحداً أن يُعلِّم أحداً منهم، إلا أن يكون في ما فيه منفعة...ولا يجوز للمُعلِّم أن يشتغل عن الصبيان، إلا أن يكونوا في وقت لا يُعرضهم فيه"[2].

وهذا معنى أن يحبس المعلم نفسه على تعليم الصبيان، والذي نقلناه عن القابسي ذكره قبله الفقيه محمد بن سحنون؛[3] لأنه بدون الصبر لا ينهض المربون بأعباء الرسالة التعليمية، فلا بد من توطين النفس على احتمال المكاره دون الضجر.

وإذا كان من واجب المعلم الصبر على تعليمه، فالمتعلم من باب أولى وأحرى؛ إذ نقل ابن عبد البر أحد الوصايا من وصايا لقمان لابنه فقال: "قال زيد بن أسلم: كان لقمان من النوبة[4]: ومن مواعظه لابنه أيضاً: لا تجادل العلماء فتهون عليهم ويرفضوك، ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك، ولكن اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم، ولمن هو دونك؛ فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم ولزمهم واقتبس من علمهم في رفق"[5]

وإذا تأملنا في هذه القيمة الأخلاقية وقلَّبنها في حياة الناس، فإننا سنجد أنها مطلوبة في جميع المجالات وليس في التعليم فقط، فكل الطاعات تحتاج إلى صبر، والابتعاد عن المحرَّمات يحتاج إلى صبر، وفي جميع التكاليف التي يقارعها الإنسان تحتاج إلى صبر، كيف لا وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن الإنسان في هذه الدنيا يكابد المشاق ويتقلب في الابتلاءات، قال تعالى:﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: 4]**

---

[1]-ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، عبد السلام محمد هارون، ط، دار الفكر، ط: 1399هـ - 1979م(329/3)

[2]- الرسالة المفصلة لأحوال وأحكام المعلمين والمتعلمين، أبو الحسن على القابسي، (141)

[3]- آداب المعلم، محمد بن سحنون، (98)

[4]-بلاد النوبة تقع في نهاية جنوب مصر ينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى القرشي العدوي العمري، شهاب الدين،،ط: المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط: الأولى، 1423 هـ(4/ 99)

[5]- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر،(1/ 441)

أثر قيمة الصبر في الواقع:

-يمنع خلق الصبر من السأم والملل في المجال التربوي، ويدفع صاحبه إلى المثابرة ومتابعة السير في سائر الأعمال التي تتطلب التأني وعدم التسرع.

-الصبر يمَكِّن صاحبه من مواجهة ما يقتضيه طلب العلم من الصِعاب، ويضبط النفس من الطيش وعدم الاتزان في الأقوال والفعال.

-يُعدُّ الصبر أصلا لكثير من الأخلاق الحسنة، فمنه يتفرع الحلم والرفق والأناة وحفظ السر وكتمان الأسرار والدأب والمثابرة وكظم الغيض والعفو، وغيرها من القيم الفاضلة.[1]

3-العدل والمساواة بين التلاميذ:

من القيم الإسلامية والصفات الخلقية التي يجب أن يتحلَّى بها المعلم المسلم في معاملته مع التلاميذ والزملاء والناس كافة صفة العدل، وقد عقد الفقيه محمد سحنون باباً يبين فيه أهمية هذا الخلق وهو الباب الثاني: باب ما جاء في العدل بين الصبيان أورد فيه بعض الأحاديث والآثار في التحذير من عدم العدل فيما بينهم.[2]

أما القابسي فشرح ذلك المعنى بشيء من التفصيل فقال: "ومن حقهم عليه أن يعدل بينهم في التعليم، ولا يفضل بعضهم على بعض، وإن تفاضلوا في الجُعْل، (أجرة التعليم) وإن كان بعضهم يكرمه بالهدايا".[3]

فلا يجوز للمعلم أن يفضل تلميذاً على آخر من أجل ثرائه، أو ما يجلب له من الهدايا، وإنما الواجب في حقه أن يكونوا عنده في درجة التعليم على السواء، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بهذا الخلق في كثير من الآيات القرآنية قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ **[النحل: 90].**

وقد تواطأت الشرائع الإلهية وعقول الحكماء على فضل العدل وأهميته والعمل به.

وغياب العدل في المنظومة التربوية يؤدي إلى عواقب وخيمة؛ ويؤدي إلى الظلم، والتعدي على حقوق الآخرين، والتسلط على أفكارهم، واختراعاتهم، واكتشافاتهم.

---

[1]-ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط دار القلم دمشق، ط 1420/5هـ-1999م. (337/2)

[2]-ينظر: آداب المعلم، محمد بن سحنون، (84)

[3]- الرسالة المفصلة لأحوال وأحكام المعلمين والمتعلمين، أبو الحسن على القابسي،(131)

أثر قيمة العدل في الواقع:

للعدل آثار حسنة وطيبة في الواقع العام بين الناس، وأيضا له آثار خاصة في العملية التعليمية التعليمية منها على سبيل المثال لا الحصر:

-تكافؤ الفرص بين الطلاب، وعدم بخس جهد أي مجتهد مُجِدٍّ في دراسته مما يوفر طاقات مستقبلية يكون عامل التفوق فيها هو الفيصل.

-العدل قيمة خلقية تبثُّ في أفراد المجتمع الشعور بالطمأنينة، وأنَّ كل فرد يحصل على ثواب جهده دون النظر إلى العِرق أو الوضع الاجتماعي.

-غياب العدل يعني تفشي الظلم في وسط المجتمع، وسريان الفساد فيه من جميع النواحي، وبالتالي ينتج المعلم الفاشل والمهندس الفاشل والطبيب الفاشل...

4-الرحمة والرفق في التعليم

من القضايا التي لها علاقة بالقيم والأخلاق الإسلامية التي أثارتها كتب آداب المعلم والمتعلم عند علماء الغرب الإسلامي قضية استعمال الرفق وخلق الرحمة في التعليم، فقد أورد الفقيه محمد بن سحنون في كتابه حديثاً في هذا الباب، وعليه بنى كلامه عند التفصيل في مسألة ضرب الصبيان وعدم التجاوز في ذلك، فقال:" عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«شرار أُمَّتِي معلِّمو صبيانهم أّقلُّهم رحمة لليتيم، وأَغلظهم على المسكين»[1].

أما القابسي في رسالته فقد تحدث عن قيمة الرحمة في آدب الصبيان بشيء من التفصيل،

فمن مظاهرها[1] عنده ما يأتي:

---

[1]- آداب المعلم، محمد بن سحنون، (89). لم أجد هذا الحديث بهذا النص الذي ذكره بن سحنون، وقد وجدته في معجم بن الأعرابي بهذا اللفظ: «**مُعَلِّمُوا صِبْيَانَكُمْ شِرَارُكُمْ، أَقَلُّهُمْ رَحْمَةً لِلْيَتِيمِ وَأَغْلَظَهُمْ لِلْمِسْكِينِ**» معجم ابن الأعرابي، أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد، تح: عبد المحسن بن إبراهيم بن = أحمد الحسيني، ط: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1418 هـ - 1997 م رقم الحديث(1095)، (559/2) والحديث لا يصح في سنده: سيف بن عمر التميمي قال عنه: **ابن حبان البستي: "اتهم بالزندقة ويروي الموضوعات عن الأثبات."** إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، ط: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: 1، 1422 هـ - 2001 م، (194/6).

1- الرِّفق بهم في إعطائهم واجبات الحفظ، وألا ينقله من السورة حتى يحفظها حفظاً متقناً.

2- أن يختار المعلم لهم الأوقات التي ينشطون فيها، فتساعدهم على الحفظ ومراجعة المحفوظ.

3- أن يكون الضرب لمنفعتهم وليس تشفياً فيهم.

4- ألا يلجأ إلى الضرب مباشرة، وإنما يتوعده ويقرعه من غير سَبٍّ لعرض، أو شتم، أوصف سيء مثل أن يناديه يا قرد يا مسخ...

5- ألا يزيد على الضرب أكثر من ثلاث.

6- ألا يكون الضرب بأداة تجرح، أو يؤدي الضرب إلى الألم المشنع أو الوهن المُضِر.

نلاحظ مما سبق أن العلماء أرادوا من خلال هذه القيمة أن يدخلوا في قلوب الناشئة حب العلم، وذلك من خلال معاملتنا مع من نقوم بتربيتهم وتعليمهم، فالغلظة والشدة وقسوة الطبع كل هذه الطباع تكون حاجزاً يمنع من إيصال الخير للناس؛ لذلك أولى الناس بالاتصاف بخلق الرحمة هم العلماء والدعاة والمربون، وهذه وصية الله جل وعلا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ **[آل عمرا:159].**

فالاتصاف بالرحمة والبشاشة والبعد عن الفضاضة والغلظة من أخلاق المعلم الأول للأمة الإسلامية صلى الله عليه وسلم، وأحق الناس بالاقتداء به العلماء والدعاة والمربون.

وهذا الخُلُق هو الذي نجده في العبد الصالح حين أمر الله سبحانه وتعالى موسى أن يتعلم منه ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾**[الكهف:65].**

ومن أمثلة عناية علماء الإسلام بالرحمة في التربية والتعليم اهتمام المحدثين على مر العصور، وحرصهم على البداية مع طالب الحديث إسماعه المسلسل بالأوّليّة، ويسمى

---

[1]- ذكر القابسي مظاهر الرحمة في كتابه: الرسالة المفصلة لأحوال وأحكام المعلمين والمتعلمين، في أماكن متفرقة، (128و129و130و131و133).

أيضا المسلسل بالرحمة، **فعن عبدِ الله بن عمرو، يبلُغ به النبيَّ- صلى الله عليه وسلم -: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهمُ الرَّحمنُ، ارحَمُوا أهلَ الأرضِ يَرْحَمْكُم مَن في السّماء.»**[1]

ويذكر لنا المحدِّث المغربيّ محمد عبد الحي الكتَّانيّ: الحكمة التربوية في قرع أسماع طلبة العلم في أول لقائهم بالشيخ بهذا الحديث فيقول:" تداولته الأمة واعتنى به أهل الصناعة، فقدَّموه في الرواية على غيره ليتم لهم بذلك التسلسل كما فعلنا، وليقتدي به طالب العلم فيعلم أن مبنى العلم على التراحم والتواد والتواصل، لا على التدابر والتقاطع، فإذا شبَّ الطالب على ذلك شبَّت معه نعرة التعارف والتراحم فيشتد ساعده بذلك، فلا يشيب إلا وقد تخلق بالرحمة وعرف غيره بفوائدها ونتائجها فيتأدب الثاني بأدب الأول، وعلى الله في الإخلاص والقبول المعول"[2]

أثر قيمة الرحمة في الواقع:

-الرحمة تغرس في النفس الرفق الذي ينبغي أن يسود في المجتمع بين المسلمين، ويُزيِّن به كل مسلم أعماله وتصرفاته، وبه تفتح مغاليق القلوب.

-إذا تفجر خلق الرحمة في قلوب المسلمين غدا مجتمعاً متحاباً يموج بالتعاطف والنصيحة والعفو والمسامحة والصفح.

-وجود صفة الرحمة في الوسط العلمي والتربوي يرفع من مستوى المحبة والألفة بين أفراده ويبعد الأنانية والحسد والمعاملة الفجة التي لا تليق بالعلم وأهله.

5-التواضع

تُعدُّ قيمة التواضع من السمات التي يجب أن تتجذر في المتعلم؛ لأنَّها دليل على التقدير والاحترام من ناحية، وعلامة تؤكد على استعداد المتعلم، ورغبته في طلب العلم من ناحية أخرى.

---

[1] -سنن ابي داوود، سليمان بن الاشعث السجستاني، كتاب الآداب ، باب في الرحمة، شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، ط: دار الرسالة العالمية، ط: 1، 1430 هـ - 2009 م رقم ح 4941 (7/ 298)،قال المحقق: حديث صحيح لغيره.

[2] - فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ الكتاني ، تح: إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي - بيروت ص. ب: 5787/113،ط: 2، 1982،(1/ 93)

وقد عقد الإمام ابن عبد البَرّ فصلاً كاملاً يوضِّح فيه أهمية هذا الخلق الرفيع، قال رحمه الله تعالى:

" فصل في مدح التواضع وذمِّ العجب وطلب الرئاسة.

ومن أفضل آداب العالم تواضعه، وترك الإعجاب لعلمه، ونبذ حب الرئاسة عنه"[1]

ثم أورد فيه أحاديث تحثُّ وترغِّب في الاتصاف بهذا الخلق من هذه الأحاديث التي استشهد بها:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّه إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ».[2]

واستشهد أيضا بأقوال العلماء:

- "المتواضع من طلاب العلم أكثر علماً كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء...

- وروينا عن أيوب السختياني، أنه قال: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله عز وجل."[3]

وإذا ما أمعنا النظر في قصة موسى والخضر التي أوردها القرآن الكريم في أواخر سورة الكهف، نجد أن من السمات التي جاءت في سياق قصة موسى والخضر: سمة التواضع الكبير الذي مثله موسى عليه السلام في أول لقاء له مع الخضر؛ إذ يعبِّر موسى عليه السلام عن هذا التواضع في قوله تعالى:﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾ **[الكهف:66].**

وقد استنبط الفخر الرازي سمات تواضع موسى عليه السلام فقال: "اعلم أن هذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعى أنواعاً كثيرة من الأدب واللطف عند ما أراد أن يتعلم من الخضر.

فأحدها: أنه جعل نفسه تبعاً له؛ لأنَّه قال: هل أتبَّعك.

---

[1]- جامع بيان العلم وفضله، (1/ 562)

[2]-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم ح 2588، (4/ 2001).

[3]- جامع بيان العلم وفضله، (1/562-564)

وثانيها: أن استأذن في إثبات هذا التبعية فإنه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك، وهذا مبالغة عظيمة في التواضع.

وثالثها: أنه قال على أن تعلمني، وهذا إقرار له على نفسه بالجهل، وعلى أستاذه بالعلم.

ورابعها: أنه قال: مما علمت، وصيغة مِن للتبعيض، فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله، وهذا أيضاً مشعر بالتواضع؛ كأنه يقول له لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزءاً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أجزاء ماله"[1]

أثر التواضع في الواقع:

- التواضع خلق رفيع يجنب صاحبه من احتقار الناس والسخرية منهم، ويبعده عن الكبر والاستعلاء.
- يغرس التواضع في صاحبه احترام الناس وبخاصة العالم والكبير؛ إذ يجرَّد من شرف الانتساب لأمة الإسلامية من انخلع من هذه الصفة مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم «**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**».[2]
- يثمر تربية التواضع في نفوس المتعلمين إجلال الكبار وأصحاب الفضل، وإنزال الناس منازلهم، وهذا طريق من الطرق التي تقرب إلى الله تعالى.

6-الصدق والحرص على نشر العلم:

من القيم التي أرساها الإسلام في مجال التعليم، الصدق في نشر العلم، وإذا كان معنى الصدق "مطابقة القول الضّمير والمخبر عنه معا"[3]، فإنَّ أحقَّ الناس بهذا المعنى المربي ومعلم الناس الخير؛ إذ يتوجَّب عليه ألا ينادي بأمر ويأتي أفعالاً تناقض ذلك الأمر، ومن هنا كان

---

[1]-مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الشهير بالفخر الرازي، (483/21)

[2]-مكارم الاخلاق للطبري، أبو القاسم سليمان بن أحمد، باب فضل رحمة الصغير وتوقير الكبير، ومعرفة حق العلماء، تح فاروق حمادة، ط دار الثقافة-الدار البيضاء المغرب،ط-3-1987م، رقم ح 147(96) قال محققه: إسناده صحيح.

[3]- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى: تح: صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الأولى - 1412 هـ(478).

حرص علماء الغرب الإسلامي في كتب آداب المعلم والمتعلم على تبيين التمسك والعمل على تحقيق قيمة الصدق في المجال التربوي.

فنرى محمد بن سحنون تحدَّث عن هذه القيمة في مواطن متفرِّقة من كتابه فنجده مثلاً يشدِّد على قضية عدم تضييع وقت المتعلم فيقول: "ولا يحل له أن يشتغل عن الصبيان إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم"[1]

ويرى ابن سحنون أنه من الصدق في تعليم الأولاد، تأديبهم بآداب الإسلام وتعليمهم واجباتهم وألا يقتصر على تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، فهذا في نظره وحده لا يكفي يقول: "وليعلمهم الأدب؛ فإنه من الواجب لله عليه النصيحة، وحفظهم، ورعايتهم...وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين، ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر"[2]

فالصدق في العمل صفة يجب أن يتخلَّق بها المعلم والمتعلم، والشواهد بفضل هذه القيمة أكثر من أن يتسع المقام لذكرها، فمنها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16)الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾ [**آل عمران:16-17**]

والقرآن الكريم يأمرنا أن نكون من الصادقين ومع الصادقين في الأقوال والأفعال والأحوال قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: 119].

ولهذا نجد أبا الحسن القابسي يرى أن المعلم إذا لم يصدق في تعليمه ولم يوف واجباته التعليمية فإنه لا يطيب له أخذ الأجرة على تعليمه فقال: "فالواجب على المعلم الاجتهاد حتى يوفيَ ما يجب عليه للصبيان، فإن وفَّى ذلك يطيب له ما يأخذه على التعليم بشرط، وليعلم أنه إن فرط في وفاء ما عليه، أنه لا يجب له ولا يطيب له ما يأخذ من ذلك"[3]

---

[1]- آداب المعلم، محمد بن سحنون، (98)

[2]-السابق نفسه، (109-105)

[3]- الرسالة المفصلة لأحوال وأحكام المعلمين والمتعلمين (126)

أثر الصدق في الواقع:

-قيمة الصدق في العمل لها أثر بالغ في الواقع التربوي تجعل المعلم يتحرّى الحقيقة في أعماله وأقواله، ويلتزم بمواعيده، ويفي بوعوده.

-التمسك بالصدق في الأقوال والأفعال يكسب صاحبه احترام تلاميذه، وجميع المتعاملين معه، فيرفع من شأنه ويقوي مركزه في عمله ومجتمعه.

-العمل بصدق يؤثّر في قلوب المتلقين للعلم، ويثمر المحبة في نفوسهم ويثقون به.

خاتمة

بعد عرضنا لبعض القيم التربوية الاسلامية التي وردت في كتب آداب المعلم والمتعلم في الغرب الإسلامي نخلُص إلى ما يلي:

1) إنَّ القيم التربوية الأخلاقية في كتب آداب المعلم والمتعلم في الغرب الإسلامي تشكل منظومة تربوية مهمة تتداخل مع المبادئ الأخرى من مناهج دراسية وطرق تدريس ووسائل تعليمية.

2) إنَّ الصفات الخلقية والقيم الإيمانية التي أكدتها هذه الكتب يجب أن يتحلَّى بها المعلم والمتعلم لما لها من تأثير إيجابي؛ إذ يصبح الشخص الذي تتمثل فيه هذه القيم قادراً على تأدية رسالته ومسؤوليته وواجباته التعليمية والاجتماعية.

3) إنَّ غياب هذه القيم عن واقعنا يؤدي إلى الخلل داخل مؤسسات التعليم في المجتمعات الإسلامية، ومن ثم التراجع العلمي الذي أبعد المسلمين اليوم عن الريادة في كثير من ميادين العلم والمعرفة.

أمَّا **التوصيات** المنبثقة عن هذا البحث، فإني أقترح على الباحثين التركيز على القيم التربوية نظراً لما لها من الأهمية في واقعنا المعيش، وما وقع التردِّي الذي نراه في بعض من المؤسسات إلا حينما استبعنا هذه القيم والآداب الإسلامية.

وصلى الله وسلى على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط دار القلم دمشق، ط 1420/5هـ-1999م.
2. آداب المعلم، محمد بن سحنون، تح حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة محمد لعروسي المطوي، طبعة الشركة التونسية، تونس، ط2، سنة 193هـ-1972م.
3. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، ط: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: 1، 1422 هـ - 2001 م.
4. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تح عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط: 1، 1965 م.
5. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي تح: أبي الأشبال الزهيري، ط: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1414 هـ - 1994 م.
6. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح الحَمِيدي، ط: الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، 1966 م.
7. الرسالة المفصة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، أبو الحسن على القابسي، تح أحمد خالد ط الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط-1.
8. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفائلهم وأوصافه، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، تح بشير بكوش ومحمد العروسي المطوي.
9. سنن ابي داوود، سليمان بن الاشعث السجستاني، تح، شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، ط: دار الرسالة العالمية، ط: 1، 1430هـ-2009 م.
10. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405 هـ / 1985 م.

11. الصبر في القرآن، يوسف القرضاوي، ط مكتبة وهبة، مصر، ط3/ 1410 هـ - 1989م.
12. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح محمد فؤاد عبد الباقيط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
13. طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب، ط: دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان.
14. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ الكتاني ، تح: إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي -،ط: 2، 1982.
15. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421 هـ - 2001 م.
16. معجم ابن الأعرابي، أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد، تح: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، ط: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418 هـ - 1997 م.
17. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، عبد السلام محمد هارون، ط، دار الفكر، ط: 1399 هـ - 1979م.
18. مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ،ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 - 1420هـ.
19. مكارم الاخلاق للطبري، أبو القاسم سليمان بن أحمد، باب فضل رحمة الصغير وتوقير الكبير، ومعرفة حق العلماء، تح فاروق حمادة، ط دار الثقافة-الدار البيضاء المغرب،ط-3-1987م.
20. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، تح: إحسان عباس، ط: دار صادر – بيروت، 1994م.

منهج الرَّسول ﷺ في تعزيز القيم "الرَّحمة" "أنموذجاً".

The Prophet's approach to Strengthen values (mercy) as a model.

اسم ولقب المؤلف: د. زينب بشير الغصني

الدرجة العلمية والوظيفة: عضو هيئة التَّدريس بجامعة سبها/ ليبيا /كلِّيَّة الآداب / قسم الدِّراسات الإسلاميَّة

البريد الإلكتروني: zin.othman@sebhau.edu.ly

الملخص :

يواجه المشتغلون بالمجال الدينيِ والتَّربويَّ مشكلات تسرِّب القيم المادية إلى أبناء الأمة، ومجتمعاتها، خاصة في ظل الانفتاح على الثقافات المختلفة، والتطور التقنيّ والمعرفيّ، والانبهار بالحضارة المادية؛ إذ يخضع الإنسان لضروراتها، ويتمثَّل قيمها ويعيش بروحها؛ فيتولَّد فيه الحرص وينزع الإنسان إلى القسوة والشراسة، وتقل روح الفضيلة والرحمة والمسؤولية، فاتَّجه البحث إلى رصد الأساليب والمناهج التَّربويَّة التي انطوت عليها سنة الرسولﷺ من خلال تفاعله مع المواقف المختلفة أمراً ونهياً، وتوجيهاً وتعليماً، وعملاً وتطبيقاً، وما سكت عن تغييره وتفاعل معه بالقبول والارتياح، فكانت الرَّحمة عدتَّه وعتاده في إزالة الجهل، وتهذيب النفوس بالاحتواء، والتَّقبل، واللُّطف وذلك في ثلاثة مباحث رئيسة، الأول: التَّعريف بالقيم ومكوناتها وصلتها بالدين، والثاني: فلسفة الرحمة في عناية الرسولﷺ بالأمة و تربيته لها، والثَّالث: رصد المناهج التربوية واستنباط الأساليب التي توسل بها في ترسيخ الرحمة في وجدان الناس، فجمعت تربيته المنهج العقليَّ، والعاطفيَّ والسلوكيَّ متضمنة وسائل عديدة منها: الحوار، والقصة المشوقة والتربية بالقدوة، وربط المعرفة بالتَّطبيق العمليّ، وأسفرت الدراسة عن عدة نتائج أهمها: الدور التربويّ للطبيعة في تربية الرَّسول ﷺ، وأهمّية التواصل مع مشاهدها في تربية العقل والحس والعواطف، وخطورة الإسراف في التعامل مع العوالم الافتراضية، بديلاً عن العوالم الطبيعية، الأمر الذي يسبب خللاً تربويّاً ونفسيَّاً، ويُقلِّل فرص الألفة والتَّراحم والتَّوادّ.

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، الرسول ﷺ، القيم الأخلاقية، الرحمة، التربية الإسلامية.

Abstract:

Those working in the religious and educational field face the problems of leaking material values into the people of the nation and its societies, especially in light of the openness to different cultures, the technical and knowledge development, and the fascination with material civilization, as man submits to its necessities, assimilates its values and lives in its spirit, so care is born in him, and man disengages To cruelty and ferocity, and the spirit of virtue, mercy and responsibility decreases, and society drifts towards weakness and disintegration, so the research meant monitoring the educational methods and curricula that were implied in the Sunnah of the Messenger, may God bless him and grant him peace, through his interaction with the different positions, ordering, prohibiting, directing, teaching, doing and applying, and what he remained silent about changing and interacting with. With acceptance and satisfaction, mercy was his tool and his habit in removing ignorance, and refining souls by containment, acceptance, and kindness, in three main topics: the first: defining values, their components, and their connection to religion, then the philosophy of mercy in the Prophet's care for the nation and his upbringing of it, and the third: monitoring educational curricula and devising methods that He begged her to entrench mercy in the conscience of people, so his upbringing combined the mental, emotional and behavioral approach, including many methods, including: dialogue, an interesting story, education by example, and linking Knowledge of practical application, and the study resulted in several results, the most important of which are: the educational role of nature, in the upbringing of the Messenger, peace be upon him, and the importance of communicating with its scenes in raising the mind, sense, and emotions, and the danger of extravagance in dealing with virtual worlds, as a substitute for natural worlds, which causes imbalance Educationally and psychologically, and reduces the chances of intimacy, compassion and affection.

Keywords: biography of the Prophet, the Prophet, moral values, mercy, Islamic education.

مقدِّمة

إنَّ الرَّحمة هي القيمة التي شكَّلت منظومة القيم الإسلاميّة، التي تتَّصل بجذور عقدية أصيلة مرتبطة بحقيقة الكون والإيمان بالمكوّن[1].

وفي ظل الانفتاح على الثقافات المختلفة، والتَّطور التِّقنيّ والمعرفيّ، والانبهار بالحضارة المادية، والانجذاب نحو أضوائها وقيمها التي تغلب عليها قيم المادة وقسوتها، يندفع الإنسان نحو ضروراتها، ويتمثَّل غاياتها، ويعمل بدوافعها، ويعيش بروحها؛ فيتولد في النفس الحرص والأثرة، والشدة، والتنافس غير الشريف عليها، ويحدث الصدام ويحتدم الصراع، وتقل الرحمة والتراحم، وينزع الإنسان إلى الشراسة، والضراوة، والوحشية، وتقِلُّ روح الفضيلة والمسؤولية وينساق المجتمع باتجاه التفكك والاغتراب، ويسلك طريق الضعف، بدلاً من التَّراحم والتَّماسك والقوة، ومن هنا تبرز الحاجة الى دراسة القيم الدِّينيَّة والأخلاقيَّة، وأولها الرَّحمة؛ روح الشريعة الإسلاميَّة وغاية الرِّسالة المحمَّديَّة؛ لمواجهة تحديات العصر، خاصة عند المشتغلين بالمجال الدينيِ والتربويِّ؛ وللنُّهوض بالواجب الرِّساليِّ للأمة وهو الدعوة إلى دين الرحمة.

وبوسع الباحث المتأمِّل أن يستقي من السنة وينابيعها الغنية مناهج وأساليب وقيم تربوية، وسلوكية تتضح فيها مواضع عناية المربِّي ﷺ بغرس الرحمة في نفوس الناس، وترسيخها في وجدانهم، كما تتبيَّن منها خصائص تربيته ﷺ التي تصيغ المجتمع في تراحمه وترابطه في جسد واحد، مرتبط بخالق واحد هو الرحمن الرحيم.
فيدرس البحث سنة الرسولﷺ وأحاديثه التي دلَّت بشكل مباشر، أو ضمنيّ على الرحمة أخلاقاً وسلوكاً وتربية.

الإضافة العلمية للبحث:

لعل أهم ما يضيفه هذا البحث فلسفة هذه القيمة_الرحمة _ في عناية الرسولﷺ بالأمة و تربيته لها، واستنباط أساليب ترسيخها في وجدانهم وتثبيتها في نفوسهم من خلال ما أشارت إليه الدراسات التربوية الإسلامية من أساليب ومناهج وأسس تربوية؛ وذلك للاستفادة منها في الواقع الدينيّ، والتربويّ والثقافيّ المعاصر.

[1] محمد سعيد رمضان البوطي: منهج تربوي فريد في القرآن، دمشق، دار الفارابي، ط2، 2004،ص164.

إشكالية البحث

يجد المشتغلون والمهتمون بالمجال الدينيّ والتربويّ مشكلات تسرب القيم المادية إلى أبناء الأمة ومجتمعاتها ومؤسساتها، فلابد من البحث في القرآن والسنة عن المناهج التربوية الناجعة والكشف عن الأساليب والوسائل التي توسل بها المُربِّي الأول: الرسول ﷺ، في ترسيخ هذه القيمة، وغرسها في النفوس والأخلاق.

أسئلة البحث الرئيسة:

-ما الموضوعات التي كانت مجال عنايته الشريفة ﷺ، بغية تعليم التراحم وتعزيز الرحمة وترسيخها ؟

- ما المنهج الذي سلكه الرسولﷺ في تعزيز الرحمة؟ وما الأساليب التربوية التي اتبعها في تفاعله مع الأمة في المواقف المختلفة؟

الدِّراسات السَّابقة:

لم أجد _فيما اطلعت عليه_ بحوثاً في مناهج ترسيخ الرَّحمة خاصَّة، إنما توجد دراسات مشابهة تأتي علاقتها بالبحث من جانبين، الأول: تناول موضوع الرحمة خُلقاً من أخلاق الرسولﷺ وصفة من صفاته في جميع مواقفه؛ لتبرز شمولها وعمومها؛ من خلال كتب الحديث وشروحه فتختلف في الأهداف وإن تشابهت في مادة الدراسة، فلم تسلِّط الضوء على أساليب تربيته ومناهجها.

والثاني: الدراسات التربوية التي تهتم بتعزيز القيم، وكتب التربية الإسلامية عموماً، استفاد منها البحث مصادر رئيسة في جانت الأساليب والمناهج المستنبطة من الأحاديث.

منهج البحث:

تتطلب طبيعة موضوع البحث المنهج الوصفيَّ التحليليَّ، مع الاستعانة بالمنهج الاستنباطيِّ بدراسة الأحاديث النبوية، من جانب تحليل النَّص؛ للكشف عن المعرفة الدِّينيَّة والتَّربويَّة التي ينبِّه إليها؛ ليرسم منهجاً تربوياً من جانب، ويرسِّخ قيمةً فكريةً وأخلاقيةً وسلوكيةً من جانب آخر. فيتضح بمجموعها فلسفة خُلُق الرحمة في عناية الرسول بالأمة، وأساليب تربيته ودعوته لها.

وسوف يجيب البحث عن تساؤلاته في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والمعرفي للقيم.

المبحث الثاني: دوائر الرحمة وموضوعاتها في تربية الرسولﷺ.

المبحث الثالث: مناهج تربيته ﷺ.

ثم الخاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والمعرفي للقيم

تعريف القيم:

قيمة الشيء في اللغة قدره، والثمن الذي يعادله، ويقوم مقامه، وما له قيمة: أي ما له ثبات، والقيمة هي الخير والأهمية التي في الشيء، والقيم الفضائل الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني[1]، وهذا المعنى هو ما يدور عليه موضوع البحث ويتضمنه والإطار العام له.

أما في العلوم التربوية فتعني " مقاييس يحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والموضوعات، والمواقف الفردية والاجتماعية من حيث حسنها وقبحها والرغبة فيها، أو من حيث سوئها، وعدم قيمتها وكراهيتها"[2]، كما تُعرف بأنها أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية التي يتشرَّبها الإنسان، ويحكم بها، وتحدد مجالات تفكيره وسلوكه، وتؤثر في عمله وتعلمه[3]، وحسب هذا المعنى، فإن للقيم عموماً والرَّحمة خصوصاً حضوراً قويَّاً في تفاعل الرسولﷺ مع أمته تطفح بها أحاديثه، وهديه وتوجيهاته الكريمة وتنطوي عليها.

مكوِّنات القيم:

للقيم ثلاثة مكوِّنات رئيسة هي[4] :

-الأول: المكوِّن المعرفيّ، ويشمل المعلومات والمعارف النظرية.

-الثاني: المكوِّن الوجدانيّ، ويشمل الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الداخلية.

-الثالث: المكوِّن السلوكيّ، ويعني العمل بمقتضى هذه القيمة في مختلف الأوضاع وبصفة دائمة، فتظهر في السلوك تطبيقاً وعملاً.

ثم المكوِّن التعزيزيّ: وهي مرحلة يتم فيها تدعيم القيم وتقويتها؛ للوصول إلى مرحلة التَّمثُّل والثبات[5].

1 ينظر: معجم المعاني الجامع، موقع المعجم ، شبكة النت .

2 ينظر : نورهان منير حسين: القيم الاجتماعية والشباب، الإسكندرية ،دار الفتح للجليد الفني، 2008، ص32-33.

3 ينظر: رجاء بنت سيد علي بن صالح المحضار ،القيم الإسلامية وسبل تعزيزها –قيمة إتقان العمل أنموذجا، مجلة جامعة أسيوط، كلية الربية. 2017،المجلد 23، العدد 7،ص251.

4 ينظر:علي أحمد الجمل :القيم ومناهج التاريخ الإسلامي ، القاهرة ، عالم الكنب، ط1، 2002،ص23-24.

5 ينظر : مها بنت جريس الجريس: أساليب غرس و تعزيز القيم في حديث المستأذن، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية جامعة تعز،فرع التربية،المجلد 5، العدد 11، ص194.

- التعريف بالرحمة:

الرحمة لغة: " الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ، والمرْحَمَةُ مثله ...وتَراحَمَ القومُ: رَحِمَ بعضهم بعضاً [1]" وفي القرآن لها مدلولات متعددة منها: المغفرة، والرِّزْق، والحَياة والخصْب بعد المجاعة، قال الراغب: الرحمة منطوية على معنيين: الرقة والإحسان[2].

يتبين من ذلك أن المعنى اللغوي للفظ الرحمة ذو وجهين، الأول باطني وهو الشعور بالرأفة والرقة والعطف، والثاني ظاهري هو الخير والنعمة بكل صورهما، ونستنتج من كلام الراغب أنها وصف لفعل الإحسان سواء كان من الله -وهو أصل الإحسان- أو من العبد، وعليه فكل نعمة بعد منع ترجع للرحمة، وتوصف بالرحمة .

معنى الرحمة في تربية الرسول ﷺ

جاء تعريف الرحمة في تربية الرسولﷺ مرتبطاً بالواقع الاجتماعي والمعرفة الحسية بالأشياء بغية تشخيص المعنى وتوصيله بأدلِّ وسيلة وأوضحها، نلمح ذلك في بيانه معنى رحمته سبحانه التي لا يمكننا تصورها في حديث عمر بن الخطاب ﵁:" قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّار قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ : لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا"3، فجمع موقف المرأة بين الشعور الباطني بالرحمة: من العطف والحب والإشفاق والحنُّو في أعلى درجاته إذ عواطف الأم غريزية متصلة بالله سبحانه، والمظهر السلوكيّ المتمثل في الاحتضان والضم والاحتواء، والإرضاع والتغذية والحماية، فاختصر باستفهامه كل ما يمكن أن يقال لتوضيح معاني الرحمة.

---

1 ينظر ابن منظور: لسان العرب ، مادة ر ح م، 12/ 33.

2 ينظر: الراغب الأصفهاني : معجم مفردات القرآن ،تحق: يوسف الشيخ محمد البقاعي،بيروت ، دار الفكر، د.ط، 2010، ص145.

3 أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

-الرحمة وصلتها بالقيم الدينية والإنسانية الأخرى

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾1. فالرَّحمة سمة الدِّين وغاية الرسالة، فما من هداية تكوينية أو تشريعية، أو تربوية إلا صبَّت في وعاء الرحمة واللطف والعناية، فكل قيمة دينية خلقية أو سلوكية هي صورة من صور الرحمة، وتتضمن الإحسان بكل صوره ومعانيه، فالرحمة هي أصل القيم الدينية كلها؛ إذ كان قبلها الآصار والأغلال والتكاليف الشاقة قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾2

وأشد ما في شريعة التوراة من الإصر أنها لم تشرع فيها التوبة من الذنوب، ولا استتابة المجرم، والغُل إطار من حديد يجعل في رقبة الأسير والجاني، ويمسك بسلسلة من حديد بيد الموكل بحراسة الأسير، فاشتملت على عقوبات شديدة تتصف بالمشقة والقسوة3. فجاءت الرسالة المحمدية رحمة للعالمين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين﴾[4]، ناموس عمَّ المخلوقات والكائنات ونظام الحياة؛ لذلك نجده ﷺ يعلم أمته خلق الرحمة قائلاً: " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ "5.

في الحديث الحضُّ على استعمال الرحمة الشاملة لجميع أصناف الخلق، فيدخل المؤمن والكافر البر والفاجر، والبهائم والمملوك، و"يدخل في الرحمة: التعاهد بالإطعام والسقي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب"، ومن أهل السماء تعني الدعاء لهم بالرحمة والمغفرة6، فكل إحسان يقع من العبد أو له، هو صورة من صور الرحمة والتراحم.

1 سورة الأنبياء الآية (107).

2 سورة الأعراف : الآية(157).

3 ينظر: ابن عاشور: نفسير التحرير والتنوير، تونس ، دار سحنون، 4/ 136-137 بتصرف.

4 سورة الأنبياء: الآية (107).

5 أخرجه الترمذي في كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في رحمة الناس، 4/ 23، حديث حسن صحيح.

6 ينظر: المباركفوري (محمد بن عبد الرحمن): تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، القاهرة، دار الحديث،ط1، 1421-2001 م، 5 / 338-340.

المبحث الثاني: دوائر الرحمة وموضوعاتها في تربية الرسول ﷺ

إذا نظرنا في أحكام الشريعة وتعاليمها وجدنا أن الرحمة هي المادة التي نسجت منها أحكام الشريعة، والسلك الذي ينتظم قيمها وأخلاقها، وهي فلسفة الشريعة، والأخلاق التي تجعل الكون بما فيه سياقاً واحداً لخالق واحد1، هو أرحم الراحمين، يأمر بالرحمة والإحسان إلى كل شيء، إلى الناس جميعاً، وإلى المخلوقات والكائنات: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾2.

ويمكن وصف المواضع التي كانت مجال تربيته وتعليمه كما يلي:

-الرحمة طبيعة تفاعل الرسول ﷺ مع الناس ومع سائر المخلوقات

يقرّر القرآن أن الرحمة من مقومات الدعوة ولوازمها، وعدتها وعتادها﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾3، وقد بين الرسولﷺ للناس طبيعة الرحمة التي جعلت في رسالته، وصوَّر لهم حقيقة دعوته الرحيمة بالناس؛ ليدفعهم للانقياد والطاعة والاستجابة، وذلك في حديثه ﷺ :" إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِا"4 وفي الصلاة الصلاة التي هي عمود الدين وشعاره، روي عن أبي مسعود أنه:" قَالَ :قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلاَنٌ فِيهَا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ "5 ، تتجلى الرحمة في رعاية حاجات الضعيف، والعاجز عن متابعة الإمام في الإطالة بالوقوف، فالرحمة والتيسير من المكوّنات الأساسية لأيِّ حكم شرعي.

وتعامَل بإنسانية ورحمة حتى مع الأعداء، فقد كان يمنع التفريق في السبي بين الأم وولدها ويقول: " منْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ"6 ومعلوم عظم الرحمة والتجاذب بين الوالدة وولدها، والتوجيه التربوى القيمي في التفاف الحديث حول

---

1 ينظر: فاروق حمادة: مراعاة السياق وأثره في فهم السنة النبوية، المملكة المغربية، الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر ،ص 4-8.

2 سورة الأنعام: الآية (38).

3 سورة آل عمران: الآية (159).

4 أخرجه مسلم في كتاب الفضائل: باب شفقته على أمته ومبالغته في تحذيرعم مما يضرهم، 4/ 89

5 أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب من شكا إمامه إذا طوَّل، 1 / 142 .

6 أخرجه الترمذي في كتاب السير، باب: كراهة التفريق بين السبي، 3 / 186، حديث حسن غريب .

الرحمة في العلاقة الفطرية بين الأم وولدها تثبيتها وتعظيمها؛ وليشنّع القسوة؛ لأن السلوك القاسي على الطفل مخالف للفطرة السليمة أيضاً.

2- **الرحمة معيار لضبط السلوك وتقييم العمل**

جعل الرسول ﷺ الرحمة معياراً ينتظم السلوك، وضابطاً يحتكم إليه في جواز الفعل أو منعه مثاله: جواب الرسول ﷺ من سأله عن فعل معاقبة اليتيم وضربه، فكانت الرحمة معياراً وأصلاً يستند إليه الحكم، فعنْ جَابِرٍ قَالَ:" قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِمَّا أَضْرِبُ مِنْهُ يَتِيمِي؟ قَالَ" :مِمَّا كُنْتَ ضَارِبًا مِنْهُ وَلَدَكَ، غَيْرَ وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ، وَلَا مُتَأَثِّلٍ مِنْ مَالِهِ مَالًا"1.

وبيَّن حدِّ الرحمة فقال: "مما تضرب منه ولدك"، فكما يجمع بين الرحمة والضرب في عقوبة الأبناء، كذلك اليتامى مع أوصيائهم، فوضَّحت الرحمة القدر المسموح به، وتتعين التربية القيمية في المكون المعرفي أيضاً، بالأخذ بالقياس لإدراك الواجب في تأديب اليتيم كماً وكيفاً، ثم دعم الدافع الإيماني الذي كان وراء السؤال، وترسيخ قيمة "مخافة الله" في الجواب، ومراقبته عند المخالفة والتجاوز، ويتضمن توجهاً تربوياً في المعاملة بالرفق والرحمة عموماً؛ إذ الوصاية على اليتيم ورعايته مظهر من مظاهر الرحمة التي يتصف بها المجتمع المسلم.

و "عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ :احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ فَأَشْفَقْتُ إِنِ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ فَتَيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ» :يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟ «فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الِاغْتِسَالِ وَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ:﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾2 فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا "3

فدلَّ ذلك على الجواز، ونلحظ هنا أن عمرو بن العاص احتكم إلى أصل الرحمة، الوارد في الآية وأخذ به في سلوكه، وهو من الرحمة بالنفس والخوف عليها من الهلاك، والاستجابة بالضحك من الرسولﷺ عبَّرت عن ارتياحه وموافقته لفكرته ولسلوكه، وجاء عنه ﷺ في الإطالة بصلاة الجماعة أعظم شعائر الدين أنه قال": إِنِّي لَأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ

---

1 أخرجه ابن حبان في كتاب الرضاع ، باب النفقة، ذكر الأخبار عما يجب على والي اليتيم االتسوية بين من في حجره من الأيتام وبين ولده في النفقة عليهم، 55/3 .

2 سورة النساء: الآية (29).

3 أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم ، 1/ 92.

فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ"1 يبين الرسولﷺ أن تجويز إطالة صلاة الجماعة يرجع إلى أصل الرحمة، وأنها منهج يسري في كل الأعمال، وعن ابن عباس أَنّ الرسولﷺ قَالَ:" لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا "2 فمنع كل فعل يخلو من الرحمة مع ما فيه الروح.

وجاء النهي عن صور من المعاملة تخلو من الرحمة، تمثل أول درجات الخروج إلى الغلظة والقسوة، التي تقع أحيانا كثيرة بدون قصد، ولا انتباه، وذلك يتمثل في النهي عن بعض البيوع تنعقد على المجهول فتعرّض المشتري إلى الغَبن والحسرة والندم وخسارة المال، منها على سبيل المثال لا الحصر: بيع الثمار قبل بدو صلاحها، وقد تصوَّرت الرحمة التي تحمي جميع الأطراف من الخسارة والحسرة والتدم في الاستفهام الاستنكاري في قولهﷺ :" أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ، بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ "3 ؛ ليغلق باب الاختلاف والمشاحنة المتضمنة الغلظة وضراوة الأثرة بالخير والحرص على المصلحة الخاصة، فيمنع تسرب القسوة وقيمها إلى العلاقات الاجتماعية ويوقف شرها عن الأنفس، ويرسخ أصل التراحم في كيان المجتمع، وتعاملاته، ويرسم المنهج الذي يقييم التصرفات، ويحافظ على الرحمة، و التآلف، والتواصل الذي أساسه عدم التنازع والاختلاف ودوام التفاهم والتوافق، والتراضي، فالظلم عين الخروج عن منهج الرحمة.

3-الرحمة وسيلة إصلاح وتهذيب للمخطئين

جاء في حديث الرسول ﷺ " بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :مَهْ مَهْ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ «فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَه إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ"4.

1 أخرجه البختري في كتاب الآذان : باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس، 173/1.

2 أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ،باب النهي عن صبر البهائم، 49/3 .

3 أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب إذا باع الثمار قبل أن يبدو صلاحها ثم أصابه عاهة،3/ 73.

4 أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول والنجاسات وأن الأرض تطهر بالماء، 1/ 36 .

جاءت معالجة الرسولﷺ للخطأ في صورة من تقبل المخطئ، والتلطف في معاملته، وإصلاح خطئه بالترشيد وتنمية عقله بالمعارف الدينية الخاصة بطهارة المساجد، والواجب الأخلاقي تجاهها، ثم التطبيق العملي المباشر للتوجيه النبوي.

وإذا تتبعنا سيرة الرسولﷺ ومواقفه نجد أنه كان رؤوفًا رحيمًا بالمخطئين أيضاً، الذين جاءوا يعترفون بذنوبهم، فقد لا يستطيع أحدهم أن يرفع عن نفسه حرج الذنب، فيأتي لرسول الله ﷺ لعلَّه يرفع عنه ما أسرفه على نفسه، وسيرته مليئة بالشواهد الدالَّة على ذلك، منه ما جاء" عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ :بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ .قَالَ : مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لاَ، قَالَ» :فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَالَ :لاَ، فَقَالَ فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا قَالَ :لاَ، قَالَ :فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ؟ «فَقَالَ: أَنَا، قَالَ خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ،فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ» :أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ" 1

يتضح من الحديث احتواء الرسولﷺ للصحابي الذي أخطأ، وترفقه به، ولا نجد أي أثر للخشونة في مواجهة هذا الخطأ، ولا توبيخ أو تقريع على مخالفته، بل قابله بابتسامة تعيد له ثقته بنفسه؛ إذ إن ما حصل كان بسبب الضعف البشري، الذي لا يخلو منه بشر، فلم يزد عن إيضاح الكفارة له، ومراعاة رقة حاله وإعساره، فشكل الموقف درساً تربويّاً عماده وعدته والرفق والاحتواء واللين، وغرس الثقة بالنفس، في جوٍّ من الرحمة والتلطف والسماحة، والودِّ المتبادل.

4- الرحمة لها أثر على شخصية الفرد والمجتمع:

يتجلى ذلك في أحاديث كثيرة ومتنوعة تأمر بالرحمة بشكل مباشر، أو تنطوي على الرحمة وتفضي إلى التراحم، وتصور حالة من التماسك والترابط شديدة الوضوح والأهمية :قَالَ رَسُولُ

1 اخرجه البخاري في كتاب الصوم إذا جامع في رمضان ولم يكم له شيء فاصدق عليه فيكفر،3 /32.

الله ﷺ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"1

بيَّن الرسولﷺ مدى تماسك المجتمع وترابطه بشكل بلاغي تصويري بالتشبيه، وضرب المثل؛ ليوضح صفة هذا التراحم وضرورته، فهو تراحم وظيفي، وليس عاطفياً فقط، كما تتكامل أجهزة الجسم في وظائفها الطبيعة لتتم الحياة الصحية، فالتراحم يعني التعاون والتآزر وسد الخلة وقضاء الحاجات، بحيث يكون الكل مسؤولاً عن الكل ودّاً ومراعاة، وتعاوناً وألفة.

فعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:"مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا " 2 يضع النبي من خلال هذا الحديث مبادي المعاملة الاجتماعية، ومقوماتها الأخلاقية، فترتسم الشخصية التراحمية، المتمثلة في الأفعال المضارعة:(يرحم ،يوقر) التراحم فعل متجدد، مستمر مهما تغيرت الأمكنة، والظروف البيئات، وتصوِّر شخصية المجتمع في جو من التراحم، والتجاذب، والترابط بشكل يحافظ على بنية خاصة للمجتمع الإنساني المؤمن، وينفي انتماء كل من يخرج عن منهج الرفق والتواد .

5-**الرحمة سنة كونية:**

جاء هدي الرسولﷺ ليبين هذه السنة الكونية، في منهج واضح المعالم في أقواله وأفعاله وتوجيهاته، في الكائنات من الطير، والحيوان، أنه لا يجوز تعذيبه ولا تجويعه، أو تكليفه ما لا يطيق، ولا اتخاذها هدفاً يُرمى إليه، بل ونهى عن لعنها، وهو أمر لم ترق إليه البشرية في أي وقت من الأوقات، ولا حتى في عصرنا الحاضر، الذي كثرت فيه الكتابات عن الرفق بالحيوان

فعَنْ جَابِرٍ أن النبي ﷺ " مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ : لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ"3 وري عنه أنهﷺ " رَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: "مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ قُلْنَا: نَحْنُ، قَالَ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ"4 .

وقَالَ:" إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ "5 نلاحظ أسلوب القصر الذي يفيد المبالغة

1 أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، 399/4 .

2 أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب الرحمة، 4/ 86، حسن صحيح.

3 أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه،3/ 73.

4 أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار ،2/ 198، صحيح.

5 أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين، 9/ 133.

والمقابلة بين السماء والأرض، تعكس سعة مجال الرحمة المطلوبة وشمولها الزماني والمكاني

في أسلوب حجاجي يثبت رحمة السماء لأهل الرحمة في الأرض، أسلوب يجتمع فيه الضعيف والقوي على السواء، فلا غنى لأحد عنها مهما بدا قوياً، وأعظم سبيل إليها إشاعة الرحمة في أهل الأرض.

وحتى الجمادات أظهر الرسولﷺ اتصالاً بها، ورسم علاقة من المحبة والارتباط، والانجذاب نحوها، فعنهﷺ أنه قال عند رجوعه من غزوة تبوك للمدينة" إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ، فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ :هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ "1، يتجسد انفعاله، ومحبته في فعل الإسراع نحو المدينة شوقاً إليها، والتَّعبير السردي بالإشارة فيه لفتة تربوية ينمي عنصر التذوق الجمالي، ويعكس الرقة والرحمة والقرب النفسي من هذه الأمكنة، فإن هذا المدى بينه وبين المكان المشار إليه ليعكس العلاقة ويجسد الانشراح، وتبادل المحبة بينه وبين الجبل، والمخاطب والقارئ على الدوام2، فقد أراد الرسول أن يوصل للمخاطبين وللأمة حالة من النقاء والصفاء والإنسانية من خلال حبه لجبل أحد وللمدينة، وهو سلوك تربوي يغرس القيم، ويرشد السامع إلى أصل سلامة القلب ونقائه، التي تتولد منها بالفطرة الرحمة والرفق وتذوق الجمال، فالعلاقات النفسية منسوجة من الرحمة والمحبة في المنهج التربوي النبوي.

المبحث الثاني: مناهج تربيته ﷺ

المنهج لغة: الطريق الواضح، والمقصد هنا الطريق الذي سلكه الرسول ﷺ في تربيته للقيم والوسائل التي اتخذها في غرس الرحمة وتوطين التراحم في العلاقات، وتعزيزها في التعامل مع الناس، ومع المخلوقات والطبيعة عموما وعند التأمل يتبين عدة مناهج في تربيته ﷺ، كل منهج منها ينطوي على عدة أساليب ترسم معالمه وتوضح وسائله وآلياته، أولها:

- المنهج العقلي:

تتوسل تربية الرسولﷺ بالوسائل التي تنمي الاستعدادات والقدرات والملكات الذهنية بإثارتها وتزويدها بالمعارف النافعة في الدين والدنيا، والتفاعل مع الواقع المعيش، واتخاذه

1 أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب أحد يحبنا ونحبه، 4/ 10.

2 ينظر: محمد بن عادل السيد: الفضاء في الخطاب النبوي، تونس، الدار المتوسطية للنشر ، ط1، 2020، ص443 .

ساحة للتعليم والتوجيه، والتدريب، والتطبيق، بالتحفيز والدعم والإثارة الوجدانية1؛ لتعيد رسم ملامح الواقع بقيم جديدة، أولها الرحمة، وذلك بعدة وسائل أهمها:

- أسلوب الحوار بالسؤال:

يقصد الرسول ﷺ منه تصحيح الفكرة للناس، والتنبيه التربوي الذهني على القبح الذي فيها وهو أدعى إلى التنفير منها وتركها، والميل العاطفي والتداعي الوجداني نحو الحق والعدل والجمال، والاندفاع الذاتي نحو السلوك الصائب، فيحصل الإقناع بمنهج الرحمة، وخاصة في النشاطات التجارية، التي تُحشد فيها نوازع الأثرة والتنافس والحرص، بدون رأفة، فعنْ أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ"نَهَى عَنْ بَيْعِ الثِّمَارِ حَتَّى تُزْهِيَ، فَقِيلَ لَهُ :وَمَا تُزْهِي؟ قَالَ :حَتَّى تَحْمَرَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ، بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيه؟" 2

جاء هذا الحوار_توضيحاً للسائل_ وصف الحالة الممنوعة من بيع الثمرة؛ لتنمية المدارك العقلية بالبحث عن الحقيقة والنظر في العواقب والمآلات في أي معاملة، والاستفهام " بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ؟ " تقريريٌّ، يحرك العقل لإدراك فحش أكل مال الغير بالباطل، ويجعل السامع يقرُّ بقبح الظلم، وغلظة التعدي، وعدم لطف المعاملة، فتمَّ توظيف الحوار بالإثارة الذهنية والانفعالية، خاصة مع استعمال كلمة (أخيه) وما تحمله من شحنات عاطفية، من معاني الود والرحمة والشفقة والإيحاء بضرورة المراعاة، والحرص على عُرى الأخوة والمودة، ومن ثمَّ وجب إدخال هذه القيمة المعنوية الجمالية "الرحمة" في مقومات المعاملة الجائزة شرعاً، لتصبح ضمنياً من شروط الصحة، بشكل مقنع للعقل، رسم معالم الجمال في العدل والحق، ثم التنبيه على ضرورة مراعاة المسلم مال أخيه مثل ماله؛ حتى تقبل النفوس على تلقي الأمر بالاستجابة والتنفيذ وامتلاء النفس بالحقيقة، ومن ثم بالرحمة.

فبعض الحرص الطبيعي على المصلحة الخاصة قد يدفع بالأطراف إلى الخروج من الرحمة إلى الشدة والصرامة، فلابد من الرحمة وغرسها في النفوس، فكل محظورات البيوع جاءت لضمان علاقات الودِّ، ولا شك أن عدم التَّعدِّي مظهر من مظاهر التراحم.

---

1 ينظر: عبد الحميد الصيد الزنتاني، الدار العربية للكتاب،ط1، 1993، ص487.

2 أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب إذا باع الثمرة قبل أن يبدو صلاحها ثم أصابته عاهة، 3/ 77.

فالرسولﷺ يعلِّم الناس منهج التعامل، خاصة في القضايا الخطيرة التي تترتب عليها الفتنة والاختلافات1.

ومنه استثمار الرسولﷺ لموقف النصر والقوة أثناء فتح مكة، في توصيل رسالة الرحمة للناس فأثار الأذهان والوجدان بإقامة حوار بسيط مع معارضيه المهزومين فقد ورد في السِّير أنهﷺ عندما دخل مكة فاتحاً قال: منْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ .... ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ فَقَالَ " :مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ" ؟ قَالُوا :نَقُولُ: ابْنُ أَخٍ وَابْنُ عَمٍّ حَلِيمٌ رَحِيمٌ، وَقال، وقَالُوا ذَلِكَ ثَلَاثًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ} :ل"ا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" قَالَ :فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ "2

فإثارة الفكر بالسؤال تستدعي تصور حكم الغالب على المغلوب، المتمثِّل في كل ما يصدر عن الشدة والقسوة، يمر المخاطبون ساعتها بلحظة توجس وخوف، وتوقع لكل مكروه، أثار الرسولﷺ بفن التربية كل مشاعر الخوف والرهبة؛ ليقع العفو والمرحمة موقعاً في النفوس؛ فتزال الغشاوة عن الحق، ويقبل الجميع على الدِّين، فيتحقق غرض المربِّي من رسالته، ويستنفد كل وسائل الدعوة قبل العقوبة، إنه التطبيق الفعليّ لما يدعو إليه الداعية، الذي يفوق أثره كل الدروس والمواعظ، فدخل الناس أفواجاً في دين الله لا بفضل القوة بل الرفق، واللين، والمعاملة الرحيمة؟

-أسلوب تدُّبر القرآن ومعرفة هداياته:

بالرغم من أن الرحمة جانب نفسيّ وجدانيّ إلا أنها يرتبط تعلمها وغرسها بصحة الفكرة، والإقناع بها يسوق إلى المزيد من الرحمة، فتكون أكثر شمولاً وأكثر أخذاً بها، نجد ذلك في موافقة الرسول ﷺ لما استنبطه عمرو بن العاص من فهمه القرآن، فقد جاء في السنن أنه قال: " احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ فَأَشْفَقْتُ إِنِ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ فَتَيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ» :يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ

1 ينظر: كنوز رياض الصالحين، 4/ 50.

2 أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة،3/ 105، واللفظ للبيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب فتح مكة، 199/9 .

بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟ «فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الِاغْتِسَالِ وَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾1 فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا "2

أي إقراراً له: لفهمه ولفعله3؛ إذ ارتكاب ما يعرضنا للهلاك أمر منافٍ للرحمة التي هي الغاية من الدين، فاللجوء إلى التيمم، هو احتكام إلى أصل الرحمة، وجوب رحمة الإنسان بنفسه، الذي توصل إليه عمرو بن العاص من فهمه للآية ومقاصدها الدينية، وضحك الرسولﷺ يحمل ارتياح لفعل الصحابي وفيه إشارة تربوية بضرورة تنمية العقل والتبصر بمعاني كناب الله، كما يرسِّخ أسلوب الممارسة الفعلية في التربية " كالمبادأة و النشاط الذاتي، وتمكين المتعلم من استعمال قدراته العقلية في الفهم والاستيعاب بواسطة التجربة الشخصية؛ لاكتساب المعارف والمهارات مع مساعدته وإرشاده4 .

ثانيًا: المنهج العاطفي الوجداني:

يحرص الرسولﷺ في تربيته على " تكوين الإنسان الرقيق الشعور، المرهف الحس غير الجافي وغليظ الطبع، المتذوق للقيم الجمالية الرفيعة، والحريص على تنميتها وصقلها وتهذيبها باستمرار"5، وعند التأمل في أحاديث الرسول نتبين أن المنهج العاطفي والوجداني تنتظم منه عدة أساليب وسائل أهمها:

-أسلوب السرد القصصيّ التشويقيَ:

يعمد الخطاب النَّبويُّ إلى تحويل التوجيه والتعليم إلى صورة فنية مشوِّقة؛ لما يتوفر في القصة من عناصر التربية؛ إذ تحمل المتلقي على المشاركة الوجدانية، والانفعال بالأحداث، ومعايشة المواقف المؤثرة في أعماق النفس، والقصة من أنجع الأساليب التربوية؛ لما تتمتع به من قوة " التصوير فيها "وتهيئة اللحظة الحاسمة التي تبلغ فيها حرارة الانفعال النفسي درجة

---

1 سورة النساء : الآية (29).

2 سبق تخريجه.

3 ينظر: علوي بن عبد القادر السقاف: موقع الدرر السنية، شبكة النت .

4 ينظر عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص216-217، بتصرف.

5 ينظر: عبد الحميد الصد الزنتاني: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، الدار العربية للكتاب، ط1، 1993،ص547-548.

الانصهار يحصل التأثير بالتوجيه التربوي مالا يحصل عند إقحام ذلك التوجيه على النفس وهي في راحتها واسترخائها"1.

ومن خلال طبيعة القصة المكونة من زمان، ومكان، وشخصيات؛ فإنها تعمل بانسجامها في السرد على تقوية عنصر التذوق والإحساس الجمالي والتشويق والاستجابة الفنية 2؛ لتحقيق غرضها التربوي، فقد كانت القصة من الأهمية بمكان في الخطاب التربوي النبوي عموماً، وفي المقصد الأخلاقي والإنساني خاصة، ولعل مقصد التراحم والتلطف أبرزها.

وذلك بالإثارة الوجدانية، بالقصة، مثاله حديث الرسولﷺ: " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صﷺ قَالَ:بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"3

وظَّف الرسول ﷺ القصة التي قامت بدورها على توظيف المُدرك الحسيِّ "العطش" الجامع بين الإنسان وغيره من المخلوقات في إثارة كوامن الرحمة، وإشاعتها على كل ما حولنا، وقد تضافرت عناصر التأثير في إيراد الحوار الداخليِّ للشخصية القصصية، الذي بيَّن فيه الفكرة التي أثارت مشاعره، ودفعته إلى سقي الكلب، بدأ بإدراك الحقيقة التي أثارت شفقته، فمعرفة الحقيقة من أهم ما يثير كوامن الرحمة، مما دفع الرجل بسرعة إلى تجسيد مشاعره في عمل: هو سرعة الإحسان إلى هذا الحيوان، أفادت (الفاء) شدة اللهفة و سرعة التنفيذ4 "؛ فقال الرجل ....فنزل البئر فملأ ماء.. " فعمل السرد على تجسيد ذهنية الشخصية، والإفصاح عن مشاعرها وانفعالاتها ودوافعها وتقديمها للمخاطب بأوضح صورة؛ ولأنَّ الخطاب يتغيّا إحياء" جذوة الرحمة في قلوب الناس تجاه مخلوقات الله ﷻ "5 اتخذ من القصة وسيلة لغرس قيم الرحمة، وإمعاناً في التركيز على المقصد التربوي" لم يحدد اسم الرجل ولا مكانه ولا

---

1 ينظر: محمد بن عادل السيد: الفضاء في الخطاب النبوي،،ص 216.

2 ينظر: سهام سديرة، بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري، قسنطينة قسم اللغة العربية وآدابها ، ص100.

3 أخرجه مسلم في كتاب السلام ، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها،4 / 61.

4 ينظر :محمد بن عادل السيد: الفضاء في الخطاب النبوي،ص220.

5 المصدر نفسه: ص 221.

زمانه؛ لأنَّ العبرة بالدرس المستفاد من هذه القصة هو ترسيخ جانب الرحمة والعطف على الحيوان"1 ، وبلغ السرد الذروة في التأثير، وحقق الغاية منه فاتجه سؤال المتلقي إلى المقصد الديني بدلاً من تفاصيل القصة، وكشف الجواب عن المقصد الأصلي في تقرير مؤثر هو: وجوب الرِّفق والرحمة في معاملة كل الحيوانات، والمخلوقات في قالب ترغيبيّ، يعيد تشكيل النفس، ويرقِّق مشاعرها ويحرك عواطفها تجاه احترام المخلوقات والرِّفق بها، فالسَّرد القصصي أنجع وسيلة لغرس الرحمة في نفوس الناس على اختلاف بيئاتهم، وأزمانهم.

- أسلوب التصوير الحسي:

إن فضاء الفكرة عن المجتمع في خطاب الرسولﷺ لا ينفك عن الترابط والتماسك والتجاذب الذي يقوم على مبدأ التراحم الذي جاء في خطابه التربويﷺ طافحاً بالصور الحسية " التي ترجع أحياناً إلى تجسيد قضايا معنوية، وتحويلِها إلى صور حسيّة حيّة، ومتحرّكة، وكلّ ذلك من أجل تقريب الصورة أكثر إلى الذهن وجعلها أبلغ تأثيراً في الوجدان"2؛ إذ يخاطب أمة عاشت منتشرة في صحراء مترامية الأطراف، والتراحم والترابط والألفة في تربية الرسولﷺ، يمثل نقلة حضارية في حياة العربي ابن الصحراء، التي تعكس صفات الغلظة والبعد والجفاف، على أبنائها3، ولعل التراحم عكس طبيعة الحياة الصحراوية التي تثير في النفس نوازع الانفراد بالخير بشكل يُضعِف الرحمة ويجففها؛ فكان التشبيه والتصوير الحسيُّ المؤثر من أهم وسائله التربوية في إثارة الرحمة وغرسها في النفوس.

من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"4 يبيّن الرَّسول هنا أن علاقة التراحم ينافيها الحقد، وتقتضي التوادد والتناصر، والأخوَّة وقيام الألفة والمحبة فيما بينهم، فهم من شدة تماسكهم كالبنيان المرصوص الذي لا يقوى على البقاء إلا إذا تماسكت أجزاؤه لبنة لبنة، فإذا تفككت سقط وأنهار5، وشبَّك النبيﷺ النبيﷺ بين أصابعه إشارة إلى مدى تعاضد المؤمنين فيما بينهم، فكما أن أصابع اليدين

---

1 ينظر: حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمار ،الرياض، كنوز رياض الصالحين،ط1430،1-2009، 85/3.

2 ينظر :إدريس أوهنا: أسلوب الحوار في القرآن الكريم ،المملكة المغربية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،1436هـ-2005، ص143.

3 ينظر : عبد الله الرازقي: انعكاس الطبيعة الصحراوية على حياة الإنسان الجاهلي من الناحية الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية . العدد(4) المجلد الأول، المغرب . جامعة ابن طفيل، 2020، ص 453

4 أخرجه البخاري :كتاب المظالم والغضب، باب نصر المظلوم ، 129/3.

5 ينظر :علوي عبد القادر السقاف : موقع الدرر السنية ، شبكة العلومات .

متعددة؛ وترجع إلى أصل واحد، ورجُلٍ واحد، فكذلك المؤمنون، وإن تعددت أشخاصهم، فهم يرجعون إلى أصل واحد وجسم واحد، وتجمعهم أخوة الإيمان، وبهذه الإشارة التَّصويرية يزداد المعنى بياناً وظهوراً وتقريراً في نفوس المتلقين ورسوخاً في وجدانهم.

وبالتصوير الإشاري، الذي يجمع الداعي فيه بين صوت المعنى وصورنه تأتي السيطرة على طريقة البيان والقول، والحركة الدالة على قدر أفهام السامعين والمتعلمين وحاجتهم إلى البيان والتوصيل بأوضح الوسائط1، واختيار الأسلوب المناسب للجميع على اختلاف بيئاتهم، وثقافاتهم وأزمانهم، من أصعب شروط الأسلوب التربوي المراد سلوكه مع الجماعات.

- أسلوب التَّرهيب والتَّرغيب

يعد هذا الأسلوب من أبعد الأساليب أثراً؛ إذ في حال وضوح المرغّبات والمرهّبات تحفّز النفس بفاعلية على الإقبال على ما يسرُّها، وتجنب ما يُشقيها ويعذّبها2.

وقد شدَّد النبيﷺ المؤاخذة على من تقسو قلوبهم حتى على الحيوان، ويستهينون بآلامه، وبيَّن أن الإنسان على عِظم قدره وتكريمه على المخلوقات، فإنه يدخل النار في إساءة يرتكبها مع الحيوان قال ﷺ " عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ "3 وفي المقابل دخلت الجنة امرأة بغي في كلب سقته، فشكر الله تعالى لها فغفر لها -حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ :أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ النَّبِيّﷺ "بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ"4، وقَالَ ﷺ:" منْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ" 5، والعمل على هذا عند أهل العلم؛ فقد كرهوا التَّفْرِيقَ بَيْنَ السَّبْيِ بَيْنَ الوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا، وَبَيْنَ الوَلَدِ وَالوَالِدِ، وَبَيْنَ الإِخْوَةِ 6، وقد أرشد النبي ﷺ إلى أن من

---

1 ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، منهج تربوي فريد في القرآن، ص176.

2 ينظر: عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص223 .

3 أخرجه البخاري في كتاب المساقاة ،بلب فضل سقي الماء، 112/3 .

4 أخرجه البخاري في كناب حديث الأنبياء، باب حديث الغار،173،4.

5 أخرجه الترمذي : سنن الترمذي ،أبواب السير ،باب في كراهة التفريق بين السبي،134/4، حديث حسن عريب.

6 المصدر نفسه الصفحة نفسها، بتصرف.

ضرب عبده أو لطمه فإن كفَّارة ذلك أن يعتقه؛ لأنَّ الحسنات يذهبن السيئات[1]، فالتَّرهيب والتَّرغيب من أعظم المحفِّزات والدَّاعمات التي تعمل على تعزيز خلق الرحمة، واستمرار العمل بها.

-المنهج السلوكي:

يعتمد على التطبيق العملي، والممارسة الفعلية للمعاملة بالرفق والرحمة واللين والتخلق بها، وعند التأمل يتبين لنا عدة أساليب في منهج الرسولﷺ وتربيته وتعزيزه لقيم الرحمة أهمها:

-أسلوب القدوة:

من الوسائل التربوية المؤثرة اتخاذ القدوة، فالنفس تتأثر بمن تراه نموذجاً للكمال؛ إذ يحرِّك نوازع الفطرة ويوقظ مشاعرها، فتنزع للتقليد والمحاكاة بالإمالة والإيحاء2، ومن كمال تربيتهﷺ أنه صحَّ عنه أنه: " كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِأَبِي العَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا" 3

ويكتنف هذا المشهد من الرحمة والإنسانية والرقة والرفق في المعاملة ما لا مزيد عليه، سنةٌ جمع فيها الرسول ﷺ بين فرض الصلاة وواجب حمل الجارية والرحمة بها، وفي ذلك دلالات كثيرة بالغة الأهمية، منها أن الصلاة عمود الدين في جانب العبادة، والرحمة عمود الدين في جانب الأخلاق و السلوك، ولهذا المشهد تأثيره الخاص على نفوس الناس المأمومين، ومخاطبة بالقدوة للناس جميعاً في كل أزمنتهم وبيئاتهم بوجوب الرحمة والرفق، وروي" عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا" 4

---

1 ينظر ابن العثيمين(محمد بن محمد بن صالح): شرح رياض الصالحين، الرياض، مكتبة دار الوطن/ ط1، 1436، 96/6.

2 ينظر: عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص203.

3 أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، 159/1.

4 أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب وضع الصبي على الفخذ، 8/8 .

-أسلوب الربط بين الموقف وتنفيذ التوجيهات خلاله:

التطبيق العملي للتوجيهات له أثرة في الرجوع عن المألوفات التي تحمل طابع القسوة والغلظة والشراسة، فيأتي التخلص منها تدريجياً، ومن ثمَّ الاتصاف بالرفق والرحمة، جاء " عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ :كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ، فَجَعَلَتْ تُفَرِّشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا"1

فالاستفهام دالٌّ على استنكار الرسول لهذا السلوك المتصف بالقسوة والمعاملة الشديدة، ويوحي بوحشية هذا الفعل، وتأثيم فاعله، ويُحرِّم الإساءة إلى الطير، ويُحرِّم أذى صغار الطير عموماً وتنبيه تربوي هو التطبيق العملي للمعرفة، وربط العلم بالحياة العملية الواقعية؛ لتطهير النفس من الغلظة والخشونة، والتخلص من شراسة الطبع، والأخذ بالرفق، وغرس الرقة، والرهف، والحديث يمثل ميثاق الرفق بالمخلوقات.

-أسلوب ترقيق القلوب بالعطاء:

يثير أسلوب التَّحبُّب والتَّودُّد شجون النفس البشرية، ويزعها وازع الخير من اللطف والدماثة، فقد جُبلت القلوب على حُبِّ من أحسن إليها، فالتأليف بالعطاء يتغلغل في أغوار النفس2، ويعطي الحياة معنىً آخر لم يسبق لها أن عرفته، والحرص والشح من أسباب القسوة والغلظة، والبذل تغيير لطبع الضراوة وتخلص من نوازع الانفراد بالخير، وترويض للنفس على التواد والتراحم، "عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ كانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا "3، أي يعطي الذي يهدي له بذلها4؛ لذا جاء التوجيه النبوي "تَهَادُوا تَحَابُّوا5 ، فالهدية من وسائل استمالة القلوب، وترقيقها، وسريان الرحمة والمودة في أعماقها، وطبعها بطابع الخير والذوق الجميل.

---

1 أخرجه أبو داود في أبواب التوم، باب قتل الذر، 4/ 368، صحيح، ذكره المنذري في مختصره لسنن أبي داود.

2 ينظر: عبد الرب بن نواب بن غريب الدين آل نواب: أساليب دعوة العصاة، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة السادسة والثلاثون، العدد (123)، ص100.

3 أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب المكافأة في الهبة، 3/ 157 .

4 ينظر: المباركفوري: تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، 367/5.

5 أخرجه البيهقي في كتاب الهبات، باب التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس، 6 / 80.

الخاتمة

لقد جاءت تربيته ﷺ منسجمة مع مكوِّنات الإنسان، متوافقة مع طبيعته وفطرته تعتني بعقله وقلبه وسلوكه، وقد أسفرت الدراسة عن النتائج التالية :

أولاً: تمثَّلت عناية الرسولﷺ بالأمة وتربيته في جوانب تُعنى بتعزيز الرحمة وغرسها وإشاعتها منها:

-الرَّحمة هي طبيعة لتفاعل الرسول مع الناس وسائر المخلوقات.

- معيار لضبط السلوك وتقييمه.

-الرحمة لها أثرها على شخصية الفرد والمجتمع.

-وسيلة لإصلاح المخطئين وتهذيبهم.

ثانيًا-سلكت تربيته ﷺ مناهج متنوعة وتوسلت بوسائل كثيرة، وأخذت بأساليب متعددة فقدمت للإنسانية مجالاً تربوياً غنيّاً، ومن أهم تلك الأساليب :

- الحوار باستخدام السؤال لتنمية المدارك العقلية، وتحقيق الإقناع والتأثير.
- التبصر بهدايات القرآن، وتدبر آياته، وإدراك مقاصده .
- السرد القصصي أبلغ تأثيراً، وأقوى تمثيلاً في الإحساس.
- التصوير الحسي أكثر عملاً على الغرس والتثبيت لمعاني الرحمة.
- الترهيب والترغيب من أنجع وسائل التحفيز، والاستمرار على العمل بمقتضى التراحم.
- القدوة هي أكثر سبل الدفع إلى المحاكاة والتقليد والتعود بالرفق والمرحمة.

_ ربط الموقف بالتطبيق العملي للتوجيهات، وهو يُعنى بالتأكيد والتوصيل، ويحثُّ على التطبيق.

- ترقيق القلوب بالعطاء، ويعمل على عنصر المبادرة بالتراحم والود الذي يُجلِّي الرؤية ويكسب النفس معاني جديدة، ويلُّون الحياة بألوان جميلة، تغلب قيم الروح على قيم المادة.

ثالثًا: ربط العلم بالتطبيق وبالحياة العملية من أعظم وسائل غرس القيم، و تحقيق المقاصد التربوية والتعليمية، والتحبيب في العلم.

رابعا: الدور التربوي للطبيعة، في تربية الرسول ﷺ، وأهمية التواصل مع مشاهدها في تربية العقل، الحس، العواطف، وترقيق المشاعر والوجدان، في تربيته ﷺ وخطورة الإسراف في التعامل مع العوالم الافتراضية، بديلاً من العوالم الطبيعية، الأمر الذي يسبب خللاً تربوياً ونفسياً يسبب التفكك والاغتراب، ويقُلِّل فرص الألفة و التراحم والتواد.

توصيات البحث:

-يوصي البحث بالعمل على الأخذ بمناهج تربية الرسول ﷺ في مناهجنا التربوية في المدارس والجامعات، وتنزيلها مادة مستقلة عامة لجميع الأقسام الجامعية، ومادة تخصصية في أقسام علم النفس والدراسات الإسلامية وكليات العلوم الشرعية .

-الأخذ بأسلوب التطبيق العملي في تربية تلاميذ المدارس من خلال توفير أكبر قدر من مظاهر الطبيعة وكائناتها لتربية عنصر الرحمة، وعنصر التذوق الجمالي، داخل أفنية المدارس؛ لتهذيب المشاعر، وغرس الرقة والرهف خاصة في ظل التطور التكنولوجي الذي يغذي القيم المادية للحياة على حساب القيم الروحية، وتنويع الوسائل التربوية للطلاب، مثل ترتيب الرحلات التربوية للطلاب لمشاهدة الحياة الطبيعية، وممارسة أخلاق اللطف والرحمة واحترام المخلوقات جميعها.

المصادر والمراجع:

-**القرآن الكريم** برواية حفص.

-الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ التميمي أبو حاتم الدارمي) تحق : شعيب الأرنؤوط، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،ط1، 1408-1988

-أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية: عبد الحميد الصيد الزنتاني، دت، دط .

-أسلوب الحوار في القرآن الكريم: إدريس أوهنا، المملكة المغربية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،1436هـ-2005.

-تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: المباركفوري (محمد بن عبد الرحمن)،القاهرة ، دار الحديث،ط1، 1421-2001 م.

- تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، تونس ، دار سحنون/ دط .

- الجامع الكبير– سنن الترمذي:(محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك الترمذي) تحق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1996.

-سنن أبي داود: أبوداود(سليمان بن الأشعت بن إسحاق بن بشير السجستاني) ،تحق :محمد محي الدين علد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية،دط ،دت)

-السنن الكبرى: البيهقي (أحمد بن الحسين بت علي بن موسى الخرساني)،تحق : حميد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط3، 1424هـ، 2003.

- شرح رياض الصالحين: ابن العثيمين(محمد بن محمد بن صالح)، الرياض ، مكتبة دار الوطن/ ط1، 1436 .

-صحيح البخاري: البخاري (محمد بن اسماعيل البخاري) نحق : محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1 ، 1422.

- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج(أبو الحسن القشيري النيسابوري) ،تحق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

-الفضاء في الخطاب النبوي: محمد بن عادل السيد، تونس، الدار المتوسطية للنشر ، ط1 ، 2020.

-فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة : عبد الحميد الصيد الزنتاني، الدار العربية للكتاب،ط1، 1993.

-القيم الاجتماعية والشباب: نورهان منير حسين، الإسكندرية ،دار الفتح للجليد الفني، 2008 .

-القيم ومناهج التاريخ الإسلامي: علي أحمد الجمل، القاهرة ، عالم الكنب، ط1، 2002.

- كنوز رياض الصالحين: حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمار، الرياض،ط1 ،1430-2009.
-لسان العرب: ينظر ابن منظور(محمد بن مكرم به علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري) دار صادر، بيروت،ط3، 1414.
-مراعاة السياق وأثره في فهم السنة النبوية: فاروق حمادة ، المملكة المغربية، الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر.
-معجم مفردات القرآن: الراغب الأصفهاني، تحق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر، د.ط، 2010.
-منهج تربوي فريد في القرآن: محمد سعيد رمضان البوطي، دمشق، دار الفارابي، ط2، 2004.
- النكت والعيون:الماوردي (أبو الحسن على بن محمد البصري البغدادي) تحق : السيد بن عبد المقصود، بيروت، دار الكتب العلمية ،د ت، د ط .

-الرسائل الجامعية:

-بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف: سهام سديرة، ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري، قسنطينة قسم اللغة العربية وآدابها .

المجلات العلمية:

-أساليب دعوة العصاة: عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة السادسة والثلاثون، العدد (123)
- أساليب غرس وتعزيز القيم في حديث المستأذن: مها بنت جريس الجريس ، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية جامعة تعز،فرع التربية،المجلد 5، العدد(11)
-انعكاس الطبيعة الصحراوية على حياة الإنسان الجاهلي من الناحية الاجتماعية: عبد الله الرازقي، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية . العدد(4) المجلد الأول، المغرب . جامعة ابن طفيل، 2020.
- القيم الإسلامية وسبل تعزيزها –قيمة إتقان العمل أنموذجا، رجاء بنت سيد علي بن صالح المحضار، مجلة جامعة أسيوط، كلية الربية. 2017،المجلد 23، العدد(7)

-شبكة الإنترنت:

- الدرر السنية: إشراف علوي عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية.

- معجم المعاني الجامع، موقع المعجم.

نظريَّة عمارة الأرض في الإسلام.

The theory of land reconstruction in Islam.

اسم ولقب المؤلف: د. مفتاح فرج عبد السميع بو الحمزيَّة

الدرجة العلمية والوظيفة: أستاذ مشارك بقسم الدِّراسات الإسلاميَّة، كلِّية الآداب، جامعة عمر المختار.

البريد الإلكتروني: moftah.alhmzia@omu.edu.ly

الملخص :

إنَّ علم النَّظريات الفقهيَّة أضحى من العلوم الشرعيَّة التي اتجهت إليها همم الباحثين؛ لما وجدوا فيه من نُظُم ومبادئ كانت منتشرة بين النُّصوص القرآنيَّة، والأحاديث النبويّة، فجمعوا النَّظير إلى نظيره، واستخرجوا تلك النصوص التي تتحدَّث عن موضوع واحد، وأمعنوا فيها النَّظر، فخرجوا بنظريات متكاملة الأركان والشروط، تُيسِّر على الناس أمر معاشهم، وتعينهم على تطبيق شرع ربهم.

وإعمار الأرض من ضمن المواضيع التي تناولتها النصوص في مواضع متعددة، تارة بالمدح والحثِّ عليها، وتارة بالذمّ والنَّهي عنها، وفي كل ذلك تذكر شروط الأول وضوابطه، وأسباب الثاني والآثار المترتبة على كل منهما، فحاولت من خلال هذا البحث أن أجمع تلك النصوص مبيِّناً نواحي هذه النظرية من خلال مقدِّمة وأربعة مطالب وخاتمة، كان المطلب الأول عن عمارة الأرض بين الإنسان والكائنات الأخرى، بينما تحدَّث المطلب الثاني عن شروط إعمار الأرض، وكان الحديث في المطلب الثالث عن عقوبة الإفساد في الأرض، وأخيراً آثار إعمار الأرض في المطلب الرابع.

الكلمات المفتاحية: الحضارة الإسلامية، العمارة الإسلامية، بناء المدن، فقه البنيان.

Abstract:

The science of jurisprudential theories has become one of the legal sciences to which the researchers tended, because of the systems and principles they found in it that were spread among the Qur'anic texts and the hadiths of the Prophet, so they gathered the analogy to its counterpart, and extracted those texts that talk about one subject, and examined them carefully, so they came out with integrated theories of elements and conditions It facilitates people's livelihood and helps them implement the law of their Lord.

And the reconstruction of the earth is among the topics dealt with by the texts in various places, sometimes by praising and urging them, and sometimes by slandering and forbidding them, and in all of that mentioning the conditions and controls of the first, and the reasons for the second, and the effects of each of them, so I tried through this research to collect these texts, indicating aspects This theory is through an introduction, four demands, and a conclusion. The first requirement was about the construction of the land between man and other beings, while the second requirement talked about the conditions for the reconstruction of the land, and the discussion in the third was about the punishment of corruption in the land, and finally the effects of the reconstruction of the land in the fourth requirement.

Keywords: Islamic civilization, Islamic architecture, building cities, jurisprudence of structures.

مقدّمة

الحمد لله الَّذي ابتدأ الإنسان بنعمته، وصوَّره في الأرحام بحكمته، وأبرزه إلى رفقه وما يسَّره له من رزقه، وعلّمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً، ونبّه بآثار صنعته، وأعذر إليه على ألسنة المرسلين الخيرة من خلقه، فهدى من وفقه بفضله، وأضل من خذله بعدله، ويسّر المؤمنين لليسرى، وشرح صدورهم للذكرى، ليس لأَوَّلِيَّتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخِرِيَّتِهِ انقضَاءٌ، لا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الواصفون، ولاَ يُحيطُ بأمرِهِ المُتَفَكِّرونَ، يَعتَبِرُ المتفَكِّرونَ بآياته، ولا يَتَفكَّرونَ في مَاهِيَةِ ذاتِه، ولا يُحيطون بشيءٍ من عِلمه إلاَّ بِما شاء وَسِعَ كرْسِيُّه السَّموات والأرض، ولا يؤُودُه حفظُهما وهو العليُّ العَظيمُ. العالِمُ الخبيرُ، المُدَبِّرُ القَدِيرُ، السَّمِيعُ البصيرُ، العَلِيُّ الكَبيرُ[1].

خلق كل شيء فأحسن خلقه، وهداه إلى ما فيه صلاحه ورفده، وبعث إلى الناس أشرف خلقه، ليبيّنوا لهم الطريق، وليخرجوهم من الظلمات إلى النور، وهم في الوقت نفسه حجة عليهم، فقد قال عز من قائل : {رُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً (164) رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (165)} النساء: 164-165.

صلى الله عليهم أجمعين، وختمهم بأفضلهم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار، فهدى به من الضلالة، وعلّم به من الجهالة، وبصّر به من العمى، وأرشد به من الغي والارتياب، ففتح برسالته أعيناً عمياً، وآذاناً صمَّاً، وقلوباً غلفاً، فاستنارت لها الطرق، وانفتحت الأبواب، فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، ففتح القلوب بالإيمان والقرآن.

وكانت معجزته العظمى، وآية نبوته الكبرى، ما حباه به خالقه من تنزُّل هذا الكتاب العظيم على قلبه ليكون من الموقنين، بشيراً ونذيراً، وهادياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، أخرص ألسنة البلغاء، وحيّر عقول الحكماء، وتحداهم بأفصح مقال، فعجزوا عن مجاراته بآية واحدة، فضلاً عن أن يأتوا له بمثال.

وقد حوت هذه الآيات العجيبة أنظمة وبرامج متناسقة، متكاملة، لا تناقض فيها، ولا نقص، تنظم حياة الناس في جميع مناحيها.

والعجب الذي لا ينقطع أنه لم يأت على عادة الناس في التصنيف والتأليف؛ بأن يجعل لكل نظام باباً خاصاً، ويفرد العقيدة بقسم مستقل، ويتناول القصص في قسم آخر، ويضع الأحكام

1 - ينظر: مقدمة الرسالة، ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، ص5-6.

الشرعية بمنأى عن كل ذلك، لم يفعل القرآن كل ذلك! بل مزج بين تلك المعاني، ووضعها في قالب واحد متناسق، لا تكاد تميّز بينها، يذكر في ثنايا القصص أحكاما شرعية، ومواعظ وسلوكيات، ويدحض في الوقت نفسه تلك الشُبَه والضلالات التي علقت بالعقيدة، ويلمح إلى أساسيات وقواعد أنظمة حياة الناس وشروطها في مواضع متعددة، لكي يستحث العقول على التفكر، ويشحذ الهمم إلى استخراج تلك الكنوز، فيجمعون ما تناثر منها في أثناء هذا الكتاب العظيم، فيقفوا أمام بناء شامخ سامق، لا عوج فيه ولا خلل، ولا تناقض بين أجزائه، ولا نقص، وكل هذه الأنظمة والنظريات، والأحكام والقصص، والحكم والمواعظ مما حواه هذا الكتاب العظيم تشكل معًا فسيفساء رائعة، وبهجة للعين والفكر، ومتعة ولذة للقلب، فهو كما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ألا إنها ستكون فتنةٌ)، قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَدا} الجن: 1-2، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعي إليه هُدِي إلى صراطٍ مستقيم)[1].

وقد حاول كثير من العلماء سبر غور كتاب الله، هذا البحر الكبير، والمصدر الثري، كلٌّ في مجاله، وما وصل إليه علمه، فأخرجوا لنا بعض تلك اللآلئ الحسان، التي تفوق في حسنها وبهائها الياقوت والمرجان، فجمع لنا علماء الأصول نظريات فقهية عظيمة، متكاملة الأركان، ومتناسقة البنيان، بشروطها وضوابطها، من خلال آيات القرآن العظيم، كنظرية الحق، ونظرية المؤيدات الشرعية، ونظرية الأهلية والولاية، ونظرية العرف، وغيرها.

وهذا في الحقيقة كان دافعاً لي على مجارات هؤلاء العلماء، والسَّير على منوالهم مع قلة الزَّاد وضعف الراحلة، ولكن إسهاماً في هذا الباب من باب جهد المُقِل، وكما قالوا: من سار على الدَّرب وصل.

---

1 - سنن الترمذي، محمد بن عيسى، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395 هـ- 1975م ، رقم الحديث 2906، 172/5.

فنظرت – بنظري القاصر-إلى آيات الذكر الحكيم، وهي تتحدَّث عن إعمار الأرض، وتسرد علينا أحوال الأمم السابقة، وتعاملهم مع ما سخره الله لهم في هذه الحياة الدنيا، فتارة تمدح فعلهم وتارة تذُّمه، وفي أحيان أخرى تشير إلى أنه أمر جِبلِّيٌّ فطريٌّ تشترك فيه كل الكائنات، والدوّاب.

فتيقنت أن مجمل تلك الآيات تشير إلى نظام متكامل في قضية إعمار الأرض، فقرَّرت دراسة هذه القضية، وبيان حدودها، وما يتعلق بها، في بحث وسمته بـ (**نظرية عمارة الأرض في الإسلام**).

وقد انتهجت في ذلك المنهج الاستقرائي بجمع كل الآيات التي تناولت إعمار الأرض، وتسخيرها، والاستفادة من خيراتها، ثم قمت بفرزها والترجيح بينها وفق ما يخدم هذه النظرية، ويضبط مفاهيمها، وأركانها وضوابطها، وكان المنهج المقارن هو الأنسب لهذا العمل، حيث أعرض النصوص القرآنية وأقارن بينها من حيث ملاءمتها للمقصود، فأثبت ما كان أكثر ملاءمة من غيره، وقد أستفيد في هذا الشأن ببعض النصوص الحديثية.

واخترت لنفسي منهجية محددة في النقاط الأتية:

_ كتابة الآيات وفق مصحف المدينة بالرسم العثماني على قراءة عاصم بن أبي النجود برواية حفص، وقد خرَّجت الآيات بالمتن لخصوصية القرآن الكريم، وحتى لا أثقل الهامش.

- تخريج الأحاديث والآثار من كتب الحديث المعتمدة، فإذا ورد الحديث في أحد الصحيحين أو موطأ الإمام مالك اكتفيت به، وإلا رجعت إلى بقية كتب الحديث ككتب السنن الأربعة، ومسند الإمام أحمد، ومستدرك الحاكم.
- وضعتُ الاقتباس بالنص بين قوسي التنصيص وأذكر المرجع أو المصدر بدون كلمة (ينظر)، وإذا كان بالمعنى أكتبه بدون أقواس التنصيص، واذكر المرجع مُصدَّراً بكلمة (ينظر)، وعند ذكر المرجع لأول مرة سأذكر عنوان الكتاب، واسم المؤلف، وبيانات النشر، والجزء والصفحة، ثم في بقية النقولات عنه سأكتفي بعنوان الكتاب واسم المؤلف والجزء والصفحة فقط، وإذا تكرر في الصفحة نفسها بدون فاصل أكتب (المرجع نفسه)، وإذا تكرَّر أول الصفحة التالية أكتب (المرجع السابق).
- عند دراسة المسألة أذكر ما ورد فيها من نصوص قرآنية أولاً، وقد أعضدها ببعض الأحاديث النبويّة، ثم بعد ذلك أشرع في التحليل والبيان، وتقرير النتائج والثمرات.

وتهدف هذه الدراسة إلى:

- كشف اللثام عن هذه النظرية، بوضع لبناتها الأولى، وفتح المجال أمام الباحثين في دراستها، ونقدها، وفق ما يظهر لهم.
- حثُّ طلبة العلم على تدبر آي القرآن الكريم، واستخراج ما فيها من كنوز ومعارف، وعرضها للبحث والتدقيق، حتى تتناولها العقول، وتتناوب عليها الفهوم؛ لكي تصل إلى الحقائق الثابتة، وهذا كان دأب علمائنا فيما سبق، جزاهم الله عنا خيراً.
- التعريف بمنحى من مناحي إعجاز القرآن الكريم، ورد الشبهات عنه، بدعوى تفكك النص القرآني، التي أصبحت تثار اليوم في بعض الأوساط التي يطلق عليها زوراً وبهتاناً بأنها علمية.

إن الكتابة في أمر لم يمهد له من سبق لهو في غاية الخطورة، ومرتقى صعبٌ لا ينال بسهولة، ولا تنقاد لك معانيه وتلتئم مراميه، على ما تختار، وتميل إليه النفس، فإنك ستجد نفسك في مواجهة نصوص مجردة، ولا معين لك على فهم ظواهرها فضلاً عن مضامينها إلا بالالتجاء إلى الله تعالى بالتوفيق والسداد، والبعد عن الزيغ والضلال.

وقد وضعت خطة وفق ما توفر لدي من نصوص لدراسة هذه النظرية على النحو الآتي:

مقدمة، وتمهيد، وأربعة مطالب وخاتمة.

فالمقدِّمة حوت أهم عناصرها من أهمية الموضوع، والتسمية، وسبب الاختيار، والأهداف، والمنهج المتَّبع، والمنهجية، والصعوبات، وخطة الدراسة.

أما المطلب الأول فكان عن عمارة الأرض بين الإنسان والكائنات الأخرى، في نقطتين؛ الأولى تدرس فطرية عمارة الأرض بالنسبة لبقية الكائنات، بينما في الثانية يتبين أن عمارة الأرض للإنسان هي منّة من الله وابتلاء.

والمطلب الثاني سيكون الحديث فيه عن شروط إعمار الأرض، و الاستخلاف فيها.

أما عقوبة الإفساد في الأرض فستكون موضوع **المطلب الثالث**.

بينما سيكون **المطلب الرابع** عن آثار عمارة الأرض.

وأخيراً **الخاتمة** التي ستذكر فيها أهم النتائج، والتوصيات التي يراها الباحث خادمة للباحثين وطلاّب العلم.

وأخيراً؛ يظل هذا عملاً بشرياً، يعتريه النقص والعيب، ويحتاج إلى تصحيح وتعديل بلا ريب، من ذوي العقول الخيّرة، والأفهام النيّرة، فطوبى لمن بيّن الخلل، وأصلح الخطل، وستر العيب، وأهدى لمصنفه دعوة بظهر الغيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

تمهيد: نظرية عمارة الأرض أصول ومفاهيم

أولاً: توطئة عن النظريات الفقهية:

قبل الخوض في نظرية عمارة الأرض وما يتعلق بها من أصول ومفاهيم، يكون من الأفضل التقديم بين يدي ذلك بتوطئة للنظريات الفقهية، فإنه قد علق بأذهان البعض أن هذه النظريات من ابتكار الفقهاء في أغلب الأحوال، وإذا عرض عليهم إنسان نظرية فقهية إسلامية من النظريات التي لم يعرفها علماء القانون الوضعي إلا أخيرًا أدهشهم أن يصل الفقهاء المسلمون في القرن السابع والثامن الميلادي إلى ما لم يصل إليه علماء القانون إلا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

بل وصل بهم الأمر إلى أن قالوا إنهم سبقوا بتفكيرهم الفكر البشري، والصحيح أن رجال الفقه الإسلامي على اتساع أفقهم وجودة تفكيرهم لم يأتوا بشيء من عندهم، ولم يكونوا فوق مستوى البشر وكل ما في الأمر، أنهم وجدوا أمامهم شريعة غنية بالنظريات والمبادئ، فشرحوا هذه المبادئ، وعرضوا تلك النظريات، ولم يفعلوا شيئًا أكثر مما يفعله كل فقيه ومجتهد، يحاول أن يجمع تحت كل نظرية ما تمتد إليه، وتحت كل مبدأ ما ينطبق عليه وإذا كان هناك ابتكار، أو سبق في التفكير، فهو ابتكار لشريعة سبقت تفكير البشر، وجاءت بأسمى النظريات، لتوجيه البشر نحو السمو والكمال، ورفعهم إلى مستوى الشريعة الرفيع.

فالفقهاء لم يبتكروا نظرية المساواة المطلقة، ولا نظرية الحرية الواسعة، ولا نظرية العدالة الشاملة، وإنما عرفها الفقهاء من نصوص القرآن والسنة فقد قالﷻ: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ }[البقرة:256]، وقال أيضاً: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]، وقالﷺ: («يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ» ، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ)[1] .

والفقهاء لم يخلقوا نظرية الشورى، ولكن استنبطوها من نصوص كثيرة منها قوله تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى:38] وكذلك قوله تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159] ، ولاهم من وضعوا نظرية تقييد سلطة الحاكم واعتباره نائبًا عن الأمة، ولكن فهموا ذلك من نصوص الكتاب والسنة كقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

1- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ- 2001م، رقم الحديث 23489، 474/38.

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }[النساء: 59] فلم تكن له طاعة مستقلة، بل طاعته مرتبطة بطاعة الله ورسوله، وكقولهﷺ: (إنما الطاعة في المعروف)[1] .

ولا نظرية مسؤولية الحاكم عن أخطائه وعدوانه، بل وجدوا ذلك في آيات كثيرة تبين مسؤولية كل فرد عن تصرفاته كقوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: 164]، وقولهﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[2]..

والفقهاء ليسوا هم الذين اشترطوا الكتابة في الالتزامات المدنية، وجاوزوا الإثبات بشهادة الشهود في المواد التجارية وإنما هو نص القرآن:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} [البقرة: 282]

والفقهاء لم ينشئوا نظرية بطلان عقود الإذعان ونظرية حق الملتزم في إملاء شروط العقد، وإنما القرآن هو الذي جاء بهذا كله في قوله تعالى: {وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ} [البقرة: 282].

والفقهاء لم يضعوا نظرية إعفاء المكره والمضطر؛ وإنما جاءت الشريعة بالنظرية في قوله تعالى: إ{لَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل: ١٠٦]، وكذلك قوله تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة:173]، وقول الرسول - ﷺ -: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا أُسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»[3].

والفقهاء لم يأتوا بنظرية إعفاء الصغير والمجنون والنائم من العقاب، وإنما قول الرسولﷺ: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ)[4] هو أساس هذه النظرية.

وهكذا لا نجد نظرية ولا مبدأً عامًا إلا جاء فيه نص من القرآن أو السنة، وما فعل الفقهاء شيئًا إلا أنهم شرحوا النظرية أو المبدأ، وبيّنوا شروط تطبيق كل نظرية أو مبدأ، وما يدخل تحتهما مقيدين أنفسهم في ذلك بنصوص الشريعة ومبادئها العامة وروحها التشريعية.

1- الجامع الصحيح، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، رقم الحديث 7145، 63/9.

2 - المصدر نفسه، رقم الحديث 893، 5/2.

3 - سنن ابن ماجه، ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ-2009م، رقم الحديث 2045، 201/3.

4- مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث 24694، 41/ 224.

على أن الفقهاء بالرغم من هذا قد بذلوا مجهودًا عظيمًا في رد الفروع والجزئيات إلى أصولها، وبيان ما ينطبق عليها من الأحكام؛ لأن الشريعة لم تأت بنصوص تفصيلية تحكم الفروع والجزئيات في كل الأحوال.

هذا هو حكم الواقع والحق في الردّ على الادعاء بأن الفقه الإسلامي من ابتكار الفقهاء، ولعل أصحاب هذا الادعاء وقعوا في الخطأ من جهة أنهم يقيسون فقه الشريعة على فقه القانون، فكل أحكام القانون يبتكرها علماء القانون قبل أن تكون أحكامًا ملزمة، وتشريعًا ساريًا.

هذه التوطئة متعلقة تعلقاً وثيقاً بعنوان هذا البحث الذي يتحدث عن نظرية إعمار الأرض، فإن نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة قد وضعت أساليب وطرق إعمار الأرض، وبيّنت ما يجوز منها وما لا يجوز تصريحاً أو تلميحاً، وضوابط ذلك كله، وما يجب لها من شروط، وما يترتب عليها من آثار، وليس لي في ذلك إلا جمع هذه النصوص، وتصنيفها وفق معالجتها لهذا الأمر، واستخراج ما يمكن أن يصلح لبناء هذه النظرية.

ثانياً: أصول نظرية عمارة الأرض:

تحدثت نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة عن عمارة الأرض، واستخلاف بني آدم فيها، وجعلها مأوى وسكناً لهم في هذه الحياة الدنيا، وذُللت لهم؛ لاستخراج خيراتها، والاستمتاع بها، ولكن كل ذلك وفق حدود حدها الشرع الحكيم، بحيث لا يهمل جانب الاستعمار والخلافة في الأرض، وينعم الناس بما في هذه الأرض من الكنوز والخيرات، دون أن يكون ذلك هو شغلهم الشاغل، وهمهم الأعلى، فينفقوا فيه الأوقات، ويستنفذوا من أجله الطاقات، وينصرفوا به عن الغاية العظمى من خلقهم وهي تحقيق عبودية الله، والقيام بما كلفهم به المولى في هذه الحياة الدنيا؛ بجعل الدنيا مزرعة للآخرة، فقد قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56].

وكذلك نهت بعض تلك النصوص عن الإفساد في الأرض بجميع أنواعه، في الإنسان والبنيان، في الجمادات والدوّاب، فنهت عن القتل، وسفك الدماء بغير وجه حق، وإفساد الأخلاق، وتغييب العقل، وتخريب المباني، والتعدي على الأراضي بما يفسدها، وتعذيب البهائم، واستعمالها في أعمال فوق طاقتها، وعدم الاهتمام بأكلها وشربها، وغير ذلك كثير.

ومن هذا المنطلق فإن عمارة الأرض تشكل نظرية متكاملة، تحوي نظاماً فقهياً شاملالكل مقتضيات هذه العمارة، من مفاهيم، وأقسام، وأدلة، وأسباب، وشروط، وآثار، ومن خلال جزئيات هذا البحث ستأتي كثير من الأدلة تؤيد ما سبق قوله.

ثالثاً: المفاهيم المتعلقة بهذه النظرية:

«العَمَائرُ: جَمْعُ عِمَارَةٍ، بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ، فَمَنْ فَتَحَ فَلالْتفاف بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ كالعَمارة العِمامةِ، وَمَنْ كَسَرَ فلأَن بِهِمْ عِمارةَ الأَرض، وَهِيَ فَوْقَ البَطْن مِنَ الْقَبَائِلِ، أَولها الشَّعْب ثُمَّ الْقَبِيلَةُ ثُمَّ العِمارة ثُمَّ البَطْن ثُمَّ الفَخْذ»[1].

العمارة لغة: عمارة الارض: «إحياؤها بالبناء أو الغرس أو الزرع»[2].

والعمارة من مفهوم إسلامي هي أوسع من ذلك بكثير، فهي لا تعني فقط زراعة الأرض، والبناء عليها، بل تشمل بناء الإنسان المؤهل لعمارة هذه الأرض، ولذلك عندما قال المولى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[البقرة: 30]، استفهمت الملائكة: {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} [البقرة: 30].

وسبب هذا الاستفهام أن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء، وذلك؛ لأن الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدماء، أو أن الله ﷻ أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا لذلك هذه المقالة، إما على طريق التعجب من استخلاف الله ﷻ من يعصيه أو من عصيان الله من يستخلفه في أرضه وينعم عليه بذلك، وإما على طريق الاستعظام والإكبار للفصلين جميعاً: الاستخلاف والعصيان[3]، وحق للملائكة أن يستعظموا ذلك؛ إذ كيف يحوّل المُنعَم عليه النعمة إلى نقمة، ويعصي أوامر المُنعِم، ويفسد في الأرض بدل إصلاحها!!

وقد أخبرهم المولىﷻ بأنه يعلم كل شيء، ويعلم أن من بين بني آدم المصلحين والمفسدين، وأنهم مأمورون شرعاً بالإصلاح في الأرض، وعدم الإفساد فيها، وأعلى مظاهر هذه الإصلاح هو بناء الإنسان، وتقويم أخلاقه، حتى يكون عنصراً فاعلاً في إعمار الأرض، والمحافظة عليها، والتعامل مع كل ما فيها من كائنات وجمادات بالضوابط الشرعية، وهذا الإعمار هو مجال من مجالات الابتلاء للمؤمنين، ليميز اللهﷻ به الخبيث من الطيب، ويجازيهم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

1 - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط3 - 1414 هـ، 606/4.

2 - معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط2، 1408 هـ - 1988 م، ص321.

3 - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م، 274/1.

المطلب الأول: عمارة الأرض بين الإنسان والكائنات الأخرى

أولاً: عمارة الأرض أمر فطري للكائنات غير العاقلة:

أشارت بعض آيات القرآن إلى أن اتخاذ الأرض مأوى، وعمارتها، هو أمر فطري تشترك فيه جميع الكائنات، فكلها تحتاج إلى مكان يأويها، ويحفظها مما يؤذيها من كائنات أخرى، أو تقلبات المناخ، أو ظروف الطبيعة القاسية، ولذلك ذُكر في القرآن الكريم نماذج لتلك الكائنات التي اتخذت أماكن تسكنها، وتحتمي بها من المخاطر منها على سبيل المثال:

النحل، فقد قال تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} [النحل: 68].

وكذلك النمل، حيث قال تعالى: {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}[النمل: 18].

وأيضاً من هذه المخلوقات العنكبوت الذي قال عنه تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41].

ثانياً: الأمر بعمارة الأرض والاستخلاف فيها منّة وابتلاء للإنسان:

إن عمارة الأرض بالزراعة والانتفاع بما في باطنها من معادن مطلوب من الناس عامة، ومن المسلمين خاصة، وهو من مقتضيات الاستخلاف العام للناس في الأرض قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[البقرة: 30] .

وكان قصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ضرب الخراج أن تبقى الأرض عامرة بالزراعة فأهلها أقدر من الغانمين على ذلك؛ لتوفر الخبرة والقدرة على الزراعة؛ ولذلك قال في أهلها: يكونون عمار الأرض فهم أعلم بها وأقوى عليها[1].

وقد سلك عمرﷺ في ذلك مسلك النبيﷺ فلما فتحت خيبر وصارت الأرض والأموال المغنومة تحت يده ولم يكن له من العمال ما يكفون عمارة الأرض وزراعتها، دفعها إلى أهلها على أن يزرعوها ولهم نصف ثمرتها. وبقيت على ذلك طيلة حياة النبيﷺ وحياة أبي بكر الصديقﷺ حتى أجلاهم عمرﷺ إلى الشام[2] .

1- ينظر: الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، المطبعة السلفية ومكتبها القاهرة، ط3، 1382هـ، ص 141.

2 - ينظر: كتاب الأموال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدي النبوي (المنصورة) - دار الفضيلة (الرياض)، ط1، 1428 هـ - 2007م، 117/1.

وقد امتن المولى ﷻ على عباده بأن هيأ لهم الأرض، وجعلها صالحة لمعاشهم، وسخر لهم كل ما فيها من خيرات، وذلك في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}** [النحل: 80]، وهذا في معرض الامتنان عليهم، بأن سخر لهم هذه الأشياء لتيسير معاشهم، والرفق بهم في حلهم وترحالهم.

وكذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك:15]

وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 14].

وأيضاً قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} الحج: 65.

كل هذه الآيات تشير إلى تسخير الله ﷻ لكل ما في الأرض وجميع خيرات البحار من أكل وحليّ، والفلك كذلك مسخرة لخدمة الإنسان الذي كرمه على سائر مخلوقاته، ليقوم بواجب شكره لله ﷻ، وتحقيق عبادته لخالقه على الوجه المطلوب منه.

إعمار الأرض ابتلاء للإنسان.

وإن كان الشأن في بقية الكائنات أن إعمار الأرض واتخاذها مأوى أمر فطري جبلي، فهو في حق الإنسان منّة من الله تعالى، فقد سخر له المولى ﷻ جميع ما فيها، وذللها له، كي يستفيد من خيراتها، وينعم بمقدراتها، ولكن لحكمة عظيمة حتى لا يطغى الإنسان في الأرض ويتجبر فيها، ويفسدها جعل المولى ﷻ هذا الاستخلاف نفسه ابتلاءً واختبارًا لإيمانه وأخلاقه، وذلك في نصوص كثيرة نذكر منها:

قوله تعالى: {قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: 129]

وقوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [يونس: 14].

وكذلك قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف: 7].

وهذا أيضاً مجال من مجالات الاختبار والابتلاء للمكلفين في هذه الحياة الدنيا؛ حتى لا يتركوا هملاً فيعيثوا في الأرض فساداً، ورتّب على هذا الأمر الثواب للمصلحين، والإثم والعذاب للمفسدين.

المطلب الثاني: شروط عمارة الأرض والاستخلاف فيها:

من خلال النظر في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية يمكن وضع ضوابط وشروط للاستخلاف المأمور به، والذي تترتب عليه الآثار المرجوة منه، وتتمثل تلك الضوابط والشروط في النقاط الآتية:

1. عدم الإفساد بجميع صوره وأشكاله، ومنه إهلاك الحرث والنسل:

قال تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [الأعراف:74]

وأخبرﷻ بأنه لا يحب الفساد فقال: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: 502]، وفي هذا أبلغ الزجر عن الإفساد في الأرض.

و(عن أبي الطفيل، قال: قلنا لعلي: أخبرنا بشيء أسرَّه إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أسرَّ إليَّ شيئاً كتمه الناس، ولكن سمعته يقول: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى مُحدِثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير تخوم الأرض - يعني المنار-)[1].

« المُحدِث: هو من يأتي بفساد في الأرض، وتخوم الأرض معالمها وحدودها، واحدها تخم، وقيل: أراد بها حدود الحرم خاصة، وقيل: هو عام في جميع الأرض، وأراد المعالم التي يهتدى بها في الطرق، وقيل: هو أن يدخل الرجل في ملك غيره فيقتطعه ظلماً، ويروى تخوم الأرض، بفتح التاء على الإفراد، وجمعه تخم بضم التاء والخاء»[2]، واللعن بمعنى الطرد من رحمة الله، وناهيك بها عقوبة لمن عمل مثل هذا العمل، وهو من أخف الإفساد في الأرض، إذ مقتضاه أنَّ صاحبه غيّر العلامات التي يهتدي بها الناس في الأرض المقطوعة، وهذا من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى كما في قوله تعالى : {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} [الإسراء: 23]، فإن الله ﷻ نهى عن التأفيف للوالدين، فما فوق ذلك أشد حرمة كالضرب وغيره.

1 - المسند، أحمد بن حنبل، رقم الحديث 855، 212/2.

2 - النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، 183/1-184.

2. عدم الترفُّه والكِبر والطغيان:

قال تعالى: {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ} [الشعراء: 149].

وهذا كان في معرض دعوة سيدنا صالح –عليه الصلاة والسلام- لقومه، فقد عاتبهم بأنهم يُسرفون في البنيان، وينشغلون به عما خلقوا من أجله، بل يطيعوا أمر المفسدين، ولا يستمعوا لأوامر خالقهم جلا وعلا، فقال تعالى، على لسان سيدنا صالح -عليه الصلاة والسلام-: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} لشعراء:[150_152] و(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ فَرَأَى قُبَّةً مُشْرِفَةً فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: هَذِهِ لِفُلَانٍ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَسَكَتَ وَحَمَلَهَا فِي نَفْسِهِ حَتَّى إِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فِي النَّاسِ أَعْرَضَ عَنْهُ، صَنَعَ ذَلِكَ مِرَارًا، حَتَّى عَرَفَ الرَّجُلُ الْغَضَبَ فِيهِ وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُنْكِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: خَرَجَ فَرَأَى قُبَّتَكَ، قَالَ: فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى قُبَّتِهِ فَهَدَمَهَا حَتَّى سَوَّاهَا بِالْأَرْضِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ يَرَهَا، قَالَ: «مَا فَعَلَتِ الْقُبَّةُ؟» قَالُوا: شَكَا إِلَيْنَا صَاحِبُهَا إِعْرَاضَكَ عَنْهُ، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَهَدَمَهَا، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَا لَا، إِلَّا مَا لَا» يَعْنِي مَا لَا بُدَّ مِنْهُ)[1].

3. عدم استغلال هذا الاستخلاف، وما سخره الله لعباده في ارتكاب الفواحش والذنوب.

فقال تعالى: {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [غافر: 75_76]

وقال تعالى: {[وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [القمان:18] جعل المولى ﷻ الفرح في الأرض بغير الحق، والمرح فيها من مظاهر الكِبْر الذي يورد صاحبه المهالك، فعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)[2].

---

1 سنن أبي داود، أبو داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، رقم الحديث5237، 360/4.

2 - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، رقم الحديث 91، 93/1.

4. **عدم التعلق بمتاع الدنيا والركون إليها، وترك الجهاد والدعوة إلى الله:**

قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة: 38]، و(عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لئن تركتم الجهاد، وأخذتم بأذناب البقر، وتبايعتم بالعينة، ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم، لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا على ما كنتم عليه)[1].

5. **إقامة العدل، والالتزام بشعائر الله، وتحقيق عبوديته على أرضه**، وقد ورد ذلك في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}[الحج: 41]

وكذلك قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 77].

وكذلك قوله تعالى: {يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} ص: 26].

المطلب الثالث: عقوبة الإفساد في الأرض

- قد تصل عقوبة الإفساد في الأرض إلى القتل، وقطع الأطراف أو النفي، مع ما ينتظر المفسدين من عقوبة عظيمة في الاخرة إذا لم يتوبوا:

فقال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: 33].

- وربما تكون العقوبة الاستبدال، ونزع سلطانهم، وتمكين قوم آخرين:

قال تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} [الأنعام:6].

قال تعالى: {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم:14].

---

1 - مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، رقم الحديث 5007، 51/9.

- وقد تكون اللعن والطرد من رحمة الله:

{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: 25].

المطلب الرابع: آثار عمارة الأرض

- **القرب من الله، وعدم الإبعاد:**

قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف:56].

فالإصلاح في الأرض وعدم الإفساد هو مظهر من مظاهر الإحسان، فقد قال – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الذي يرويه (شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[1] ، والمحسن قريب من رحمة الله ﷻ.

قال تعالى: {قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا } [الكهف: 94]. فهؤلاء المفسدون في الأرض (يأجوج ومأجوج) جُعل بينهم وبين بقية الناس سدا عظيما، لمنع شرهم، وكف أذاهم، وهذا ما ينبغي أن يحصل لكل مفسد في الأرض، أن يعاقب بالإبعاد عن الناس حتى يأمنوا من شره.

- **التمكين في الأرض:**

قال تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} [القصص: 5و6].

- **نجاتهم من عذاب الله في الدنيا:**

فإن الله وعد المصلحين في الأرض، والذين يقيمون العدل فيما بينهم – وإن كانوا كفاراً- باستقامة أمورهم في الحياة الدنيا، ورغد عيشهم فيها، ونجاتهم من الهلاك، فقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود: 117] وفُسِّر الظلم هنا بأنه الشرك، لقوله تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13].

---

1 - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، رقم الحديث 1955، 1548/3.

- **المنزلة العالية عند الله:**

{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}[ص: 28].

- **وسيلة من وسائل التملك:**

فقد شرع الإسلام عدة وسائل للتملك، من بينها إحياء الأرض الموات، تحفيزاً للناس على إعمار الأرض وعدم إهمالها، لما سيعود بالنفع على الناس كافة، فقد قالﷺ: (من أحيا أرضا ميتة فهي له. وليس لعرق ظالم (حق)، قال يحيى: قال مالك: والعرق الظالم كل ما احتفر أو أخذ أو غرس بغير حق)[1].

ومما سبق يتبين أن إعمار الأرض وإصلاحها، والاستفادة بما خلقه اللهﷻ من خيرات فيها، هو من مفهوم إسلامي: نظام كامل، وليست نصوص مبعثرة، وضعت منبتة عن بعضها البعض، بل إنها في مجموعها تسير نحو غاية واحدة، وتحقق أهدافاً مشتركة، وكان لهذا النظام ضوابط وشروط حتى لا يحيد عن غايته، ولا يؤثر في الغاية السامية من خلق الإنسان وإيجاده على هذه الأرض.

---

1 - الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، - أبو ظبي – الإمارات، ط1، 1425 هـ - 2004 م ، رقم الحديث: 2750، 1076/4.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد على آله وصحبه أولي المناقب والهيئات، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإنه بعد هذا التطواف بين نصوص الكتاب العظيم، وسنة سيد المرسلينﷺ، في معالجة هذه المسألة التي بين أيدينا وهي إعمار الأرض، يمكن تسجيل النتائج الأتية:

- اهتم الإسلام بعمارة الأرض، وجعل ذلك ابتلاء للإنسان واختباراً له، مع ما امتنَّ به المولىﷻ عليه من تسخير كل ما في هذه الأرض من خيرات، وما تحويه من مخلوقات لمصلحته؛ فذللت له دوابها، وهيئت له أسباب العيش فيها.
- إن إعمار الأرض يشكل نظرية متكاملة، بشروطها وضوابطها، وبيّنت النصوص أساليب ذلك الإعمار عند الأمم السابقة، ومدحت بعض تلك الأساليب وذمت البعض الآخر، لكي يسلك المؤمنون طريق الذين أنعم الله عليهم بالهداية، ويجتنبوا طريق أهل الغواية.
- تشترك جميع الكائنات في مبدأ إعمار الأرض، غير أن بقية الكائنات – عدا الإنسان – يعد هذا الإعمار في حقها أمراً جبليّاً فطريّاً.
- نهى الشرع الحكيم عن الإفساد في الأرض بجميع صوره، ومن أضرها إفساد الإنسان إذ به إعمار الكون.
- على الرغم من أن الإسلام حثَّ على إعمار الأرض، إلا أنه نهى المؤمن عن التعلق بالدنيا والركون إليها، والعمل للآخرة، فإن الدنيا مزرعة الآخرة.
- من أوضح مظاهر إعمار الأرض إقامة العدل، والالتزام بشعائر الله، وتحقيق عبوديته على أرضه.
- رتّب الشارع عقوبات كبيرة على المفسدين في الأرض، تنفيراً للناس من هذا السلوك، وفي الوقت نفسه وعد المصلحين بالتمكين في الأرض، والنجاة من عذابه في الدنيا حتى وإن كانوا كفاراً، ووعد المؤمنين منهم بالقرب منه، ونيل الدرجات العلى يوم القيامة.

وفي نهاية هذه الورقة أوصي طلاب العلم والباحثين ببذل المزيد من الجهد في الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، هذا المعين الذي لا ينضب، وتعميق الدراسة حول ما حواه هذا الكتاب العظيم من نظريات ونظم، تُصلح حياة الناس، وتزيدهم يقيناً وإيماناً بدينهم، وأنه صالح لكل زمان ومكان.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

المصادر والمراجع

1. كتاب الأموال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدي النبوي (المنصورة) - دار الفضيلة (الرياض)، ط1، 1428 هـ - 2007م.
2. الجامع الصحيح، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
3. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م.
4. الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة، ط3 عام 1382هـ.
5. سنن ابن ماجه، ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1 1430 هـ - 2009 م.
6. سنن أبي داود، أبو داود،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
7. سنن الترمذي، محمد بن عيسى، الترمذي، تحقيق:أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395 هـ - 1975 م.
8. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
9. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط3 - 1414 هـ.
10. الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، - أبو ظبي – الإمارات، ط1، 1425 هـ - 2004 م.
11. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م.
12. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط2، 1408 هـ - 1988 م.
13. مقدمة الرسالة، ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر.
14. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

Journal of the center for Islamic Research and Studes. Al-Bayda.

Refereed scientific periodical, issued semi-annually, concerned with Islamic research and studies, issued by the Center for Islamic Research and Studies.



Volume 1 - Issue 1

1444.AH / 2023.AD

Al Bayda / Libya

